مناهج وآداب الصحابة

في التعلم والتعليم

(أو التحمل والأداء)

الدكتور عبد الرحمن عبد الحميد أحمد البر
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

دار اليقين
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مناهج وآداب الصحابة

في التعلم والتعليم

(أو التحمل والأداء)

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



دار اليقين للنشر والتوزيع
مصر - المنصورة
هاتف: ٢١١٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه.

اللهم اجعل عملنا صالحا كلَّه خالصاً متقبَّلاً، ولا تجعل للشيطان فيه حظاً ولا نصيباً، ووفقنا لما تحب وترضى، وارزقنا خير الآخرة والأولى.

وبعد؛

فإن دعاة الغزو الفكرى ـ من العَلمانيين وأذناب المستشرقين ومن سار فى فَلَكهم مُغْتراً ببريق الثقافة الغربية، أو حاقداً على الثقافة الإسلامية ـ ما فتئوا يرددون مزاعم باطلةً حول السنة النبوية الكريمة؛ لزعزعة الثقة بها فى نفوس المسلمين، حتى يسهل عليهم هدم الإسلام، الذى تُمثِّل السنةُ المشرَّفةُ ثانىَ مصدريه الرئيسين، وأغزرَهما مادة، فإذا ما هُدمت السنةُ بقى القرآنُ الكريمُ نصّاً للتبرك به، بلا تفسيرٍ لما فيه، ولا توضيح لما أشكل فهمه منه، ولا معرفةٍ لناسخه ومنسوخه، ولا تمييزٍ لعامِّه وخاصِّه.

ومن أخطر ما يردِّدونه فى هذا الصدد زعمُهم الكاذبُ بأن السنة قد طرأ عليها من الوضع والتحريف ـ منذ الفتنة الكبرى ـ ما يُفقد الثقة بها، وأن المحدِّثين إنما كانوا يحملون الروايات التى يسمعونها من غيرِ تمييز ولا معرفةٍ؛ إذْ لم تكن لهم ـ زعموا ـ قواعد يقبلون على أساسها ويردُّون، أو أسساً منهجيةً ينقدون بها المرويات، ويعرفون بها الثابت الصادق من المنحول الكاذب.

وهذا ـ لَعَمْرُ الله ـ كذبٌ واضحٌ وإفكٌ مبين، فإن المنهجية الحقيقية قد ظهرت فى أجلى صورها فى جمع السنة وتدوين الحديث وحفظ العلم، بدءاً من العصر النبوى الكريم وعصر الصحابة والتابعين فمن بعدهم؛ إذ كان القرآن الكريم قد ضبط للأمة أصول التعامل مع النصوص، وأسسَ القبول للأخبار، ومنهجَ التحقق من عدالة الناقل، وسلامة النقل، وانطبع ذلك فى ضمير وعقل ووجدان الصحابة

رضى الله عنهم، فحفظوا به السنن، ونقلوا به الدين إلى مَنْ وراءهم، ولم يتوانَوْا فى مواجهة تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. ثم تابع الصحابةَ على ذلك المنهج القويم تابعوهم وتابعو التابعين وسائر علماء الحديث، بحيث صار عملهم مفخرةً تفاخر بها الأمة، ولا يوجد له نظيرٌ عند غير المسلمين مطلقاً.

ومن هنا كان لابد من التعرُّف على هذه المناهج التى سلكوها فى حفظ السنة ونقلها سليمةً من الدَّسِّ والتحريف، حتى تتأكد ثقتنا بديننا، وثقتنا بسلفنا الصالح رضى الله عنهم أجمعين.

ومن هذا المنطلق كتبتُ هذا البحث عن مناهج المحدثين من الصحابة رضوان الله عليهم، راجياً أن ينفع الله به صاحبه وقارئه والمسلمين، وأن يكتب له القبول والسداد.

وقد جعلته فى مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة.

أما المقدمة: فبينتُ فيها سبب الكتابة فى هذا الموضوع وخطة البحث فيه.

وأما الباب الأول: «الصحابة وعدالتهم»، فتناولت فيه تعريف الصحابى، وطرق ثبوت الصحبة، وعدد الرواة من الصحابة، وعدالة الصحابة.

وأما الباب الثانى: «ضوء على مناهج وجهود المحدثين فى العناية بالسنة»، فتعرضت فيه لتعريف مناهج المحدثين، وألقيت فيه الضوء على جهود المحدثين ومناهجهم فى العناية بالسنة، كما ألقيت الضوء على الأطوار التى مرت بها تلك المناهج.

وأما الباب الثالث: «مناهج وآداب الصحابة فى التحمل» فجعلته مكوناً من مقدمة وستة فصول.

تناولت فى المقدمة: تعريف التحمل والأداء فى اللغة والاصطلاح، **وعنونت الفصل الأول:** «ابتداؤه ﷺ أصحابه بالتبليغ»، وتعرضت فيه لطريقة ابتداء النبى ﷺ أصحابه بالتعليم، سواء بالتوجيه المباشر أو بالتعليق على الوقائع والأحداث والأفعال التى حدثت أمامه ﷺ وأمام الصحابة، مع ذكر الوسائل التربوية التى راعاها فى ذلك، والآداب التى راعاها الصحابة فى التلقى منه ﷺ.

وجعلت الفصل الثانى بعنوان: «ابتداء الصحابة وإجابة النبى ﷺ أو تعليقه»، وتعرضت فيه لأسئلة الصحابة للنبى ﷺ وإجابته عليها، ولاجتهاد الصحابة فى بعض الوقائع فى حضور النبى ﷺ أو فى غيبته، وتعليق النبى ﷺ على ذلك الاجتهاد، مع ذكر الوسائل التربوية النبوية فى الإجابة والتعليق، وآداب الصحابة فى السؤال والاستفتاء.

وعنوان الفصل الثالث: «مشاهدة الصحابة لأحواله ﷺ ومعايشتهم إياه»، وبينت كيف حرصوا على نقل كل ما شاهدوه وعايشوه وعاينوه.

والفصل الرابع بعنوان: «رحلة الوفود إليه ﷺ وبعثه البعوث إلى الأقطار المختلفة»، وتعرضت فيه لذكر الوسائل التربوية التى استعملها النبى ﷺ مع الوافدين إليه أفراداً وجماعات، والتوجيهات التربوية التى زوَّد بها المبعوثين إلى القبائل والأقطار المختلفة.

والفصل الخامس بعنوان: «السماع من غير النبى ﷺ»، تعرضت فيه لتحمل الصحابة بعضهم عن بعض، وطرقهم فى ذلك، وآدابهم فيه.

وجاء الفصل الأخير بعنوان: «كتابة الصحابة الحديث عن النبى ﷺ»، وناقشت فيه قضية التعارض بين الإذن النبوى بالكتابة والنهى عنها، وما يزيل هذا التعارض الظاهرى.

وأما الباب الرابع: «مناهج وآداب الصحابة فى الأداء»، فجعلته فى أربعة فصول على النحو التالى:

الفصل الأول: «تفاوت الصحابة رضى الله عنهم فى رواية الأحاديث وأسبابه»، وبينت فيه المكثرين للرواية من الصحابة، وأسباب تفاوت الصحابة فى القلة والكثرة.

الفصل الثانى: «مناهج الصحابة فى الأداء»، وتناولت فيه الصور التى كان عليها أداء الصحابة للحديث من عقدٍ لمجالس التحديث، وإجابةٍ على الأسئلة وإفتاءٍ فى القضايا بموجب النصوص، وروايةٍ للسنة فى الخطب فى المناسبات المختلفة.

الفصل الثالث: «قواعد الرواية عند الصحابة»، وتعرضت فيه للضوابط

والقواعد التى وضعها والتزم بها الصحابة فى رواية الأحاديث، سواء فيما يتعلق بالسند أو بالمتن.

الفصل الرابع: «آداب الرواية عند الصحابة»، وتناولت فيه أهم الآداب التى راعاها الصحابة عند إلقاء الحديث.

وأما الخاتمة: فدعوت فيها إلى متابعة الجهد فى الكتابة حول هذا الموضوع وغيره من مناهج المحدثين من التابعين ومن بعدهم، بما يوضح مدى الجهد الكبير المبارك والمنظم الذى بذلوه فى خدمة السنة.

ثم ختمت الكتاب بمجموعة من الفهارس التفصيلية التى تيسِّر سبيل الانتفاع من الكتاب، والرجوع إليه.

وقد راعيتُ فى كل ذلك ذكر الأمثلة المناسبة التى تزيد الكلام وضوحاً، والتى تعتبر أدلةً على صحة ما ذُكر، مع الاقتصار على ذكر مثالٍ أو مثالين، من غير حصرٍ ولا استقصاء؛ إذ أن الحصر والاستقصاء يستوعب السنة جميعا، من حيث إنها وصلت إلينا عن طريق تحمل الصحابة إياها من النبى ﷺ، ثم أدائها إلينا، ومن ثم يمكن أن يندرج تحت كل عنوان ما يناسبه فى مناهج التحمل وفى مناهج الأداء، فكان لابد من الاكتفاء بذكر نماذج فقط على سبيل التمثيل.

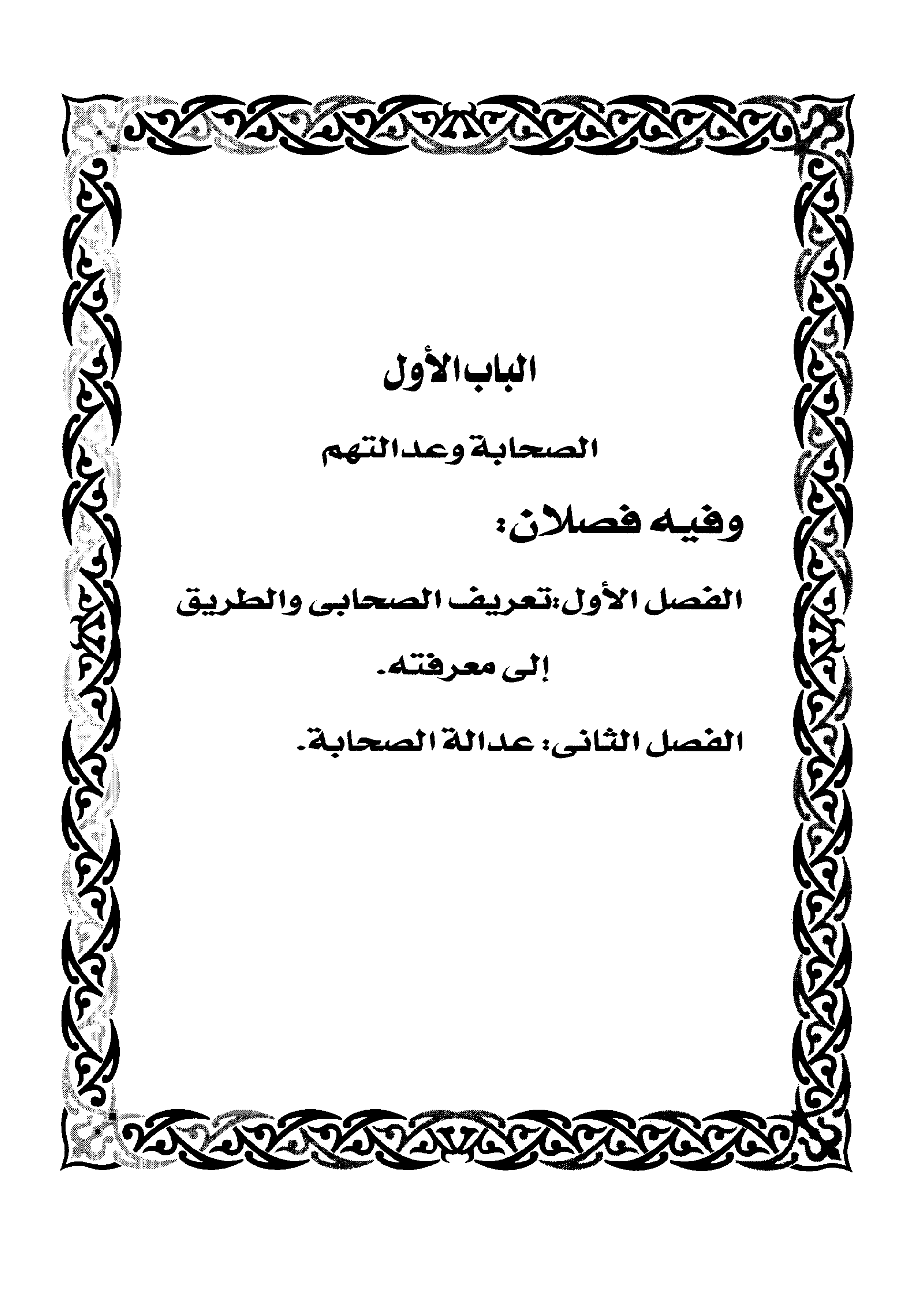
وكان من منهجى فى الكتابة فى هذا الموضوع: الاعتماد على المقبول من الحديث حسناً كان أو صحيحاً، دون الضعيف إلا فى أحوالٍ استثنائية، وبالشروط التى حدّدها العلماء لذلك.

فإن أكن قد وُفِّقتُ وأصبت فذلك الفضل من الله، وإلا فإنى أسأل الله العفو والمسامحة، كما أسأل الأساتذة والإخوان من فرسان هذا الميدان التوجيه والنصح والإرشاد، داعياً مولانا العظيم جل وعلا ألا يحرمنا أجر النية المخلصة وثواب العمل الصالح، وأن يجعلنا من الفائزين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه أبو عائشة

عبدالرحمن عبدالحميد أحمد البر



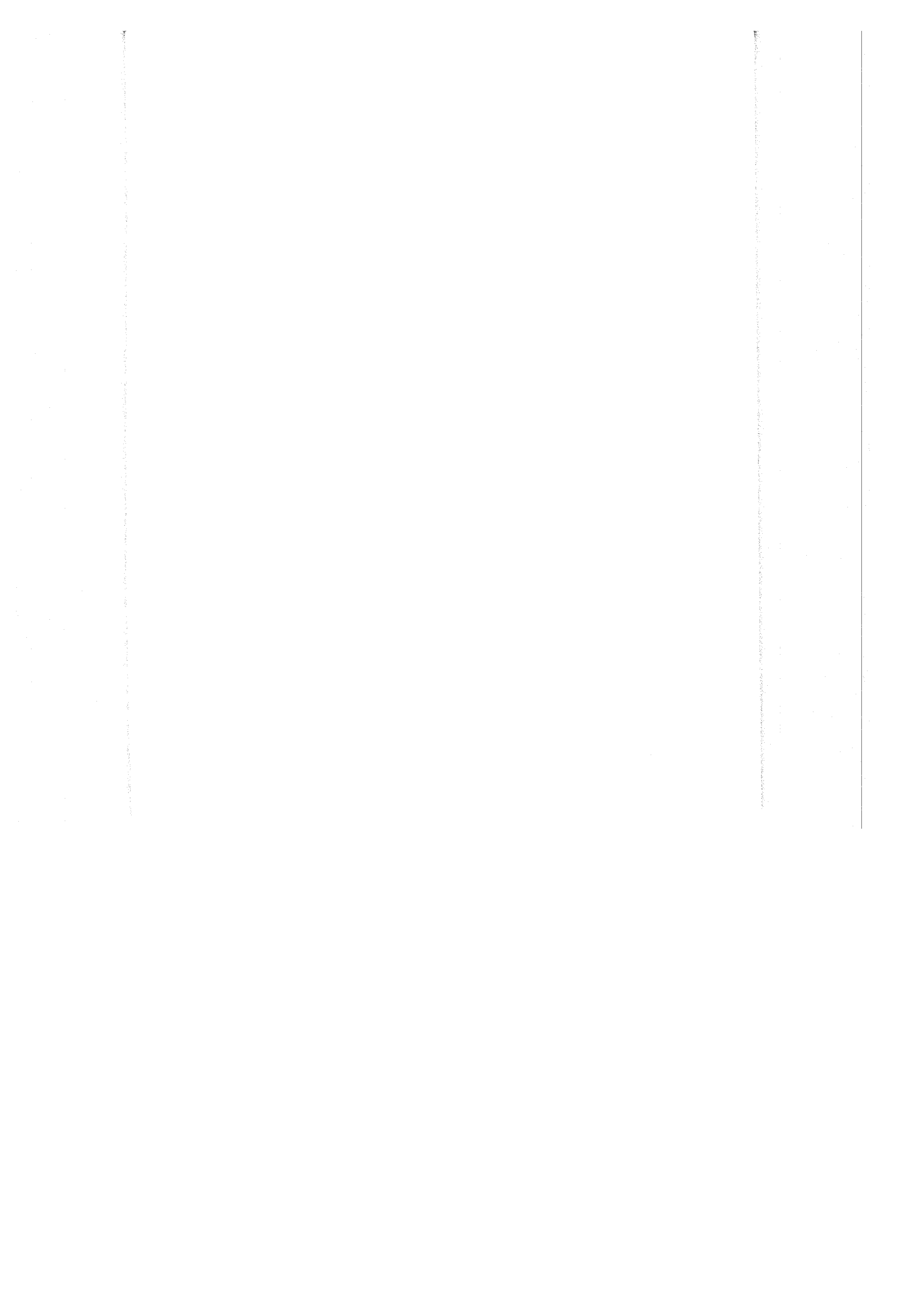
الباب الأول

الصحابة وعدالتهم

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف الصحابى والطريق إلى معرفته.

الفصل الثانى: عدالة الصحابة.



الفصل الأول

تعريف الصحابى والطريق إلى معرفته

الصحابى فى اللغة: منسوب إلى الصَّحَابة، وهى مصدرٌ بمعنى الصُّحْبة - بضم الصاد - ويدور معناها حول الملازمة، والانقياد، والحفظ.

أولاً: الملازمة: فكل من لازم شيئاً فقد استصحبه[١]، والصاحب: الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن - وهو الأصل والأكثر - أو بالعناية والهمة، ولا يقال فى العرف إلا لمن كثرت ملازمته، ويقال للمالك للشىء: هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التصرف فيه[٢].

ولا يلزم فى أصل وضعها اللغوى كثرةُ الملازمة، قال القاضى أبو بكر محمد ابن الطيب الباقلانى: «لا خلاف بين أهل اللغة فى أن القول «صحابى» مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدرٍ منها مخصوص، بل هو جارٍ على كل من صحب غيره، قليلاً كان أو كثيراً... فيوقع اسم المصاحبة بقليلِ ما يقع منها وكثيره»[٣].

ثانياً: الانقياد والتبعية: فالإصحاب للشىء: الانقياد له، وأصله: أن يصير له صاحباً، ويقال: أصحب فلانٌ، إذا كبر ابنه فصار صاحبه، وأصحب فلانٌ فلاناً: جُعل صاحباً له[٤]، وأصحبت الناقة: أى تبعت صاحبها[٥].

ثالثاً: الحفظ والمنع، يقال: صحبك الله: أى حفظك، وسرْ مصاحباً: أى محفوظاً، وفى القرآن الكريم: ﴿**ولا هم منا يُصْحَبون**﴾[الأنبياء: ٤٣] أى يُحفَظون. قال الراغب: «أى لا يكون لهم من جهتنا ما يصحبهم من سكينةٍ، ورَوْحٍ، وترفيقٍ، ونحو ذلك، مما يُصْحبه أولياءَه»[٦].

(١) الصحاح: ١/ ١٦٢، تاج العروس ١/ ٣٣٢.
(٢) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى صـ٢٧٥.
(٣) انظر: الكفاية للخطيب صـ١٠٠، وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ١٩ وانظر ما قاله العلائى فى «كتاب تحقيق منيف الرتبة» صـ٣٦.
(٤) المفردات صـ٢٧٥.
(٥) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى صـ٢٣٥ (نقلاً عن: دراسات فى الصحابة رضى الله عنهم صـ٦)، وتاج العروس ١/ ٣٣٢ - ٣٣٣.
(٦) المفردات صـ٢٧٥ «تاج العروس ١/ ٣٣٣.

وقال الزبيدى: «أصحب فلانا: منعه، ومنه فى التنزيل: ﴿**ولا هم منا يصحبون**﴾ قال الزجاج: يعنى الآلهة لا تمنع نفسها، ولا هم منا يصحبون: يجارون»[١].

وكثر استخدام المصدر «الصَّحَابة» بمعنى الجمع، جمع صاحب وصاحبة، ولم يُجمعَ فاعل على فَعَالة إلا هذا[٢].

ويجمع «صاحب» أيضاً على «أصحاب» و«صَحْب»، وأصاحيب، وصُحْبان ـ كشُبان ـ وصِحَاب ـ بكسر الصاد ـ وصحابة ـ بفتح الصاد وكسرها ـ وأكثر الناس على الكسر دون الهاء، وعلى الفتح معها»[٣].

الصحابى فى اصطلاح العلماء:

تباينت مذاهب العلماء فى تعريف الصحابى، وفيما يثبت به اسم الصحبة، وقد جمع الحافظ العلائى[٤] أقوال العلماء فى ذلك، فبلغت ستة أقوال، سأعتمد هنا أرجحها وأولاها بالقبول، وهو الذى عليه جمهور أهل الحديث وهو:

«أنه كل مسلم رآه النبىُّ ﷺ، ولو لحظة، وعقل منه شيئاً، فهو صحابى، سواء كان ذلك قليلاً أو كثيراً»[٥].

وممن قال بذلك:

الإمام أحمد بن حنبل قال: «كل من صحبه سنةً أو شهراً أو يومًا أو ساعةً أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه»[٦].

الإمام على بن المدينى قال: «من صحب النبى ﷺ أورآه ولو ساعة من نهار،

(١) تاج العروس ١/٣٣٣.
(٢) النهاية ٣/١٢. وانظر: أساس البلاغة للزمخشرى صـ٥١٩ ـ ٥٢٠، ومختار الصحاح صـ٣٥٦، والمصباح المنير للفيومى ١/٤٥٤.
(٣) تاج العروس ١/٣٣٢.
(٤) فى كتابه القيم: «كتاب تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة» صـ٣٠: صـ٣٥.
(٥) السابق صـ٣٠.
(٦) السابق صـ٣٠ ـ ٣١ والكفاية للخطيب صـ٩٩ وانظر: التمهيد فى أصول الفقه، للكلوذانى ٣/١٧٣، وتلقيح فهوم أهل الأثر صـ١٠١.

فهو من أصحاب النبى ﷺ»[١].

الإمام البخارى قال: «ومن صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه»[٢].

الإمام أبو داود السجستانى: أخرج حديث طارق بن شهاب، أن النبى ﷺ قال «الجمعة حق واجب على كل مسلم. . .» الحديث.

ثم قال عقبه: «طارق بن شهاب قد رأى النبى ﷺ ولم يسمع منه شيئا»[٣].

قال العلائى: «فدلّ إخراجه الحديث فى سننه على أنه مسند، ولولا أن طارقاً يُعَدُّ من الصحابة لمجرد الرؤية، وإلاَّ كان تابعيا، فيكون الحديث مرسلاً»[٤].

وحكى ذلك الآمدى عن أكثر الشافعية، وعن أحمد بن حنبل[٥].

وحكى ابنُ الصلاح ذلك بأنه المعروف من طريقة أهل الحديث[٦]، وتابعه على ذلك النووى والعراقى وغيرهما. وحكاه ابن الجوزى عن عموم العلماء[٧].

ورجح ابن حجر ذلك، ثم قال: «يَرِد على التعريف: من صحبه أورآه مؤمناً به، ثم ارتد بعد ذلك، ولم يعد إلى الإسلام، فإنه ليس صحابيّاً اتفاقا، فينبغى أن يزاد فيه: ومات على ذلك»[٨].

ولذلك كان تعريف ابن حجر أدق وأوضح، حيث قال:

«هو من لقى النبى ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخللَّتْ ردَّة فى الأصح».

قال: «والمراد باللقاء: ما هو أعم من المجالسة والمماشاة ووصول أحدهما إلى الآخر وإن لم يكالمه، وتدخل فيه رؤية أحدهما الآخر، سواء كان ذلك بنفسه أو بغيره.

---

(١) فتح البارى ٧/ ٥، وفتح المغيث ٣/ ٨٦.

(٢) كتاب: فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب: فضل أصحاب النبى ﷺ، فى الترجمة ٧/ ٣، والكفاية صـ٩٩.

(٣) «أخرجه أبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: الجمعة للمملوك والمرأة ١/ ٢٨٠ (١٠٦٧).

(٤) كتاب تحقيق منيف الرتبة صـ٣١.

(٥) أحكام الأحكام للآمدى ٢/ ٩٢، وانظر: السابق صـ٣٢.

(٦) مقدمة ابن الصلاح صـ، وانظر: تدريب الراوي ٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩، والتقييد والإيضاح صـ ٢٩١.

(٧) تلقيح فهوم أهل الأثر صـ١٠١.

(٨) فتح البارى ٧/ ٤.

والتعبير باللقىّ أولى من قول بعضهم: «الصحابى من رأى النبى ﷺ»؛ لأنه يخرج حينئذ ابنُ أم مكتوم ونحوه من العميان، وهم صحابة بلا تردد، واللُّقىُّ فى هذا التعريف كالجنس.

وقولى: «مؤمناً» يخرج من حصل له اللقاء المذكور، لكن فى حال كونه كافراً.

وقولى: «به» فصل ثان يخرج من لقيه مؤمناً، لكن بغيره من الأنبياء.

لكن: هل يخرج من لقيه مؤمناً بأنه سيبعث، ولم يدرك البعثة؟ فيه نظر.

وقولى: «ومات على الإسلام» فصل ثالث، يخرج من ارتد بعد أن لقيه مؤمناً به، ومات على الردة، كعبيد الله بن جحش، وابن خَطَل.

وقولى: «ولو تخللت ردّة»: أى بين لُقيِّه له مؤمناً به وبين موته على الإسلام، فإن اسم الصحبة باقٍ له، سواء أرجع إلى الإسلام فى حياته ﷺ أو بعده، وسواء ألقيه ثانياً أم لا.

وقولى: «فى الأصح» إشارة إلى الخلاف فى المسألة.

ويدل على رجحان الأول: قصة الأشعث بن قيس، فإنه كان ممن ارتد، وأُتى به إلى أبى بكر الصديق أسيراً، فعاد إلى الإسلام، فقبل منه ذلك، وزوجه أخته، ولم يتخلف أحدٌ عن ذكره فى الصحابة، ولا عن تخريج أحاديثه فى المسانيد وغيرها»[1].

صحبة خاصة:

ورد فى كلام بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما يفيد ظاهره غير ما سبق من رأى جمهور العلماء، حيث أثبتوا الصحبة لفئة خاصة، دون سائر من رأوا النبى ﷺ ولقوه.

١ ـ فمن ذلك ما رواه موسى السيلانى قال: «أتيت أنس بن مالك رضى الله عنه، فقلت: هل بقى من أصحاب رسول الله ﷺ أحد غيرك؟ قال: بقى ناسٌ من

(١) النكت على نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر صـ١٤٩ ـ ١٥٠. وانظر: الإصابة ١/٨.

الأعراب قد رأوه، فأما من صحبه فلا»[١].

قال العلائى: «وهو يقتضى التفرقة بين الرائى ومن يطلق عليه اسم الصاحب»[٢].

قال العراقى: «والجواب: أنه أراد إثبات صحبة خاصة ليست لأولئك»[٣].

٢ ـ ومن ذلك ما رواه أبو البَخْتَرى سعيد بن فيروز رحمه الله قال: «جاء الأشعث بن قيس، وجرير بن عبد الله البجلى، رضى الله عنهما، إلى سلمان الفارسى، رضى الله عنه، فدخلا عليه فى خُصٍّ[٤] فى ناحية المدائن، فأتياه، فسلَّما عليه وحيَّياه، ثم قالا: أنت سلمان الفارسى؟ قال: نعم. قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدرى. فارتابا. وقالا: لعله ليس الذى نريد. قال لهما: أنا صاحبكما الذى تريدان، قد رأيتُ رسول الله ﷺ وجالستُه، وإنما صاحبُه مَنْ دخل معه الجنة...» الحديث[٥].

ومن الواضح أن الصحبة التى يقصدها سلمان رضى الله عنه، والتى شك فى إثباتها لنفسه، شىءٌ خاص غير ما نحن بصدده.

بم تثبت الصحبة؟[٦]

مع كثرة كلام العلماء فى ذلك، فإن أفضل وأكمل ما وقفت عليه فى ذلك ما ذكره الحافظ العلائى رحمه الله فى كتابه «تحقيق منيف الرتبة»، إذ انتهى من دراسة هذه المسألة إلى «أن ما ثبت به الصفة المقتضية للصحبة على مراتب:

---

(١) مقدمة ابن الصلاح صـ٤٢٦ وجوَّد إسناده، وتبعه العراقى والسخاوى والسيوطى، وانظر أيضا: التقييد والإيضاح صـ٢٩٩، وفتح المغيث ٣/ ٩٣، وتدريب الراوى ٢/ ٢١١.

(٢) كتاب تحقيق منيف الرتبة صـ٣٩.

(٣) تدريب الراوى ٢/ ٢١١، وانظر: الباعث الحثيث لابن كثير صـ١٧٥.

(٤) الخُص بضم الخاء المعجمة: بيت يُعمل من الخشب والقصب، وجمعه خِصاص وأخصاص، سمى به لما فيه من الخصاص، وهى الفُرَج والأنقاب. (النهاية فى غريب الحديث٢/ ٣٧).

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٦/ ٢١٩ (٦٠٥٨)، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٢٠١، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٤١: «رجاله رجال الصحيح، غير يحيى بن إبراهيم المسعودى، وهو ثقة».

(٦) انظر فى ذلك: الكفاية للخطيب صـ١٠٠ ـ ١٠١، مقدمة ابن الصلاح صـ٤٢٤، التقييد والإيضاح صـ٢٩٩، الباعث الحثيث لابن كثير صـ١٨٥، الإصابة لابن حجر ١/ ٨ ـ ٩ ، النكت على نزهة النظر لابن حجر صـ١٥١، فتح المغيث ٣/ ١٠٤ ـ ١٠٨، تدريب الراوى ٢/ ٢١٣.

أولها وهو أعلاها: التواتر المفيد للعلم القطعى بصحبته. وهذا لا يختص بالعشرة المشهود لهم بالجنة وأمثالهم. بل يدخل فيه أيضا كل من تواترت الرواية عنه من الصحابة المكثرين الذين بلغ الرواة عنهم العدد المفيد للتواتر كأبى سعيد الخدرى، وجابر، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأمثالهم، وكذلك من اتفقت الأمة على صحة حديثه وتلقته بالقبول، وإن لم تكثر الرواية عنه كأبى قتادة، وأبى مسعود البدرى ونحوهما.

فإن من لوازم ذلك اتفاقهم على كونه صحابياً. ويندرج فى هذا عدد كثير من الصحابة المتفق على صحة أحاديثهم.

وثانيها: أن تكون صحبته ثابتة بالاشتهار القاصر عن رتبة التواتر وهو يفيد العلم النظرى عند كثير من العلماء. ويلتحق بهذه الرتبة من اتفقت كتب السير والمغازى والتواريخ على ذكره فى الصحابة وتسميته فى عدد من الغزوات ولم يوجد أحد خالف فى ذلك ولا أهمل ذكره فى ذلك. ويندرج فى هذا النوع خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم.

وإن كان فيهم من ليس له إلا الحديث الواحد أو الاثنان.

وثالثها: من لم يشتهر من جهة الرواية عنه ولكنه تضمنه كثير من كتب السير بالذكر، إما بالوفادة على النبى ﷺ، أو باللقاء اليسير، أو فى أثناء قصة أو غزوة له ذكر ونحو ذلك.

فهذه مرتبة دون التى قبلها.

ورابعها: من روى عنه أحد أئمة التابعين الذين لا يخفى عنهم مدعى الصحبة ممن هو متحقق بها، وأثبت له ذلك التابعى الصحبة أو اللقاء، أو جزم الرواية عنه عن النبى ﷺ غير معترض على ذلك، لما يلزم فى روايته عنه على هذا الوجه من تصديقه فيما ذكر من الصحبة والرواية، سواء سماه فى روايته عنه أو لم يسمه، بل قال: رجل، إذا كان التابعى كما وصفنا بحيث لا يخفى عنه ذلك. ولا فرق بين الحالتين والتابعى كذلك. إذ لا تضر الجهالة بعين الصحابى بعد ثبوت صحبته.

وخامسها: أن يقول من عرف بالعدالة والأمانة: سمعت رسول الله ﷺ أو رأيته يفعل كذا ونحو ذلك، ويكون سِنُّه يحتمل ذلك والسند إليه صحيح. فهذا

مقبول القول على الراجح، وفيه ما تقدم من الاحتمال. ونظيره: أن يروى أحد متقدمى التابعين عن رجل لم يسمه شيئاً يقتضى له صحبة، فإن القرائن هنا قائمة بصدقه منها:

ندرة كذب مثل ذلك فى ذلك العصر الأول.

ومنها: أن الظاهر من التابعى الكبير أنه لا يروى إلا عن صحابى. فإن انضم إلى ذلك وصفه بصفة خاصة، كرجل من أهل بدر أو من أهل بيعة الرضوان فهو أعلى من هذه المرتبة؛ لما تقدم أن مثل هؤلاء كان مشهوراً. فإذا وصفه التابعى الثقة بذلك كان كالتصريح باسمه وهو معروف. فتكون هذه الحالة حينئذ من المرتبة الرابعة.

وسادسها: أن يصح السند إلى رجل مستور لم تتحقق عدالته الباطنة ولا ظهر فيها ما يقتضى جرحه، فيروى حديثاً يتضمن أنه صحابى، إما بسماعه ذلك أو بمشاهدته شيئاً من أفعاله ﷺ ونحو ذلك، أو برواية مجردة إذا اكتفينا بها فى إثبات الصحبة. فهذا يتخرج على قبول رواية المستور. فمن قبله كان ذلك هنا بطريق الأولى لقرينة صدق مثل هذا. وأنه لم يوجد فى ذلك القرن من يدعى ذلك كذباً إلا نادراً جداً، ولعله لا يصح السند إليه.

ومن لم يقبل رواية المستور فى التابعين فمن بعدهم قد يقبل مثل هذا. وهو الذى عليه عمل ابن منده، وابن عبد البر وغيرهما ممن صنف فى الصحابة. لعدهم هذا الصنف فيهم من غير توقف فيهم، ومن العلماء من توقف فى حديثهم وإثبات الصحبة لهم كما تقدم.

وسابعها: أن يروى بعض صغار التابعين ومن ليس من أهل الميز منهم عن رجل مبهم ما يقتضى له صحبة. وهى أضعف المراتب وإن كان جماعة من الأئمة قبلوا مثل ذلك وأثبتوا حديثهم فى مسانيد الصحابة والرواة عنهم كما وصفت.

وكان ذلك - والله أعلم - لقرينة صدق ذلك الجيل الذى هو خير القرون. وأن مثل هذه المرتبة الشريفة لم يدعها أحد فى ذلك العصر كذباً. بخلاف الأعصار المتأخرة فقد رويت أحاديث عن جماعة ادعوا أنهم عُمِّروا وأن لهم صحبة. كما قد أولع كثير فى هذه الأزمان بحديث رتن الهندى، الذى ادعى الصحبة، وأنه عاش

إلى نحو الستمائة والخمسين. ولعله لا وجود له البتة. ووضعت عليه هذه الأحاديث. وإن كان له وجود وقد ادعى مثل ذلك فهو كذاب قطعاً، لا يستريب أحد من علماء أهل الأثر فى ذلك. وليس هذا موضع بسط الكلام فيه.

فأما فى ذلك العصر الأول فيعزُّ وجود من يدعى صحبة وهو فيها كاذب.

فهذا تقسيم بالغ فى تحقيق مراتب ما تثبت به الصحبة. مَنَّ الله به وله الحمد والمنة. ولم أر أحداً بسط الكلام فى هذه المسألة مع قوة الحاجة الداعية إليها.

والله الموفق للصواب وله الحمد كثيراً لا نحصى ثناء عليه»[١].

ثم قد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله ضابطاً جيداً يستفاد منه معرفة جمع كثير يكتفى فيهم بوصفٍ يدل على أنهم صحابة، وهذا الضابط مأخوذ من أمور ثلاثة:

أحدها: أنهم كانوا لا يؤمِّرون فى المغازى إلا الصحابة، فمن تتبع الأخبار الواردة فى حروب الردة والفتوح وجد من ذلك الشىء الكثير.

الثانى: قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: كان لا يُولد لأحدٍ مولودٌ إلاَّ أتى به النبى ﷺ، فَدَعَا له[٢]. وهذا أيضاً يؤخذ منه شىء كثير.

الثالث: لم يبق بمكة والطائف أحدٌ فى سنة عشرٍ إلا أسلم وشهد حجة الوداع، فمن كان فى ذلك الوقت موجوداً اندرج فيهم؛ لحصول رؤيتهم النبىَّ ﷺ، وإن لم يَرَهُم هو[٣].

عدد الصحابة والرواة منهم:

قال ابن الجوزى رحمه الله: «اعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ فيهم كثرةٌ تبعد الإحاطة بعددهم.

٣ ـ فقد روى عن ابن عباس أنه قال: خرج رسول الله ﷺ لعشر مَضَيْن من

(١) كتاب تحقيق منيف الرتبة صـ٥٦: ٥٩.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/٤٧٩، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبى بقوله: «لا والله، وميناء (مولى عبد الرحمن بن عوف) كذبه أبو حاتم».

(٣) انظر: الإصابة فى تمييز الصحابة ١/٩.

رمضان، فصام وصام الناس معه، حتى إذا كانوا بالكَدِيد[١] أفطر، ثم مضى فى عشرة آلافٍ من المسلمين حتى نزل مرَّ الظهران[٢].

٤ ـ وعن الزهرى قال: خرج رسول الله ﷺ كما يقال فى اثنى عشر ألفاً، أخفى الله مسيرهم على أهل مكة، حتى نزلوا بمر الظهران[٣].

وروى أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بإسنادٍ له عن أبى زرعة الرازى، أنه سُئل عن عدة من روى عن النبى ﷺ؟ فقال: ومَن يضبط هذا؟ شهد مع النبى ﷺ حجة الوداع أربعون ألفاً[٤].

٥ـ وعن أبى زرعة أن رجلاً قال: يا أبا زرعة، أليس يُقال: حديث رسول الله ﷺ أربعة آلاف حديث؟ قال: ومن قال ذا قلقل الله أنيابه؟ هذا قول الزنادقة. ومَنْ يحصى حديث رسول الله ﷺ؟ قُبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة، ممن روى عنه وسمع منه. قيل له: يا أبا زرعة، هؤلاء أين كانوا وسمعوا منه؟ قال: أهل المدينة، وأهل مكة، ومَنْ بينهما والأعراب، ومن شهد معه حجة الوداع»[٥].

وقال العراقى معقباً على كلام أبى زرعة الأخير: «وفى هذا التحديد بهذا العدد المذكور نظر كبير، وكيف يمكن الاطلاع على تحرير ذلك مع تفرق الصحابة فى البوادى والقرى، والموجود عن أبى زرعة بالأسانيد: أنه ترك التحديد فى

---

(١) الكَدِيد: ماء بين عُسْفان وقديد. قاله البخارى فى الصحيح ٤/ ١٨٠.

(٢) مرّ الظهران: بفتح الميم وتشديد الراء، والظهران: مثنى ظهر، وهو مكان معروف شمال مكة. (انظر: فتح البارى ٨/٧). والحديث أخرجه البخارى فى كتاب: الصوم، باب: إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر ٤/ ١٨٠ (١٩٤٤)، وباب: من أفطر فى السفر ليراه الناس ٤/ ١٨٦ (١٩٤٨)، وفى كتاب: الجهاد، وكتاب: المغازى (٢٩٥٣، ٤٢٧٥، ٤٢٧٦، ٤٢٧٧، ٤٢٧٨، ٤٢٩٥)، ومسلم فى كتاب: الصيام، باب جواز الصوم والفطر فى شهر رمضان للمسافر فى غير معصية ٢/ ٧٨٤ (١١١٣/ ٨٨)، وابن إسحاق (السيرة النبوية ٢/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠)، وأبو نعيم فى معرفة الصحابة ١/ ١٤٣ ـ ١٤٤ (٤٩).

(٣) مرسل: أخرجه أبو نعيم فى معرفة الصحابة ١/ ١٤٤ (٥٠، ٥١) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه الخطيب فى الجامع ٢/ ٤٤٧ (١٩٦٤)، وذكره العلائى وزاد: «وشهد معه تبوك سبعون ألفاً» (كتاب تحقيق منيف الرتبة صـ٤٤).

(٥) أخرجه الخطيب فى الجامع ٢/ ٤٤٨ (١٩٦٥)، وكلام ابن الجوزى هو فى تلقيح فهوم أهل الأثر صـ١٠٢ ـ ١٠٣، وهذا الكلام الأخير نقله ابن الصلاح ص٤٣٢ـ والعلائى فى تحقيق منيف الرتبة صـ٤٤، والسخاوى فى فتح المغيث ٣/ ١١٢.

ذلك، وأنهم يزيدون على مائة ألف...»[١].

ونقل ابن كثير عن الشافعى أنه قال: «روى عن رسول الله ﷺ ورآه من المسلمين نحو من ستين ألفاً»[٢].

وقال ابن حجر رحمه الله معقباً على كلام أبى زرعة:

«ومما يؤيد قول أبى زرعة ما ثبت فى الصحيحين عن كعب بن مالك فى قصة تبوك: «والناس كثيرٌ لا يحصيهم ديوان»[٣].

وثبت عن الثورى ـ فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح إليه ـ قال: من قدَّم عليّاً على عثمان فقد أزْرَى[٤] على اثنى عشر ألفاً مات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم.

فقال النووى: وذلك بعد النبى ﷺ باثنى عشر عاماً، بعد أن مات فى خلافة أبى بكر فى الردة والفتوح الكثير ممن لم يُضبط أسماؤهم، ثم مات فى خلافة عمر فى الفتوح وفى الطاعون العام وعمواس وغير ذلك من لا يحصى كثرة.

وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب، وأكثرهم حضروا حجة الوداع، والله أعلم»[٥].

ومع هذا العدد الضخم المذكور فإنه لم يصلنا من أسمائهم قدر العشر على أكبر تقدير، ففى كتاب «تجريد أسماء الصحابة» للذهبى، والذى استفاده من الكتب السابقة عليه، أقل من تسعة آلاف ترجمة، وفى كتاب «الإصابة» لابن حجر، وهو أوسع الكتب المصنفة فى ذلك، نحو اثنتى عشرة آلاف وثلاثمائة ترجمة، فيها عدد غير قليل من القسم الرابع، وهم الذين ذكروا فى الصحابة على سبيل الخطأ.

وأما الرواة منهم فأقل من ذلك بكثير جداً: حتى قال العلائى: «ومع هذا كله فأكبر الكتب المصنفة فى مسانيد الصحابة وأكثرها حديثاً مسند الإمام أبى عبد الله

(١) التقييد والإيضاح صـ٣٠٥. وانظر: الإصابة ١/٣.

(٢) الباعث الحثيث: صـ١٨٠.

(٣) جزء من حديث كعب بن مالك فى قصة المتخلفين عن غزوة تبوك، أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى باب حديث كعب بن مالك ٨/١١٣ ـ ١١٦(٤٤١٨ فتح ط دار الريان).

(٤) أزرى: احتقر، وانتقص، وتهاون (انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٣٠٢).

(٥) الإصابة ١/٤.

أحمد بن حنبل رحمه الله، وجمع فيه لمن سمّى من الصحابة من الرجال والنساء نحو سبعمائة وثلاثين نفساً، ومن المبهمين الذين لم يُسمَّوْا من الصنفين نيف وثلاثمائة»[١].

قلت: والمتتبع لكتب السنة الأخرى يرى فيها مسانيد لصحابة آخرين من الرجال والنساء، ليست لهم رواية فى مسند أحمد، لكنها ليست بالكثرة اللافتة.

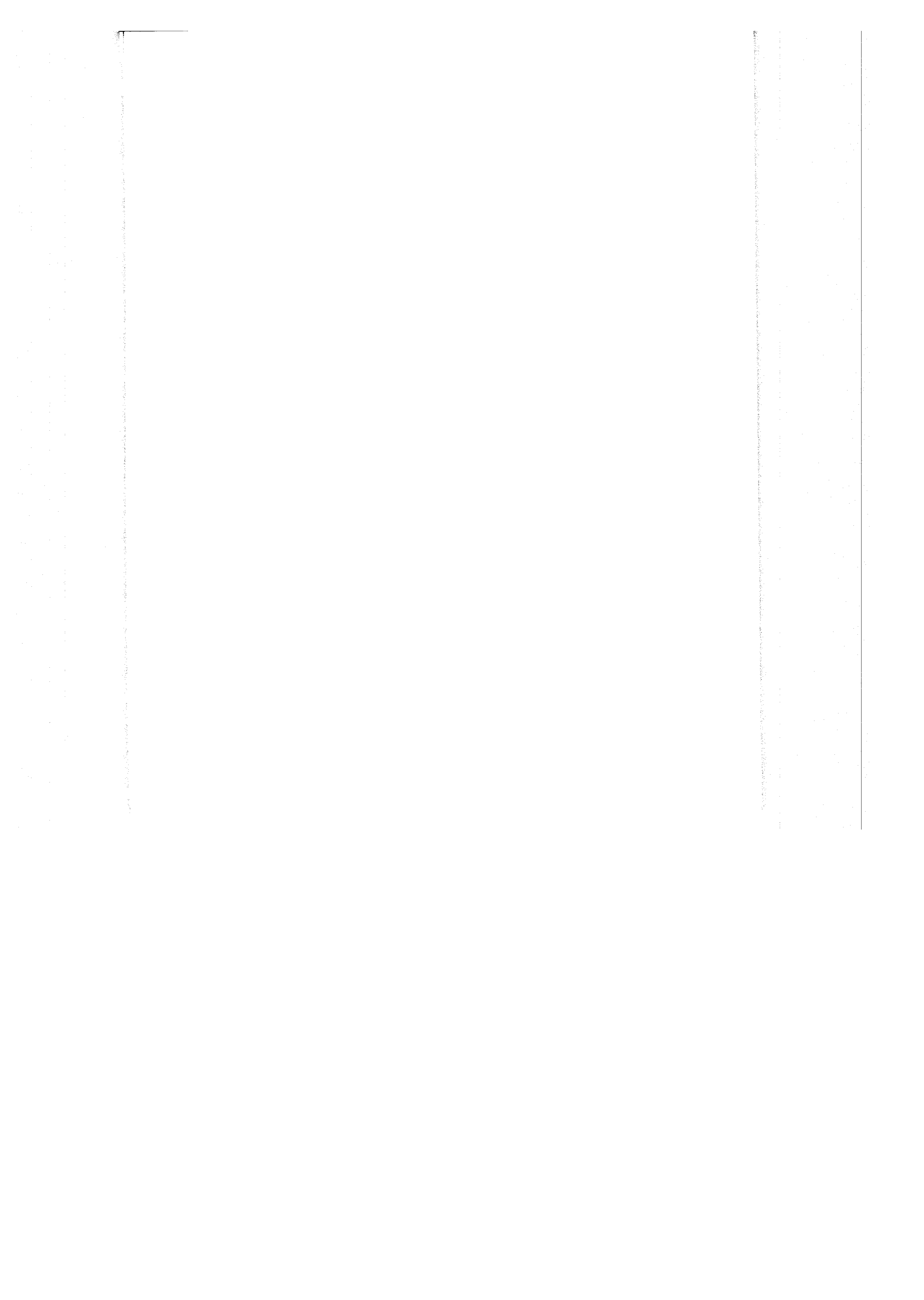
وفى رسالة ابن حزم الظاهرى «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد» بلغ عدد الصحابة الرواة (٩٩٩) تسعمائة وتسعة وتسعين اسما[٢].

ونقل الذهبى عن الحاكم أن عدد الصحابة الذين رووا الحديث أربعة آلاف، وتعقبه بأنهم نحو ألف وخمسمائة صحابى، لا يبلغون ألفين أبدا[٣].

وذكر ابن الجوزى أسماء من روى عن رسول الله ﷺ من جميع أصحابه[٤]، فبلغت ـ على حسب عدّ الدكتور أكرم ضياء العمرى[٥] ـ (١٨٥٨) ألفا وثمانمائة وثمانية وخمسين اسماً».

ولكن ـ على أية حال ـ فإنه لا يلزم من عدم وصول رواية عمن لم يذكروا فى الرواة أن لا يكونوا رووا شيئاً، بل قد يكون ما رووه نسِى، أو اكتفى بغيره عنه، أو كان حملته ممن لا يحمل عنهم العلم، أو غير ذلك من الأسباب، والله أعلم.

(١) كتاب تحقيق منيف الرتبة صـ٤٤.
(٢) طبعت الرسالة عدة مرات منها طبعة مكتبة القرآن بالقاهرة، بتحقيق مسعد عبد الحميد السعدنى.
(٣) تجريد أسماء الصحابة ص (ب، جـ) من المقدمة.
(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر صـ٢٨٤ : ٣٦١.
(٥) فى كتاب «بحوث فى تاريخ السنة المشرفة» صـ٣٨٤.



الفصل الثانى
عدالة الصحابة

الذى عليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً أن الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدولٌ، لا يحتاج أحدٌ منهم إلى السؤال عن حاله، أو الفحص عن عدالته، متى ثبتت له الصحبة، والأدلة على ذلك من وجوه، ذكرها العلماء، وجمعها الحافظ العلائى، وأنا أختصرها هنا إن شاء الله تعالى، على قدر الحاجة الموفية بغرض البحث:

١ـ الوجه الأول: ثناء الله تعالى عليهم، ومدحه إياهم، ووصفه لهم بكل جميل، حيث قال عز وجل ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة ١٠٠].

وقال عز وجل فى وصف المهاجرين والأنصار ومن أسلم بعدهم ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⟨٨⟩ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⟨٩⟩ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر ٨ : ١٠]

وقال عز وجل فى أهل بيعة الرضوان ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾[الفتح١٨].

وغير ذلك من الآيات.

٢ـ الوجه الثانى: ثناء النبى ﷺ عليهم، وإخباره بما فضلهم الله تعالى به:

٦ـ فمن ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: **«خير الناس قرنى، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادةُ أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»**(١).

وروى هذا الحديث عن عمران بن الحصين، وعائشة، وأبى هريرة(٢)، وغيرهم.

٧ـ ومن ذلك ما رواه واثلة بنُ الأسقع رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآنى وصاحَبَنى»**(٣).

٨ ـ وعن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: **«لاتَسبُّوا أصحابى، فو الذى نفسى بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**(٤).

٩ـ وعن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله تعالى اختارنى، واختار لى أصحابا، فجعل لى منهم وزراء، وأنصاراً، وأصهاراً، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقْبَل منه يوم القيامة صرف، لا عدل»**(٥).

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب فضائل أصحاب النبى ﷺ ٧/ ٣ (٣٦٥١)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٤/ ١٩٦٢ - ١٩٦٣ (٢٥٣٣ / ٢١٠: ٢١٢).

(٢) انظر: البخارى (٢٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥) ومسلم (٢٥٣٥/ ٢١٤, ٢١٥)

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٢/ ٨٥ـ٨٦ (٢٠٧)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٠: «رواه الطبرانى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح»، وقال العلائى فى تحقيق منيف الرتبة ص٧٠: «إسناده صحيح»، وأخرجه أبو نعيم فى «معرفة الصحابة» ١/ ١٣٣ ـ ١٣٤ (٣٧) عن الطبرانى به.

(٤) حديث أبى سعيد أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبى ﷺ«لو كنتُ متخذاً خليلاً» ٧/ ٢١ (٣٦٧٣)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة رضى الله عنهم ٤/ ١٩٦٧ ـ١٩٦٨ (٢٥٤١/ ٢٢٢)، وأبو داود فى كتاب: السنة، باب: النهى عن سب أصحاب رسول الله ﷺ ٤/ ٢١٤ (٤٦٥٨)، والترمذى فى كتاب: المناقب، باب: رقم (٥٩) (بدون) ٥/ ٦٩٥ ـ ٦٩٦ (٣٨٦١)، وأحمد ٣/ ١١، ٥٤ ـ ٥٥، ٦٣، وفى فضائل الصحابة له ص٥٠ ـ ٥١ (٥: ٧)، والضياء المقدسى فى «النهى عن سب الأصحاب »ص٦١ (١).

وحديث أبى هريرة أخرجه مسلم (٢٥٤٠/ ٢٢١)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: فى فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ١/ ٥٧ (١٦١)، والضياء فى «النهى عن سب الأصحاب (٢).

(٥) أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة (١٠٠٠)، والطبرانى فى الكبير ١٧/ ١٤٠ (٣٤٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٧: «فيه من لم أعرفه»، وصححه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٦٣٢، ووافقه الذهبى، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢/ ١١، والضياء المقدسى فى النهى عن سب الأصحاب ص٦٥ (٥)، وله شواهد متعددة.

٣ـ الوجه الثالث: الإجماع على ذلك ممن يُعْتَد به من أهل السنة والجماعة، ولا عبرة بخلاف المعتزلة والخوارج وغيرهم من المبتدعة.

وهذا الإجماع من أهل السنة عام فى جميع الصحابة، ولا فرق فى هذا بين مَنْ لابَسَ الفتن ومن لم يُلابسها؛ إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهَّد لهم من المآثر وكأن الله سبحانه أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة، والله أعلم.

٤ـ الوجه الرابع: إذا كان يكتفى فى التعديل بإخبار الواحد منا وتزكيته مع أنه لا يعلم عن المزَكَّى إلا بعض الظواهر، ومع عدم عصمة المزكِّى من الكذب، فكيف لا نكتفى بتزكية الله علام الغيوب، وتزكية النبى ﷺ، والله قد علم، وأطلع نبيه على علمه بما سيقع بين الصحابة من فتنٍ وحروبٍ، ومع ذلك كانت التزكية للجميع.

٥ـ الوجه الخامس: إذا كان المشتهر بالإمامة فى العلم والدين ـ كمالك والسفيانين والشافعى والبخارى وأمثالهم ـ لا يحتاج إلى التعديل أو البحث عن حاله، باتفاق العلماء، فإن الصحابة أولى بذلك، لما عرفوا به من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأولاد ومفارقة الأوطان والأموال، فى سبيل نصرة دين الله، ولما اشتهروا به من نشر العلم وفتح البلاد والاشتداد فى أمور الدين حتى لا تأخذهم فى الله لومة لائم، فهم أحق وأولى بعدم الحاجة إلى التزكية أو الكشف عن أحوالهم، لأنهم أفضل من جميع المعدِّلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

ويرحم الله الحافظ أبا زرعة الرازى الذى قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[١].

---

(١) الكفاية ص٩٧. وانظر فى الإجماع على عدالة الصحابة وأدلة ذلك ما يلى: فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ٤٧: ٦٤، الكفاية للخطيب ص٩٣: ٩٨، النهى عن سب الأصحاب للضياء المقدسى ص٦١: ٧٠، مقدمة ابن الصلاح صـ٤٢٨، كتاب تحقيق منيف الرتبة ص٦٠: ٩٢، الباعث الحثيث ص١٧٦: ١٧٧، التقييد والإيضاح ص٣٠١، تدريب الراوى ٢/ ٢١٤: ٢١٦، عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام رضى الله عنهم ١/ ٥٥: ١١٢، والفصل الثانى من الباب الثالث بعنوان: إثبات عدالتهم رضى الله عنهم ٢/ ٧٩٥ : ٨٢٥، وغير ذلك من المصادر.

تفاضل الصحابة رضى الله عنهم وطبقاتهم:

لا يعنى القول بعدالة جميع الصحابة رضوان الله عليهم أنهم متساوون فى الرتبة، متماثلون فى الفضل، كلاً، بل هم متفاوتون فى ذلك بسبب السبق فى الإسلام والهجرة وشهود المشاهد الفاضلة مع رسول الله ﷺ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [الحديد ٩]

وفى قوله تعالى ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [النساء ٩٥] وفى غير ذلك من الآيات الكريمة والذى استقر عليه إجماع أهل السنة والجماعة أن أفضلهم - بل أفضل الخلق بعد الأنبياء - أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم على بن أبى طالب رضى الله عنه، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل أُحُدٍ، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية.

وممن لهم مزية فضل على غيرهم: السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار[1].

قال ابن الجوزى: «المهاجرون فى الجملة أفضل من الأنصار، وهم الذين هجروا أوطانهم، وخرجوا إلى رسول الله ﷺ، وهم ينقسمون، فمنهم المهاجرون الأولون، واختلف فيهم: فروى عن أبى موسى وسعيد بن المسيب قالا: «من صلى إلى القبلتين فهو من المهاجرين الأولين»، وروى عن الشعبى وابن سيرين أنهما قالا: « المهاجرون الأولون من أدرك بيعة الرضوان»

(١) انظر فى ذلك: مقدمة ابن الصلاح صـ٤٣٤، الباعث الحثيث ص١٧٧: ١٧٩، التقييد والإيضاح ص٣٠٧، تدريب الراوى ٢/ ٢٢٢: ٢٢٥.

ثم الصحابة على سوابقهم وأعمالهم. ورُب متأخر الإسلام سبق متقدماً، كعمر رضى الله عنه.

ورُبَّ غائبٍ عن بدر وبيعة الرضوان سبق أكثر أهلها كعثمان رضى الله عنه»[(١)].

وقد جعلهم الحاكم اثنتى عشرة مرتبةً أو طبقة على النحو التالى:

١ـ **أولهم**: قوم أسلموا بمكة مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم رضى الله عنهم.

٢ـ **الطبقة الثانية**: أصحاب دار الندوة، وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أسلم وأظهر إسلامه حمل رسول الله ﷺ إلى دار الندوة، فبايعه جماعة من أهل مكة.

٣ـ **الثالثة**: مهاجرة الحبشة.

٤ـ **الرابعة**: الذين بايعوا عند العقبة البيعة الأولى.

٥ـ **الخامسة**: أصحاب العقبة الثانية، وأكثرهم من الأنصار.

٦ـ **السادسة**: أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، قبل أن يدخلوا المدينة، ويُبنى المسجد.

٧ـ **السابعة**: أهل بدر.

٨ ـ **الثامنة**: المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

٩ـ **التاسعة**: أهل بيعة الرضوان بالحديبية.

١٠ـ **العاشرة**: المهاجرة بين الحديبية والفتح.

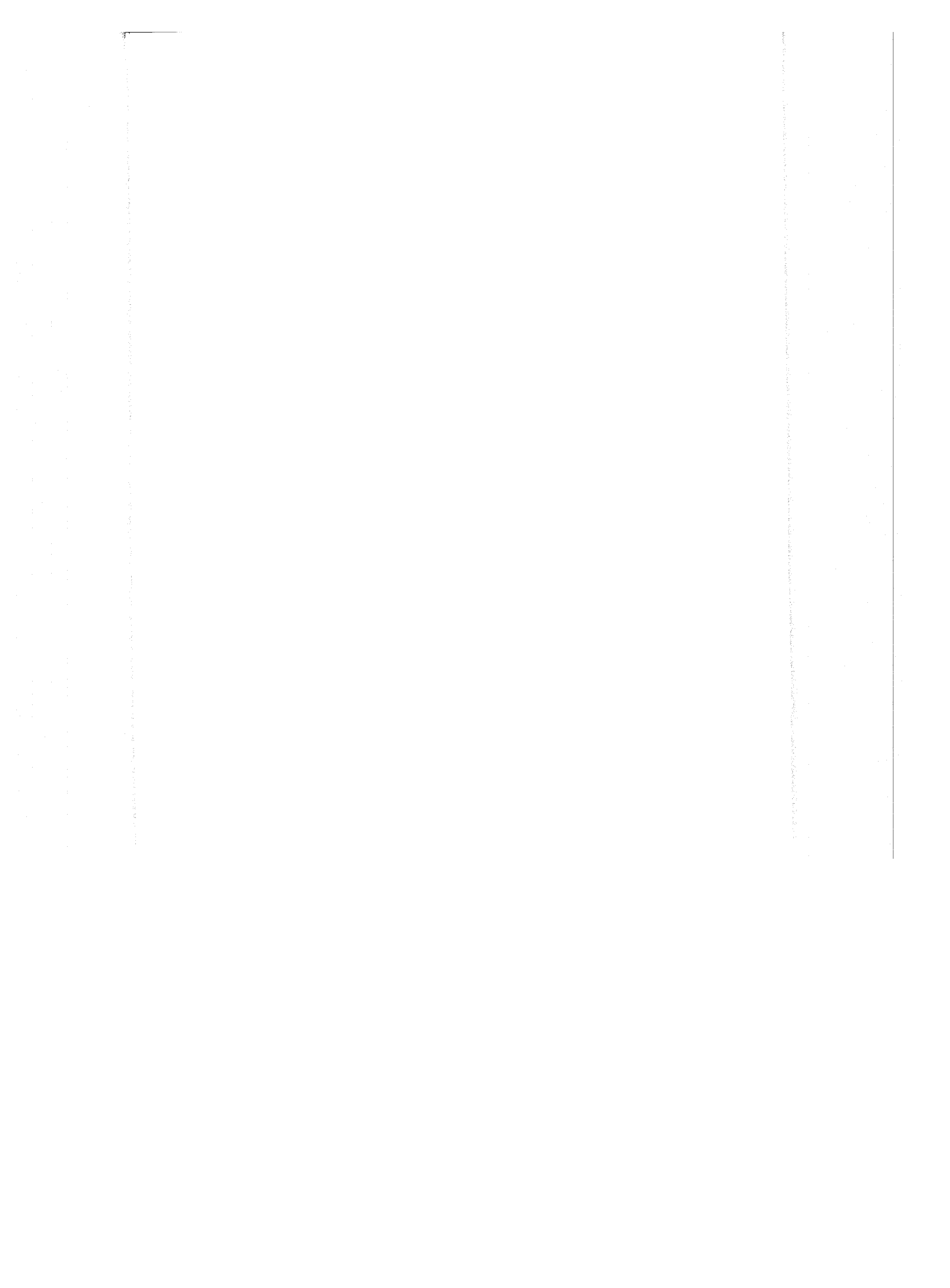
١١ـ الذين أسلموا يوم الفتح.

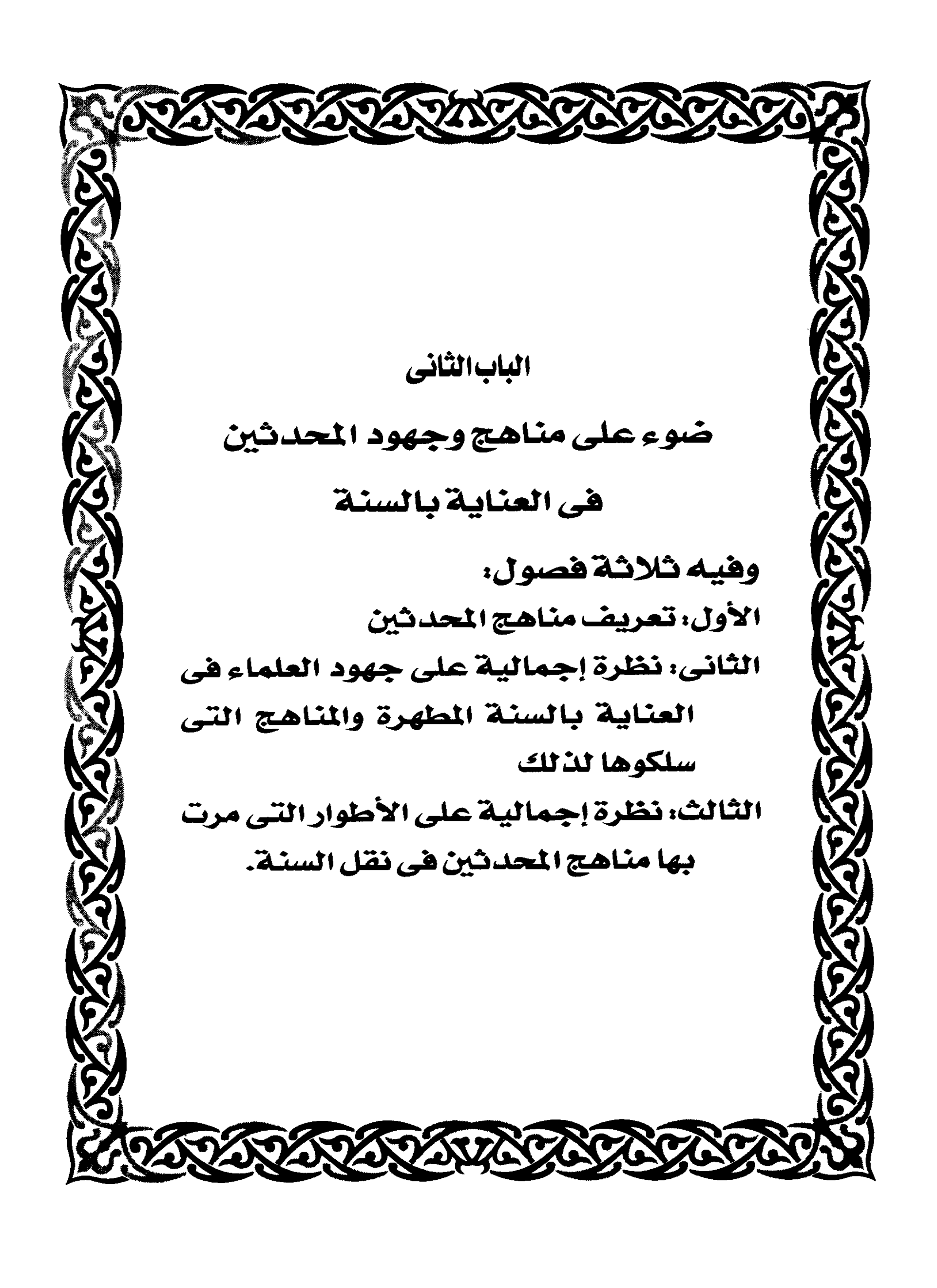
١٢ ـ صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح وفى حجة الوداع وغيرها[(٢)].

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ص١٠٢.

(٢) انظر: معرفة علوم الحديث ص٢٢ : ٢٤.





الباب الثانى

ضوء على مناهج وجهود المحدثين فى العناية بالسنة

وفيه ثلاثة فصول:

الأول: تعريف مناهج المحدثين

الثانى: نظرة إجمالية على جهود العلماء فى العناية بالسنة المطهرة والمناهج التى سلكوها لذلك

الثالث: نظرة إجمالية على الأطوار التى مرت بها مناهج المحدثين فى نقل السنة.



الفصل الأول

تعريف مناهج المحدثين

«مناهج المحدثين» مركب إضافى يحتاج لتعريف جزأيه المضاف والمضاف إليه قبل تعريفه.

فالمناهج: جمع مَنْهَج ومنهاج ونَهْج، ومعناه: الطريق الواضح.

ونَهَج الطريق: أبانه وأوضحه، ونهج الطريق أيضاً: سلكه.

وانتهج الطريق: استبانه، واستنهج الطريقُ: صار نهجاً.

ونَهَجَ فلانٌ سبيل فلان: سلك مسلكه.

وأَنْهَجَ الطريقُ: وضح. قال يزيد بن حذاق الشَّنِّى:

ولقد أضاء لك الطريقُ وأنهجت منه المسالكُ والهدى يُعدى

والنهَجَ - بالتحريك -: البُهْرُ وتتابعُ النفَس، وفعله: نَهِج من باب فَرِح وطَرِب، ومشى حتى أُنْهِج: لهث من البُهْر، وأتانا فلانٌ ينهج: إذا أتى مبهوراً مقطوع النَّفَس، وأنهج الدابةَ: سار عليها حتى انبهرت، وأنهج الثوبَ وأنهجه البِلى: أَخْلَق، ونهج - بفتح الهاء وكسرها وضمها - الثوبُ: بلى، وضربتُه حتى أنهج: أى سقط[1].

وعلى هذا فالمناهج هى: الطرق والسبل الواضحة المسلوكة، حِسِّيَّةً كانت أو معنوية.

وفى القرآن الكريم ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

والمحدِّثون: جمع محدِّث، ورجل محدّثٌ، وحَدُثٌ - بفتح فضم -، وحدِثٌ، بفتح فكسر - وحِدْثٌ - بكسر فسكون -، وحِدّيث - كسكين -: كل ذلك بمعنى

(١) انظر فى ذلك: مجمل اللغة لابن فارس ٢/ ٨٤٥ بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ط٢ سنة ١٩٨٦م مؤسسة الرسالة - والقاموس المحيط للفيروز آبادى ١/ ٢١٠ الطبعة الثالثة ١٣٥٣هـ المطبعة المصرية. وأساس البلاغة للزمخشرى ص٩٩٨ ط الشعب، ومختار الصحاح للرازى ص ٦٨١ط دار القلم.

واحد: أى كثير الحديث، حسن السياق له[١].

والمقصود بالمحدِّث فى اصطلاح العلماء: من له عناية بحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية ودراسةً وتعليماً وتصنيفاً وتدويناً وتأليفاً.

قال تاج الدين السبكى فى كتابه «معيد النعم»:

«المحدِّث: مَنْ عرَف الأسانيدَ والعللَ، وأسماءَ الرجال، والعالىَ والنازلَ، وحفظ مع ذلك جملةً مستكثرةً من المتون وسمع الكتب الستة ومسند أحمد بن حنبل وسنن البيهقى ومعجم الطبرانى، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية.

هذا أقل درجاته، فإذا سمع ما ذكرناه، وكتب الطباق، ودار على الشيوخ، وتكلم فى العلل والوفيات والمسانيد، كان فى أول درجات المحدِّثين، ثم يزيد الله من يشاء ما يشاء»[٢].

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس: «وأما المحدِّث فى عصرنا فهو: من اشتغل بالحديث روايةً ودرايةً، وجمعَ رواةٍ، واطلع على كثير من الرواة والروايات فى عصره، وتميز فى ذلك، حتى عُرِف فيه خطه، واشتهر فيه ضبطه.

فإن توسع فى ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخَ شيوخه، طبقةً بعد طبقة، بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقه أكثر مما يجهله منها، فهذا هو الحافظ»[٣].

وعادة ما يطلق على المشتغلين بالحديث أيّاً كانت درجاتهم فيه أنهم محدثون.

وعلى ذلك فيمكننا أن نقول فى تعريف «**مناهج المحدثين**»:

إنها هى الطرائق الواضحة التى أوضحها وسلكها المشتغلون بالحديث روايةً ودرايةً فى تعاملهم مع السنة، وعرضهم إياها فى مناحيها المختلفة، بعلومها المتعددة، مسندة كانت أو غير مسندة، مستوعبة لجميع أبوابها أو مقتصرة على بعضها، مبينة درجة الصحة أو غير مبينة[٤].

---

(١) انظر: القاموس ١/ ١٦٤، وتاج العروس للزبيدى ١/ ٦١٢ ط ١٣٠١هـ المطبعة الخيرية بمصر، وأساس البلاغة ص١٥٨.

(٢) تدريب الراوى ١/ ٤٦ بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة دار التراث الثانية ١٩٧٢.

(٣) السابق ١/ ٤٨.

(٤) مدرسة الحديث فى مصر حتى القرن العاشر الهجرى صـ٩٥.

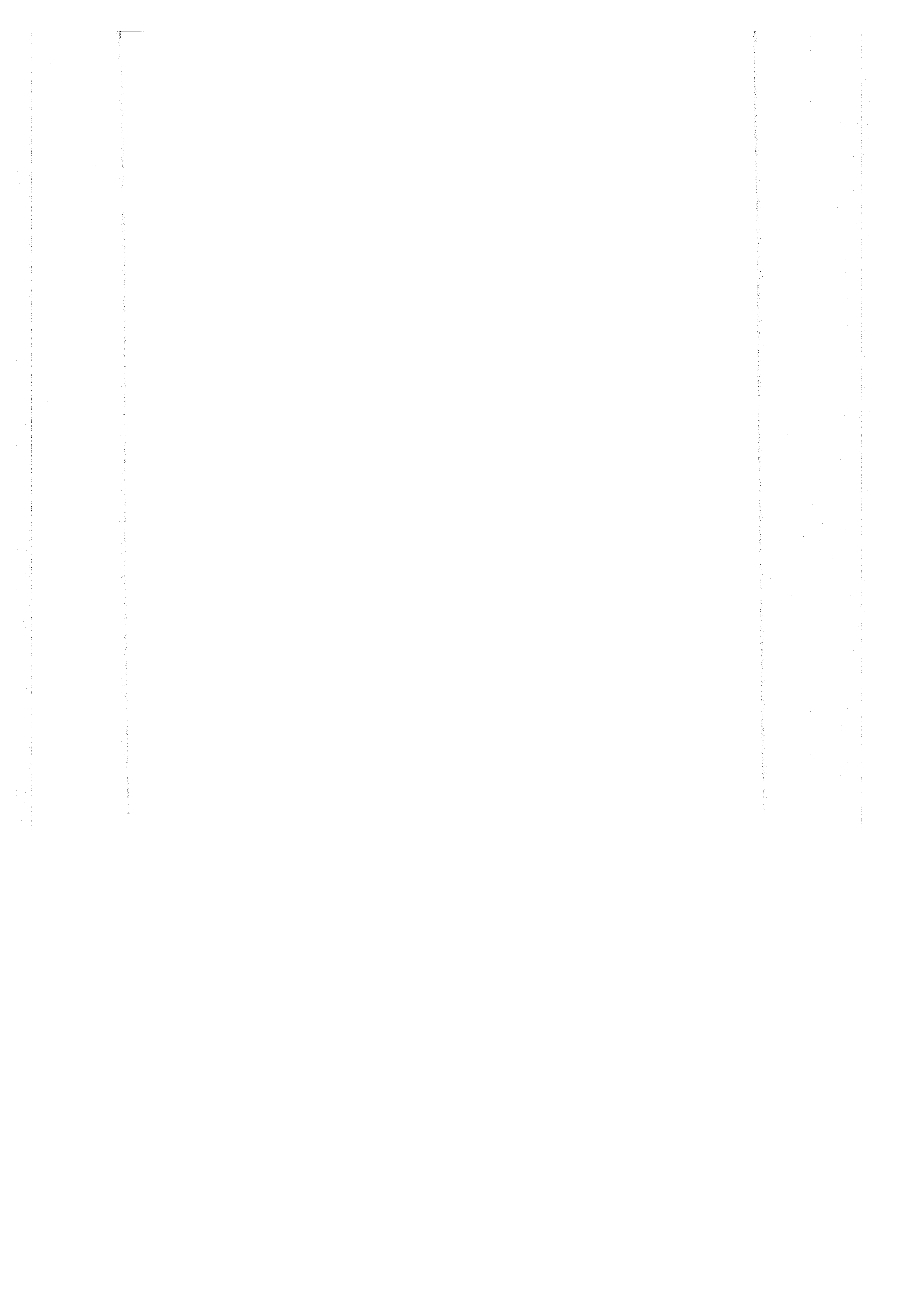
وبعبارة أخرى: هى الطرق والسبل التى سلكها المحدثون لصيانة السنة والذب عنها أمام تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وكذلك الطرق أو السبل التى ساروا عليها فى التأليف، والتصنيف، والنقد، مع تقييم هذه الطرق أو هذه السبل تقييماً موضوعيّاً، مجرداً عن الهوى والعصبية(١).

وقد مرت هذه المناهج بأدوار وأطوار متعددة من لدن صاحب الرسالة إلى يومنا هذا، من حفظٍ للسنة فى الصدور، وتدوينٍ لها فى الصحف، وجمعٍ لمنثورها، وتهذيبٍ لكتبها، ونفيٍ لما اندسَّ فيها، واستنباطٍ من عيونها، وتأليفٍ بين كتبها، وشرحٍ لغامضها، ونقدٍ لرواتها، إلى غير ذلك مما يعرفه القائمون على خدمتها، والعاملون على نشر رايتها(٢).

قام بذلك كله أئمةٌ أعلامٌ بذلوا جهوداً جبارةً فى العناية بالسنة، سنشير إلى بعضها باختصار.

---

(١) انظركتاب: شفاء الصدور فى تاريخ السنة ومناهج المحدثين للدكتور السيد نوح ٢٩/١ ط دار النذير بالمنصورة سنة ١٩٨٠م.
(٢) تاريخ فنون الحديث. للأستاذ محمد عبد العزيز الخولى صـ٩.



الفصل الثانى

نظرة إجمالية على جهود العلماء

فى العناية بالسنة والمناهج التى سلكوها لذلك

لقد عرف العلماء قيمة السنة المطهرة فى الإسلام، ولذلك أَوْلَوْها عنايةً فائقةً، فى مختلف العصور، من لدن القرن الأول إلى يومنا هذا، إذْ توافروا عليها حفظاً، وجمعاً وتدويناً وتصنيفاً، كما اجتهدوا فى معرفة الرواة وتمييز الصحيح من السقيم، وتسابقوا فى خدمة السنة، واستكثروا من الدراسات الدائرة حولها: سنداً ومتناً، روايةً ودرايةً، حتى إنَّ الناظر إلى جهودهم فى ذلك ليقف منبهراً بما كانوا عليه من هممٍ عاليةٍ وعزائمَ ماضيةٍ فى العمل للسنة الكريمة.

وإن الإنسان لتزداد دهشته وهو يستعرض تلك العلوم الكثيرة التى اهتم بها العلماء لتخدم سنة رسول الله ﷺ، فكان من نتاجها تلك المكتبة الحديثية الضخمة التى لا يتسع عمر المرء لقراءتها؛ بَلْهَ استيعابها.

وكانت مناهجهم فى الرواية والنقد والتصنيف من الدقة والعمق، بحيث لم تلحق بها ثقافةٌ من الثقافات فى القديم والحديث.

ويوضح القاضى أبو محمد الرامهرمزى بعض جوانب هذه الدقة، وهو يرد على من يتهم المحدثين بالجهل وضعف العقل، فيقول:

«وكان الحسن بن على السراج يقول: «يزعمون أن أصحاب الحديث أغمار وحملة أسفار» وكيف يلحق هذا النعتُ قوماً ضبطوا هذا العلم حتى فَرقوا بين الياء والتاء؟

١٠ - فمن ذلك أن أهل الكوفة رووا حديث إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم، عن المستورد بن شداد؛ أن النبى ﷺ قال: «**ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يضرب أحدكم أصبعه فى اليم، فلينظر بم ترجع**»[(١)].

فقالوا: ترجع، بالتاء؛ جعلوا الفعل للأصبع وهى مؤنثة. وروى أهل البصرة عن إسماعيل هذا الحديث فقالوا: يرجع بالياء؛ جعلوا الفعل لِلْيَمِّ.

قال القاضى [الرامهرمزى]: وضبطوا الحرفين يشتركان فى الصورة، يُعْجَم

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الجنة وصفها ونعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا ٤/ ٢١٩٤ (٥٥٢٨٥٨) والترمذى - وقال: حسن صحيح - فى كتاب الزهد، باب ما جاء فى هوان الدنيا على الله ٤/ ٤٨٦ (٢٤٢٥)، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: مثل الدنيا ٢/ ١٣٧٦ (٤١٠٨)، وأحمد ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠.

أحدهُما، ولا يُعْجَم الآخر.

١١ ـ كقوله عليه السلام: «**ينضح على بول الصبى**»[١] بالحاء غير معجمة، وفى الحديث الآخر: نضخه بالماء، بالخاء، والنضخ بالخاء معجمة فوق النضح[٢].

وأخبرنا أبو خليفة أن التوَّزِى قال: النضخ مجتمع، والنضح متفرق. وكذلك: النهش، والنهس، بالشين والسين[٣]. والرضخ، والرضح،[٤] والقبض والقبص[٥].

١٢ ـ وحفظوا من قال: «**كيف أنت إذا بقيتَ فى حُفَالةٍ من النَّاس**»[٦] بالفاء، ومن قاله بالثاء[٧].

١٣ ـ ومن روى: «**رحمة مهداة**»[٨] بكسر الميم، من الهداية، ومن رواه بالضم من الهديَّة.

(١) فى حديث على رضى الله عنه «**يغسل من بول الجارية وينضح من بول الغلام ما لم يطعم**» أخرجه أبو داود فى كتاب: الطهارة، باب: بول الصبى يصيب الثوب ١/ ١٠٣ (٣٧٧)، والترمذى ـ وقال: حديث حسن ـ فى أبواب السفر، باب: ما ذكر فى نضح بول الغلام الرضيع ٢/ ٥٠٩ (٦١٠)، وابن ماجه فى كتاب: الطهارة: ما جاء فى بول الصبى الذى لم يطعم ١/ ١٧٤ ـ ١٧٥ (٥٢٥)، وأحمد ١/ ٧٦، ٩٧، ١٣٧، وصححه ابن خزيمة ١/ ١٤٣ ـ ١٤٤ (٢٨٤)، وابن حبان ٤/ ٢١٢ (١٣٧٥)، والحـــاكم على شرطهما ووافقه الذهبى ١/ ١٦٥ ـ ١٦٦. وللحديث شواهد كثيرة فى الصحيح. انظر تلخيص الحبير ١/ ٣٧ ـ ٣٩.

(٢) زاد ابن الأثير فى النهاية ٥/ ٧٠ وقيل: هو بالخاء المعجمة فيما ثخن كالطيب، والمهملة فيما رق كالماء، وقيل: هما سواء، وقيل بالعكس ثم قال: وقد اختلف فيهما أيهما أكثر، والأكثر أنه بالمعجمة أقل من المهملة، وقيل: هو بالمعجمة: الأثر يبقى فى الثوب والجسد، وبالمهملة: الفعل نفسه، وقيل: بالمعجمة: ما فعل تعمُّدا، وبالمهملة: من غير تعمد.

(٣) النهس بالمهملة: أخذ اللحم بأطراف الأسنان، والنهش بالمعجمة: الأخذ بجميعها. انظر النهاية ٥/ ١٣٦.

(٤) الرضح، بالحاء المهملة: كسر الشىء ودقه كالنوى وما أشبهه، والرضخ بالمعجمة: الكسر. انظر المجمل فى اللغة ص ٣٨١ والقاموس المحيط ١/ ٢٢٣ و ٢٦٠.

(٥) القبص، بالصاد المهملة: الأخذ بأطراف الأصابع، وبالضاد المعجمة: الأخذ بجميع الكف. النهاية ٤/ ٥، ٦.

(٦) الحديث عن عبد الله بن عمرو، أخرجه البخارى مختصراً فى كتاب: الصلاة، باب: تشبيك الأصابع فى المسجد وغيره ١/ ٥٦٥ (٤٨٠)، وأخرجه أبو داود فى كتاب الملاحم باب الأمر والنهى ٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤ (٤٣٤٢)، وابن ماجه فى كتاب: الفتن، باب: التثبت فى الفتنة ٢/ ١٣٠٧ ـ ١٣٠٨ (٣٩٥٧)، وأحمد ٢/ ١٦٢، ٢٢٠، ٢٢١.

(٧) الحُثالة: الردىء من كل شىء، وحثالة الناس: أراذلهم، وهو نفس معنى الحفالة، انظر النهاية ١/ ٣٣٩ و ٤٠٩.

(٨) من حديث مرسل عن أبى صالح السمان، أخرجه الدارمى فى المقدمة باب: كيف كانَ أول شأن النبى ﷺ ١/ ٢١ (١٥).

١٤ ـ والنهى عن المخاضرة[١] بالضاد، وهى: بيع البقل والكراث قبل أن يجزّ جزة.

١٥ ـ وعن المخاصرة بالصّاد غير معجمة، وروى أيضاً الاختصار[٢]، وهو أن يمسك الرجل يده على خاصرته فى الصلاة.

١٦ـ ونهى عن القَزَع،[٣] بالقاف والزاى المعجمة، وهو أن يحلق رأس الصبى، ويترك وسطه.

١٧ ـ وعن الفَرع،[٤] بالفاء والراء غير معجمة، وهو ذبائحهم لآلهتهم.

١٨ ـ وعن القَرْع،[٥] بالقاف والراء غير مجمعة، وهو الانتباذ فى القرع، يعنى ظرف الدُّبَّاء.

---

(١) حديث النهى عن المخاضرة رواه أنس بن مالك قال: «نهى النبى ﷺ عن المحاقلة والمخاضرة والملامسة لنابذة والمزابنة». أخرجه البخارى فى كتاب: البيوع باب: بيع المخاضرة ٤/ ٤٠٤ (٢٢٠٧).

(٢)حديث النهى عن الخصْر فى الصلاة، عن أبى هريرة، أخرجه البخارى فى كتاب: العمل فى الصلاة، باب: الخصر فى الصلاة ٣/ ٨٨ (١٢١٩، ١٢٢٠)، ومسلم فى كتاب: المساجد، باب: كراهة الاختصار فى الصلاة ١/ ٣٨٧ (٥٤٥/ ٤٦)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: الرجل يصلى مختصرًا ١/ ٢٤٩ (٩٤٧)، والترمذى فى كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فى النهى عن الاختصار فى الصلاة ٢/ ٢٢٢ (٣٨٣)، والنسائى فى كتاب افتتاح الصلاة، باب : النهى عن التخصر فى الصلاة ٢/ ١٢٧، وأحمد ٢/ ٢٣٢، ٢٩٠، ٢٩٥، ٣٣١، ٣٩٩، والدارمى فى كتاب: الصلاة، باب : النهى عن الاختصار فى الصلاة ١/ ٣٩٢ (١٤٢٨).

(٣) حديث النهى عن القزع عن ابن عمر، أخرجه البخارى فى كتاب: اللباس، باب: القزع ١٠/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ (٥٩٢٠ ـ ٥٩٢١)، ومسلم فى كتاب: اللباس، باب: كراهة القزع ٣/ ١٦٧٥ (٢١٢٠/ ١١٣)، وأبو داود فى كتاب: الترجل، باب: فى الذؤابة ٤/ ٨٣ (٤١٩٣ ـ ٤١٩٤)، والنسائى فى كتاب: الزينة، باب: النهى عن القزع ٨/ ١٣٠، وباب: النهى عن أن يحلق بعض شعر الصبى ويترك بعضه ٨/ ١٨٢ ـ ١٨٣، وابن ماجه فى كتاب: اللباس، باب: النهى عن القزع ٢/ ١٢١٠ (٣٦٣٧ ـ ٣٦٣٨)، وأحمد ٢/ ٤، ٣٩، ٥٥، ٦٦، ٦٧، ٨٢، ٨٣، ١٠١، ١١٨، ١٣٧، ١٤٣، ١٥٤.

(٤) حديث النهى عن الفرع عن أبى هريرة، أخرجه البخارى فى كتاب: العقيقة، باب: الفرع وباب: العتيرة ٩/ ٥٩٦ (٥٤٧٣ ـ ٥٤٧٤)، ومسلم فى كتاب: الأضاحى، باب: الفرع والعتيرة ٣/ ١٥٦٤ (١٩٧٦/ ٣٨)، وأبو داود فى كتاب: الضحايا، باب: فى العتيرة ٣/ ١٠٥ (٢٨٣١)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الأضاحى، باب: فى الفرع والعتيرة ٤/ ٨٠ ـ ٨١ (١٥١٢)، وابن ماجه فى كتاب: الذبائح، باب: الفرعة والعتيرة ٢/ ١٠٥٨ (٣١٦٨)، وأحمد ٢/ ٢٣٩، ٤٩٠.

(٥) حديث النهى عن القرع عن ابن عمر، أخرجه النسائى فى كتاب: الأشربة، باب: النهى عن نبيذ الدباء والمزفت ٨/ ٣٠٥، وباب تفسير الأوعية ٨/ ٣٠٨، ٣٠٩، وابن ماجه فى كتاب الأشربة، باب النهى عن نبيذ الأوعية ٢/ ١١٢٧ (٣٤٠٢)، وأحمد ٢/ ٣، ٥٦، ١٠٢.

وضبطوا اختلاف حركة الأسماء المتفقة صورها، فُميِّز عَبِيدة من عُبَيْدة، وعُمَارة من عمارة، وعُبادة من عَبادة، وحَبَّان من حِبان، وسُليم من سَليم، ومَعقل من مُعقَّل، ومَعْمَر من مُعَمَّر، وحَبِيب من حبُيَبْ، وبَشِير من بُشَيْر.

وتوصلوا إلى معرفة الأسماء والألقاب والأنساب، فقالوا: فلان البدرى شهد بدراً، وأبو مسعود البدرى كان ينزل ماء بدر، وليس ممن شهد بدراً، وفلان القارىء، من قراءة القرآن، وعبد الرحمن بن عبدٍ القارِى، من القارة، وهم بنو الهون بن خزيمة، وعمير مولى آبى اللحم، على وزن فاعل، من الأباة، لأنه كان يأبى أن يأكل اللحم، فلُقِّب به، وليس بكنية، ويزيدٍ الفقير، كان يألم فِقار ظهره حتى ينحنى لها، وليس من الفقر.

وعمار الدُّهَنى، مفتوح الهاء من بنى دُهَن، حى من بَجِيلة، وهم أحمس بن الغوث بن أنمار بن أراش بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وبجيلة: أم، فنسب ولدها إليها...»[١].

ثم أخذ القاضى الرامهرمزى يعرض شيئا كثيراً من دقة معرفتهم بالرواة؛ وتمييزهم الأنساب والألقاب والكنى المشتبهة، سواء الذين جمعتهم كنية واحدة أو اسم واحد أو لقب واحد، وهم من عصر واحد، وعاشوا فى بلد واحد، وسمعوا من شيوخٍ مشتركةٍ، وروى عنهم تلاميذ مشتركون، إلى غير ذلك من ضروب معرفتهم بالمُشْكِل من الأسماء وغيرها، مما يدل على ذهنٍ دقيقٍ، وتمحيصٍ قوىٍّ، وتحقيقٍ رائع، ثم علَّق قائلاً:

«فهذا باب من العلم جسيمٌ، مقصورٌ علمُه على أهل الحديث الذين نشأوا فيه، وعُنُوا به صغاراً، فصار لهم رياضة، ولا يلْحَق بهم مَنْ يتكلَّفُه على الكبر»[٢].

وحتى تتضح بعض جوانب تلك الجهود الجبَّارة التى بذلها العلماء أُوَجِّهُ القارىء الكريمَ إلى أن يتصفح كتاب «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة» للعلامة محمد بن جعفر الكتانى (ت ١٣٤٥هـ)، وسوف أستعرض هنا

(١) المحدث الفاصل ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤ (١٧٣ ـ ١٧٦).
(٢) نفسه ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ (٢٠٦).

عناوين مناهج التأليف فى السنة وعلومها، ليتضح شىء من جوانب هذا الكنز الثمين.

فبعد أن ذكر أنَّ أول من دَوَّن الحديثَ هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله ابن عبد الله بن شهاب الزهرى(ت ١٢٤هـ)، ثم كثر من بعده التدوين والتصنيف؛ أخذ يعدد جوانب التصنيف فى الحديث على النحو التالى:

١) من العلماء من صنَّف فى الصحيح المجرَّد، كالبخارى ومسلم وغيرهما، أو كتب التزم أصحابها فيها الصحة، كصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان وغيرهما.

٢) ومنهم من صنَّف مستخرجاتٍ على الصحيحين، والمستخرج عندهم: أن يأتى المصنف إلى الكتاب، فيخرِّجَ أحاديثَه بأسانيدَ لنفسه، من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه فى شيخه أو فيمن فوقه، ولو فى الصحابى، مع رعاية ترتيبه وتبويبه ومتونه وطرق أسانيده، وذلك كمستخرج الإسماعيلى على البخارى، وأبى عوانة على مسلم.

٣) ومنها كتب تعرف بالسنن، وهى فى اصطلاحهم: الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها، وليس فيها شىء من الموقوف؛ لأن الموقوف لا يسمى فى اصطلاحهم سنة، وذلك كالسنن الأربعة المشهورة وغيرها.

٤) ومنها كتب تعرف بكتب السنة، وهى الكتب الحاضّة على اتباعها والعمل بها، وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء، ككتاب «السنة» للإمام أحمد، وكتاب «السنة» لابن أبى عاصم، وغيرهما.

٥) ومنها كتب مرتبة على الأبواب الفقهية، مشتملة على السنن، وما هو فى حيِّزها، أَوْ لَه تعلُّقٌ بها، بعضُها يسمى مصنَّفاً، وبعضها جامعاً، كمصنَّف ابن أبى شيبة، ومصنّف عبد الرزاق، وغيرهما.

٦) ومنها كتب مفردة فى أبواب مخصوصة، ككتاب التصديق بالنظر لله للآجُرِّى، والإخلاص لابن أبى الدنيا، وغيرهما.

٧) ومنها كتب مفردة فى الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب والفضائل ونحو ذلك، ومنها أربعون كتابا لابن أبى الدنيا وحده.

٨) ومنها كتب ليست على الأبواب، ولكنها على المسانيد، جمع مسند، وهى الكتب التى موضوعها جعل حديث كل صحابى على حدة، صحيحاً كان أو حسناً أو ضعيفاً، مُرَتَّبين على حروف الهجاء فى أسماء الصحابة، أو على القبائل، أو السابقة فى الإسلام، أو الشرافة النسبية، أو غير ذلك، وقد يقتصر فى بعضها على أحاديث صحابى واحد، كمسند أبى بكر، أو أحاديث جماعة منهم، كمسند الأربعة أو العشرة، أو طائفة مخصوصة جمعها وصف واحد، كمسند المُقلِّين، ومسند الصحابة الذين نزلوا مصر، إلى غير ذلك.

٩) ومنها كتب فى التفسير ذكرت فيها أحاديث وآثار بأسانيدها، كتفسير ابن أبى حاتم، وعبد الرزاق، وغيرهما.

١٠) ومنها كتب فى المصاحف والقراءات، فيها أيضا أحاديث وآثار بأسانيد، ككتاب المصاحف لابن أبى داود، والمصاحف لابن الأنبارى، وغيرهما.

١١) ومنها كتب فى الأحاديث القدسية الإلهيَّة الربَّانيَّة، وهى المسندة إلى الله تعالى بأن جُعلتْ من كلامه سبحانه، ولم يقصد إلى الإعجاز بها، كالأربعين الإلهية لأبى الحسن المقدسى، وككتاب: مشكاة الأنوار فى ما روى عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار لابن عربى، وغيرهما.

١٢) ومنها كتب فى الأحاديث المسلسلة، وهى التى تتابع رجال إسنادها على صفة أو حالة، كالمسلسل بالأولية لأبى طاهر السِّلَفى وغيره.

١٣) ومنها كتب فى المراسيل، ككتاب المراسيل لأبى داود، والمراسيل لابن أبى حاتم الرازى، وغيرهما.

١٤) ومنها أجزاء حديثية، والجزء عندهم: تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم، وقد يختارون من المطالب المذكورة فى صفة الجامع مطلباً جزئياً يصنفون فيه مبسوطاً، وفوائد حديثية أيضا، ووحدانيات، وثنائيات إلى العشاريات وأربعونيات وثمانونيات والمائة والمائتين وما أشبه ذلك، وهى كثيرة جداً.

١٥) ومنها كتب فى الشمائل النبوية والسير المصطفوية، ككتاب الشمائل للترمذى والسير لابن إسحاق، وغيرهما.

١٦) ومنها كتب فى أحاديث شيوخ مخصوصين من المكثرين، كأحاديث الأعمش لأبى بكر الإسماعيلى، وأحاديث الفضيل بن عياض للنسائى وغيرهما.

١٧) ومنها كتب فى جمع طرق بعض الأحاديث، كطرق حديث «إن لله تسعة وتسعين اسما» لأبى نعيم الأصبهانى، وطرق حديث الحوض للضياء المقدسى.

١٨) ومنها كتب فى رواة بعض الأئمة المشهورين، أو فى غرائب أحاديثهم ككتاب تراجم رواة مالك للخطيب البغدادى، وغرائب الصحيح وأفراده للضياء المقدسى وغيرهم.

١٩) ومنها كتب فى الأحاديث الأفراد، جمع فرد، وهو قسمان: **فرد مطلق** وهو: ما تفرد به راويه عن كل أحد من الثقات وغيرهم، بأن لم يروه أحد مطلقا إلا هو، **وفرد نسبى وهو**: ما تفرد به ثقة بأن لم يروه أحد من الثقات إلا هو، أو تفرد به أهل بلد بأن لم يروه إلا أهل بلدة كذا، كأهل البصرة، أو تفرد به روايه عن راو مخصوص بأن لم يروه عن فلان إلا فلان، وإن كان مرويا من وجوه عن غيره. ومن الكتب فى الأفراد: كتاب الأفراد للدارقطنى، والأفراد لأبى حفص بن شاهين، وغيرهما.

٢٠) ومنها كتب فى المتفق لفظاً وخطاً من الأسماء والألقاب والأنساب ونحوها وهو مفترق معنى، وفى المؤتلف أى المتفق خطا منها، وهو مختلف لفظا، وفى المتشابه المركب من النوعين، وهو المتفق لفظاً وخطاً من اسمين أو نحوهما، مع اختلاف اسم أبيهما لفظا؛ لا خطاً، أو العكس، ككتاب المتفق والمفترق للخطيب البغدادى، وكتاب المؤتلف والمختلف للدارقطنى، وغيرهما.

٢١) ومنها كتب فى معرفة الأسماء والكنى والألقاب، أى أسماء من اشتهر بكنيته، وكنى من اشتهر باسمه، وألقاب المحدثين، ونحو ذلك، ككتاب الأسماء والكنى للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب الألقاب والكنى لأبى بكر الشيرازى.

٢٢) ومنها كتب فى مبهم الأسانيد أو المتون من الرجال أو النساء، ككتاب «الأسماء المبهمة فى الأنباء المحكمة» للخطيب، وكتاب «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» لأبى زرعة ابن العراقى، وغيرهما.

٢٣) ومنها كتب فى الأنساب، ككتاب الأنساب للسمعانى، وأنساب المحدثين لابن النجار البغدادى، وغيرهما.

٢٤) ومنها كتب فى معرفة الصحابة، مُرَتَّبين على الحروف أو على القبائل أو غير ذلك، ككتاب معرفة الصحابة لأبى أحمد العسكرى، ومعرفة الصحابة لأبى نعيم الأصبهانى، وغيرهما.

٢٥) ومنها كتب فى تواريخ الرجال وأحوالهم، كالتاريخ الكبير والصغير والأوسط للبخارى، وتاريخ يحيى بن معين، وغيرها.

٢٦) ومنها كتب المعاجم، جمع معجم، وهو فى اصطلاحهم: ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك، والغالب أن يكونوا مرتبين على حروف الهجاء، كمعاجم الطبرانى الكبير والأوسط والصغير، وغيرها.

٢٧) ومنها كتب الطبقات، وهى التى تشتمل على ذكر الشيوخ وأحوالهم ورواياتهم طبقة بعد طبقة، وعصراً بعد عصر، إلى زمن المؤلف، ككتاب الطبقات لمسلم، والطبقات الكبرى لابن سعد، وغيرهما.

٢٨) ومنها كتب المشيخات، وهى التى تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف، وأخذ عنهم، أو أجازوه وإن لم يلقهم، كمشيخة الحافظ أبى يعلى الخليلى، ومشيخة أبى يوسف يعقوب بن سفيان الفسوى، وغيرهما.

٢٩) ومنها كتب فى علوم الحديث، أى مصطلحه، وذكرت فيها أحاديث بأسانيد، ككتاب «المحدِّث الفاصل» للرامهرمزى، وكتاب «الجامع لأدب الشيخ والسامع» للخطيب، وغيرهما.

٣٠) ومنها كتب فى الضعفاء والمجروحين من الرواة، أو فى الثقات منهم أو فيهما معاً، ككتاب الضعفاء للبخارى، وللنسائى، ولابن حبان، وغيرهم.

٣١) ومنها كتب فى العلل، أى علل الأحاديث، جمع علة، وهى عبارة عن سببٍ غامضٍ خفىٍّ فاضحٍ فى الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه، ككتاب العللَ للبخارى، ولمسلم، وللترمذى، وغيرهم.

٣٢) ومنها كتب فى الموضوعات، ككتاب الأباطيل للجوزقى، وكتاب الموضوعات الكبرى لأبى الفرج بن الجوزى، وغيرهما.

٣٣) ومنها كتب فى بيان غريب الحديث، ككتاب غريب الحديث والآثار لأبى عبيد القاسم بن سلام، وغريب الحديث لابن قتيبة، وغيرهما.

٣٤) ومنها كتب فى اختلاف الحديث، أو تقول: فى تأويل مختلف الحديث أو تقول: فى مشكل الحديث، أو تقول: فى مناقضة الأحاديث وبيان محامل صحيحها، ككتاب اختلاف الحديث للشافعى، ومشكل الآثار للطحاوى، وغيرهما.

٣٥) ومنها كتب تعرف بكتب الأمالى، جمع إملاء، وهو من وظائف العلماء قديما، خصوصاً الحفاظ من أهل الحديث فى يوم من أيام الأسبوع، وطريقتهم فيه: أن يكتب المستملى فى أول القائمة: هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا فى يوم كذا، ويذكر التاريخ، ثم يورد المُمْلِى بأسانيده أحاديث وآثاراً، ثم يفسِّر غريبها، ويورد من الفوائد المتعلقة بها بإسناد أو بدونه ما يختاره ويتيسر له، كالأمالى لأبى القاسم بن عساكر، والأمالى لأبى زكريا بن منده، وغيرهما.

٣٦) ومنها كتب رواية الأكابر عن الأصاغر، والآباء عن الأبناء، وعكسه، وهى أنواع مهمة ولها فوائد، ككتاب «ما رواه الكبار عن الصغار والآباء عن الأبناء» للحافظ أبى يعقوب المنجنيقى، وكتاب «رواية الصحابة عن التابعين» للخطيب البغدادى، وغيرهما.

٣٧) ومنها كتب فى آداب الرواية وقوانينها، ككتاب «الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع»، وكتاب «الكفاية فى معرفة أصول علم الرواية»، كلاهما للخطيب البغدادى، وغيرهما.

٣٨) ومنها كتب فى عوالى بعض المحدثين، ككتاب عوالى الأعمش لأبى الحجاج يوسف بن خليل، وعوالى عبد الرزاق للضياء المقدسى، وغيرهما.

٣٩) ومنها كتب فى التصوف وطريق القوم، ذكرت فيها أحاديث بأسانيد، ككتاب «أدب النفوس» لأبى بكر الآجُرِّى، وكتاب «المجالسة»، لأبى بكر الدينورى، وغيرهما.

٤٠) ومنها كتب الأطراف، وهى التى يقتصر فيها على ذكر طرف الحديث الدال على بقيته مع الجمع لأسانيده، إما على سبيل الاستيعاب، أو على جهة التقيد بكتب مخصوصة، كأطراف الصحيحين لأبى مسعود الدمشقى، وأطراف الكتب العشرة لابن حجر المسمى بإتحاف المهرة بأطراف العشرة، وغيرهما.

٤١) ومنها كتب الزوائد، أى الأحاديث التى يزيد بها بعض كتب الحديث على بعض آخر معين، ككتاب «مصباح الزجاجة فى زوائد سنن ابن ماجه» للشهاب البوصيرى، و«مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمى، وغيرهما.

٤٢) ومنها كتب فى الجمع بين بعض الكتب الحديثية، كالجمع بين الصحيحين للصاغانى، وجامع الأصول من أحاديث الرسول لأبى السعادات ابن الأثير، وغيرهما.

٤٣) ومنها كتب مجردة أو منتقاة من كتب الأحاديث المسندة خصوصاً أو عموماً، كالتجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح لشهاب الدين الزبيدى، ومصباح السنة لأبى محمد البغوى، وغيرهما.

٤٤) ومنها كتب فى تخريج الأحاديث الواقعة فى كلام بعض المصنفين من أهل العقائد ومن المفسرين والأصوليين والفقهاء والصوفية واللغويين، كتخريج أحاديث الكشاف للزيلعى، والتلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير لابن حجر، وغيرهما.

٤٥) ومنها كتب فى الأحاديث المشهورة على الألسنة، كالمقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوى، وتمييز الطيب من الخبيث فى ما يدور على الألسنة من الحديث لابن الدَّيْبَع الشَّيْبَانى، وغيرهما.

٤٦) ومنها كتب فى الفتاوى الحديثية، كفتاوى ابن تيمية، وفتاوى ابن حجر العسقلانى وغيرهما.

٤٧) ومنها كتب مفردة فى جمع أحاديث بعض أنواع الحديث، ككتاب الفوائد المتكاثرة فى الأخبار المتواترة للسيوطى، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتانى، وغيرهما.

٤٨) ومنها كتب من التفاسير والشروح الحديثية، لأهلها حفظ للحديث ومعرفة به، واعتناء بشأنه، وإكثار فيما يتعلق به، كتفسير ابن كثير والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى، وغيرهما.

٤٩) ومنها كتب فى السيرة النبوية والخصائص المحمدية غير ما سبق، ككتاب «نور العيون فى تلخيص سيرة الأمين المأمون» لأبى الفتح ابن سيد الناس، وكتاب «الدرر فى اختصار المغازى والسير» لابن عبد البر، وغيرهما.

٥٠) ومنها كتب فى أسماء الصحابة من غير ما تقدم، كمختصرات الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ومختصرات أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير، وغيرهما.

٥١) ومنها كتب فى بيان حال الرواة غير الكتب المتقدمة، وضبط أسمائهم وأسماء بلدانهم، ككتاب معجم البلدان لياقوت الحموى، ومعجم البلدان لأبى القاسم ابن عساكر، وغيرهما.

٥٢) ومنها كتب فى الوفيات، ككتاب در السحابة فى وفيات الصحابة للصاغانى، والإعلام بوفيات الأعلام للذهبى، وغيرهما.

٥٣) ومنها كتب فى علم المصطلح، كمقدمة ابن الصلاح، والمنهل الرَّوِىّ فى علوم الحديث النبوى لابن جماعة، وغيرهما.

وهذه المناهج المتعددة فى التأليف ـ وإن تفاوتت فى البسط أو الاختصار، وتباينت فى الالتزام بالصحيح المقبول أو رواية الضعيف ـ إنما كانت تهدف جميعاً إلى خدمة السنة المشرفة، وتنبىء عن مدى الحب الذى ملأ قلوب المحدِّثين لها، وتكشف عن مدى الجهد الذى بذلوه فى سبيل المحافظة عليها.

ثم إنها تكشف بوضوح المنهجية المحكمة فى التعامل مع السنة، فلم تكن تلك الجهود المضنية جهوداً فوضوية، بلا قواعد تحكمها، أو بلا منهج أصيل يحقق مقاصدها، وإنما كانت حَبَّاتٍ متناسقةً فى العقد اللؤلؤى الذى يزين السنة المطهرة، ولَبِنَاتٍ متماسكةً فى السِّياج الذى يحميها، فجزاهم الله عن السنة خير الجزاء.

الفصل الثالث

نظرة إجمالية على الأطوار

التى مرت بها مناهج المحدثين فى نقل السنة

مرت السنة فى طريقها إلينا بأدوار متعددة بدءاً من حفظ الصدور، وانتهاء بالتهذيب والترتيب والجمع.

وأسبق من تناول ذلك - فيما أعلم - فضيلة الأستاذ محمد عبد العزيز الخولى - رحمه الله - فى كتابه «مفتاح السنة» أو «تاريخ فنون الحديث»، وقد أحسن فيه وأفاد أيما إفادة وسوف أوضح فى اختصار هذه الأدوار، وأبرز ما يميز كلاً منها:

الدور الأول: الحفظ فى الصدور، أو مرحلة ما قبل التدوين، وموضوع هذا البحث جزء منه، وسوف أبسط الكلام فيه بعدُ، إن شاء الله تعالى.

الدور الثانى: تدوين الحديث من غير ترتيب أو مع الترتيب مختلطا بغير الحديث من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين والأئمة، وقد بدأ ذلك ابن شهاب الزهرى وأبو بكر بن محمد عمرو بن حزم، بأمر وتوجيه عمر بن عبد العزيز فى أواخر القرن الأول الهجرى، ثم شاع التدوين فى الطبقة التالية، وأقدم ما وصل إلينا من مدونات تلك الفترة موطأ مالك (ت ١٧٩هـ) تلميذ ابن شهاب، الذى صنَّفه على مسائل الفقه، جامعاً بين المرفوعات والموقوفات والمقاطيع ورأى علماء المدينة ورأى صاحب الموطأ نفسه[١].

الدور الثالث: إفراد السنة بالتدوين، غير مقرونة بشىء، وكان ذلك مع نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث الهجرى، حين أخذ العلماء فى جمع الحديث مجرداً فى مصنفات مستقلة، ويلاحظ على هذا الدور ما يلى:

١ - هذا الدور يعتبر أزهى أدوار السنة وأزهى عصورها، وهو الذى تم فيه جمع السنن من مختلف الأمصار، وظهرت أهم كتب الحديث التى لم تغادر من السنة إلا النادر اليسير.

---

(١) انظر قول مالك عن منهجه فى: «ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة أعلام مذهب مالك» للقاضى عياض ١/ ١٩٤.

٢ ـ من علماء هذا الدور من اهتم بتمييز الصحيح من غيره، وإفراد الصحيح بالجمع كالبخارى ومسلم وغيرهما، ومنهم من جمع كل ما روى من غير تمييز.

٣ ـ تنوعت مناهج المحدثين فى هذا الدور فى التصنيف، فمنهم من اتبع طريقة التصنيف على الأبواب كأصحاب الكتب الستة وغيرهم، ومنهم من صنف على المسانيد، يعنى مسانيد الصحابة، كأحمد والطيالسى وأبى يعلى وغيرهم.

وقد اخترع ابن حبان طريقة أخرى فى صحيحه الذى سماه «التقاسيم والأنواع» حيث لم يرتبه على الأبواب ولا على المسانيد، وإنما قسم الأحاديث خمسة أقسام:

أولها: الأوامر التى أمر الله بها عباده.

والثانى: النواهى التى نهى الله عنها عباده.

والثالث: إخباره عما احتيج إلى معرفتها.

والرابع: الإباحات التى أبيح ارتكابها.

والخامس: أفعال النبى ﷺ التى انفرد بفعلها. ووضع تحت كل قسم أنواعاً كثيرة، وهو ترتيب صعب، والكشف على الأحاديث فيه عَسِرٌ جداً، غير أنه قد رتبه الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى (ت ٧٣٩هـ) على الأبواب الفقهية وسماه «الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان»، فَيَسَّرَ سبيل الاستفادة من الكتاب.

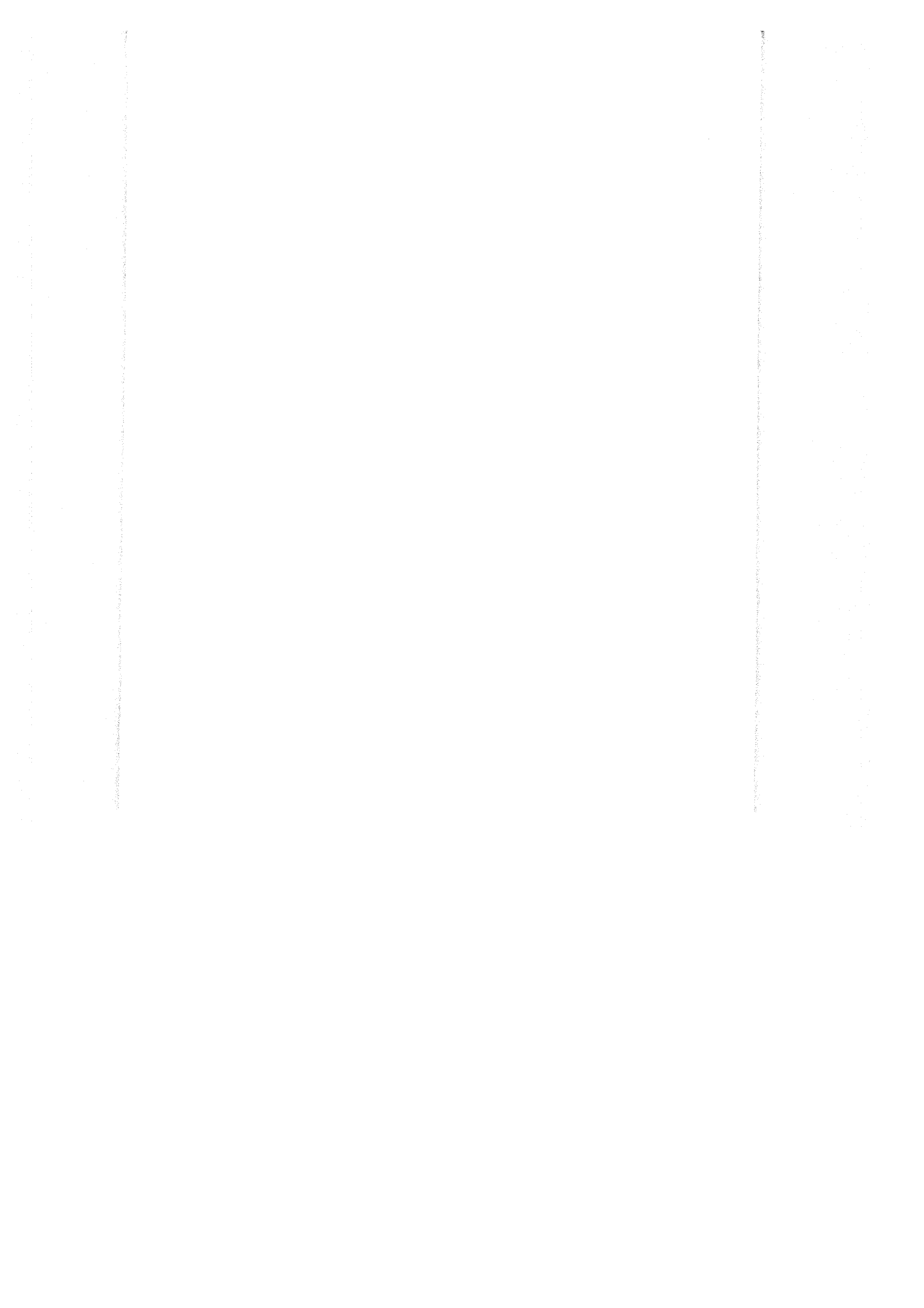
الدور الرابع: دور التهذيب والتقريب بعد القرن الرابع، حيث كانت السنن قد فُرغ من جمعها، وبيان عليلها من صحيحها، وكاد جمع السنن من أفواه الرجال ينتهى، وركن الناس إلى التقليد، فأخذوا يسلكون فى تصانيفهم مسلك التهذيب أو الترتيب أو جمع المتفرق أو بيان الغريب أو الاختصار والتقريب، وقلما تكلموا على الأسانيد، فظهرت فى هذا الطور كتب الأطراف، وكتب الزوائد، وكتب الجمع بين أكثر من كتاب، وكتب الجوامع التى حاولت استقصاء السنة، وكتب الشروح للمتون، وكتب غريب الحديث، وكتب المصطلح، والكتب التى تجمع

نوعاً معينا من الحديث ككتب المبهمات، وكتب المتواتر، وكتب المشتهر على الألسنة، وكتب الفوائد، وغيرها.

أما الأستاذ الـ ـحمد محمد أبو زهو فى كتابه «الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية» فجعل الأدوار سبعة: الأول: فى عهد النبوة، والثانى: فى زمن الخلافة الراشدة، والثالث: بعد الخلافة الراشدة إلى نهاية القرن الأول، والرابع: فى القرن الثانى، والخامس: فى القرن الثالث، والسادس: من القرن الرابع إلى سقوط بغداد، والسابع: من سقوط بغداد إلى عصرنا الحاضر».

تلك كانت ـ باختصار شديد ـ الأدوار التى مرت بها السنة المشرفة فى تاريخها من لدن العصر الأول حتى عصرنا هذا.

وسوف أبسط الكلام فيما يلى عن منهج المحدثين من الصحابة وهو ما قبل مرحلة التدوين، وبالله التوفيق.





الباب الثالث

مناهج وآداب الصحابة فى تحمل الحديث

وفيه مقدمة وستة فصول

المقدمة فى معنى التحمل والأداء فى اللغة والاصطلاح.

الفصل الأول: ابتداؤه ﷺ أصحابه بالتبليغ.

الفصل الثانى: ابتداء الصحابة وإجابة النبى ﷺ أو تعليقه.

الفصل الثالث: مشاهدة الصحابة لأحواله ﷺ.

الفصل الرابع: رحلة الوفود إليه ﷺ وبعثه البعوث إلى الأقطار المختلفة.

الفصل الخامس: السماع من غير النبى ﷺ عن النبى ﷺ.

الفصل السادس: كتابة الحديث.



المقدمة

التحمل والأداء فى اللغة والاصطلاح

أولاً: التحمل فى اللغة والاصطلاح:

فى اللغة: التَّحَمُّل مصدر «تَحَمَّل»، يقال: حمَّلتُه الرسالة أى كلَّفتُه حملها[١]. وفى القرآن الكريم: ﴿ **فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ** ﴾ [النور: ٥٤] أى على النبى ﷺ ما أوحى إليه وكُلِّف أن يبيِّنه، وعليكم أنتم الاتِّباع[٢].

وقال تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُـ[illegible] التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ [الجمعة: ٥]، أى كُلِّفوا أن يتحملوها، أى يقوموا بحقها، فلم يحملوها. ويقال: حَمَّلْتُه كذا فتحمَّله، وحمَّلْتُ عليه كذا فتحمَّله واحتمله وحمله[٣].

١٩ ـ ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال لنا حذيفة رضى الله عنه: «إنَّا حُمِّلْنا هذا العلمَ، وإنَّا نؤدِّيه إليكم، وإن [illegible] نعمل به»[٤].

ومن ذلك سمى حفاظ القرآن الكريم «حملة القرآن».

٢٠ ـ فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من إجلال الله تعالى إكرامَ ذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالى فيه، والجافى عنه[٥]، وإكرامَ ذى السلطان المُقْسِط»[٦].

٢١ ـ وفى حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه فى خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع، فى آخره: «..... **ألا وإن ذَهابَ العلم ذَهابُ حَمَلَته ـ ثلاث مرات ـ**»[٧].

---

(١) الصحاح ٤/ ١٦٧٧. (٢) تاج العروس ٧/ ٢٨٨. (٣) المفردات صـ١٣٢.

(٤) عزاه السيوطى للبيهقى وابن عساكر (انظر: كنز العمال ١٣/ ٣٤٦ [illegible] ٣٦٩٧٠).

(٥) الغالى فيه: المجاوز للحد، والجافى عنه: البعيد عنه.

(٦) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى تنزيل الناس منازلهم ٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٢ (٤٨٤٣)، وحسَّنه النووى فى رياض الصالحين (٣٥٤).

(٧) أخرجه أحمد ٥/ ٢٦٦، والطبرانى فى الكبير٨/ ٢١٦(٧٨٦٧)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ٢٠١: «إسناد الطبرانى أصح؛ لأن فى إسناد أحمد على بن يزيد، وهو ضعيف جداً، وهو عند الطبرانى من طرق فى بعضها الحجاج بن أرطأة وهو مدلِّس صدوق يكتب حديثه، وليس ممن يتعمد الكذب، والله أعلم».

«**وفى الاصطلاح**: أخذ الحديث ممن أضيف إليه بالمباشرة أو الواسطة، بطريق من طرق الأخذ الثمانية[١].

فبالمباشرة مثل أخذ الصحابة المرفوع من رسول الله ﷺ، وأخذ التابعين الموقوف من الصحابة، وأخذ أتباع التابعين المقطوع من التابعين.

أما بالواسطة فكل محدِّث تلقى عن شيخه ما تحمَّله عن شيخه ـ وهلم جراً ـ إلى الرسول ﷺ فى المرفوع، أو إلى الصحابى فى الموقوف، أو إلى التابعى فى المقطوع.

فالصحابة رضوان الله عليهم قد أخذوا عن رسول الله ﷺ قوله وفعله وتقريره، وشاهدوا صفته وأحواله، فحمَّلهم الرسول ﷺ ذلك كله، فتحمَّلوه تحمُّلاً أصبح أمانةً عندهم إلى أن يبلغوه التابعين.

والتابعون قد أخذوا عن الصحابة ما تحمَّلوه من رسول الله ﷺ، فحمَّلهم الصحابة الأمانة، فتحملوها إلى أن أدَّوْها إلى أتباع التابعين، ثم شاع التدوين والتأليف»[٢].

قلت: قد تلقى الصحابةُ رضوان الله عليهم السنة وتحمَّلوها بالمباشرة وبالواسطة معاً، فسمعوا من النبى ﷺ، وسمع بعضهم من بعض عنه ﷺ، وكانت لهم مناهج دقيقة فى التحمُّل والتلقىِّ بالمباشرة وبالواسطة، كما كانت لهم آداب مهمة فى ذلك، وسوف أتناولها فيما بعد.

٢٢ ـ وقد ورد فى الحديث: «**يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطِلين، وتأويل الجاهلين**»[٣].

---

(١) الطرق الثمانية هى: السماع من لفظ الشيخ، والقراءة على الشيخ، والإجازة، والمناولة، والكتابة، والإعلام، والوصية، والوجادة.

(٢) المنهج الحديث فى علوم الحديث (قسم الرواية) للشيخ محمد السماحى صـ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٣) روى هذا الحديث عن عدد من الصحابة من طرق كلها ضعيفة، غير أنها يمكن أن يقوى بعضها بعضاً، فروى عن على بن أبى طالب، وعبد الله بن عمر، وأبى هريرة، وأبى أمامة الباهلى، وإبراهيم بن عبد الرحمن العذرى، وأسامة بن زيد.

فحديث على بلفظ «ليحمل» بصيغة الأمر، أخرجه ابن عدى فى الكامل ١/ ١٤٥.

وحديث ابن عمر أخرجه ابن عدى فى الكامل ١/ ١٤٥، والعقيلى فى الضعفاء الكبير ١/ ٩ ـ ١٠، والبزار (كشف الأستار) ١/ ٨٦ (١٤٣)، وقال الهيثمى ١/ ١٤٠: «فيه عمرو بن خالد القرشى كذَّبه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل، ونسبه إلى الوضع. =

وقد ورد هذا الحديث بصيغة الأمر «لِيَحْمِلْ»، على أنه توجيه للعلماء بتحميل هذا العلم للعدول الثقات، وتوجيه للعدول الثقات بتحمله وحفظه وأدائه، والله أعلم.

ثانياً: الأداء فى اللغة والاصطلاح:

فى اللغة: أداه تأديةً: أوصله، وأدَّى دَيْنه تأديةً: قضاه، والاسم: أَداء، كسحاب، وتأدى إليه الخبر: أى انتهى[1].

وفى الاصطلاح: رواية الحديث بعد تحمُّله[2].

ذلك أن تحمل الحديث يعتبر أمانة يلزم أداؤها بتوصيلها وروايتها لمن لم تبلغه، وإلا اعتبر المتحمل آثماً بكتمه العلم وعدم تبليغه الأمانة.

وقد جاءت النصوص بتسمية ذلك تبليغاً وأداءً، كما سيأتى فى أول الفصل التالى إن شاء الله.

وهذا الأداء يكون بلفظ دالٍّ على طريقة التحمل، وأعلاها: «سمعت» و«حدثنى» و «حدثنا»، فإنه لاَ يكاد يقولها أحد إلا فيما سمع من لفظ الشيخ، أو فيما عرض عليه أو قرأ عليه، كما لا يقولها أحدٌ فى تدليس ما لم يسمعه.

= وحديث أبى هريرة، أخرجه ابن عدى فى الكامل ١/١٤٦ من عدة طرق. والعقيلى والبزار فى الموضع السابق حيث جعلا الحديث عن ابن عمر وأبى هريرة.

وحديث أبى أمامة الباهلى أخرجه العقيلى فى الضعفاء الكبير ١/٩، وابن عدى فى الكامل ١/١٤٦.

وحديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى ـ وهو مختلف فى صحبته والصواب أنه تابعى فحديثه مرسل ـ أخرجه العقيلى فى الضعفاء الكبير ٤/٢٥٦ (١٨٥٤)، وابن عدى فى الكامل ١/١٤٦، ١٤٧، وابن حبان فى الثقات ٤/١٠، وهو من رواية معان بن رفاعة السلامى عنه، ومعان ضعيف عند العلماء.

وقد أخرجه ابن عدى من رواية العذرى قال: حدثنى الثقة أن رسول الله ﷺ قال، فذكره.

وحديث أسامة بن زيد عزاه ابن حجر فى الإصابة ١/٣٦٣ إلى أبى نعيم والسيوطى فى الجامع (انظر: كنز العمال ١٠/١٧٦ رقم ٢٨٩١٨) إلى الخطيب وابن عساكر، ونقل قول أبى نعيم: «روى عن أسامة بن زيد وأبى هريرة، وكلها مضطربة غير مستقيمة».

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، وقال له مُهَنَّا: كأنه كلام موضوع؟ قال: «لا، هو صحيح، سمعته من غير واحد» والله أعلم (انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب ٥٢: ٥٦، لسان الميزان لابن حجر ١/٧٧، كنز العمال ١٠/١٧٦).

(١) القاموس المحيط صـ١٦٢٤ ـ ١٦٢٥، الصحاح ٦/٢٢٦٦، تاج العروس ١٠/١٢.

(٢) المنهج الحديث صـ٢٣٣.

وقد استخدم الصحابة رضى الله عنهم كثيراً من ألفاظ الأداء، فيما أدوه عن رسول الله ﷺ، أو فيما أدى بعضهم عن بعض، فاستخدموا: «سمعت»، «حدثنا»، «حدثنى»، «أخبرنا»، «أخبرنى»، «قال»، «عن»، «أن»، «قرىء علينا كتاب النبى ﷺ»، «كتب إلىّ فلان»، «جاءنا كتاب النبى ﷺ»، «أوصانى خليلى»، ومن أرفع وأوثق ألفاظهم «أشهد على رسول الله ﷺ»، وربما استخدموا لفظ «زعم فلان» وليس هذا منهم على سبيل التشكيك فى الراوى أو المروى، بل على المعنى اللغوى للزعم، والله أعلم.

وسترى أثناء هذا الكتاب معظم ألفاظ الأداء المذكورة إن شاء الله تعالى.

الفصل الأول

ابتداؤه ﷺ أصحابه بالتبليغ

كثيراً ما كان النبى ﷺ يأخذ فى تبليغ أصحابه العلم والوحى ابتداءً من نفسه، استجابةً لأمر الله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] وعندئذٍ يهتم الصحابة رضوان الله عليهم بحفظ ما يلقى عليهم؛ لينقلوه إلى الأمة من بعدهم، وإلى من لم يحضر من أصحابهم؛ استجابة للتوجيه النبوى الكريم بوجوب التبليغ:

٢٣ ـ فعن أبى بكرة نفيع بن الحارث رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: **«لِيُبَلِّغ الشاهدُ الغائب»**[١].

٢٤ ـ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: **«بلِّغوا عنى ولو آية، وحدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**[٢].

وأملاً فى تحصيل نضرة الوجه التى دعا بها النبى ﷺ لمن بلَّغ عنه حديثاً:

٢٥ ـ فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: **«نضَّر اللهُ امرءاً سمع مقالتى فوعاها، ثم أدّاها كما سمعها، فرُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى مَنْ هو أفقه منه»**[٣].

---

(١) جزء من حديث، أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: قول النبى ﷺ «رب مبلغ أوعى من سامع» ١/١٥٨(٦٧)، وباب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب١/ ١٩٩(١٠٥)، ومسلم فى كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال٣/ ١٣٠٥(١٦٧٩/ ٢٩ـ٣٠)، وأحمد٥/ ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٩.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بنى إسرائيل ٦/ ٤٩٦ (٣٤٦١)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: العلم، باب: ما جاء فى الحديث عن بنى إسرائيل ٥/ ٣٩ (٢٦٦٩)، وأبو خيثمة زهير بن حرب فى كتاب العلم صـ١٤ (٤٥).

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب: العلم، باب: فضل نشر العلم ٣/ ٣٢٣ (٣٦٦٠)، والترمذى ـ وقال: حسن ـ فى كتاب: العلم، باب: فى الحث على تبليغ السماع٥/ ٣٣(٢٦٥٦)، وصححه ابن حبان٢/ ٤٥٤(٦٨٠)، وله شواهد متعددة، وطرق متكاثرة، جمعها ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم وفضله» ١/ ١٧٧: ١٨٩(١٨٥: ١٩٩)، وخصَّه الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد بدراسة مستقلة فى كتابه «دراسة حديث «نضر الله امرءاً سمع مقالتى» رواية ودراية»، وخلص إلى أنه حديث متواتر، رواه أربعة وعشرون صحابياً.

وحذراً من الاندراج تحت الوعيد الذى توعد الشارع به كاتم العلم:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠].

٢٦ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «**من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**»[(١)].

وهذا الابتداء من النبى ﷺ إما أن يكون توجيهاً مباشراً، وإما أن يكون تعليقًا على شىء من الوقائع والأحداث التى حدثت أمام الصحابة، وفى كلتا الحالتين كان النبى ﷺ يراعى جملةً من الوسائل التربوية ذات الأثر البالغ فى فهم الصحابة للتوجيه وحفظهم إياه، كما كان الصحابة يلتزمون جملة من الآداب المساعدة على الفهم والحفظ، وسآخذ فى تفصيل كل ذلك فيما يلى:

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى زوائد الزهد (٣٩٩)، والخطيب فى تاريخ بغداد ٥/٣٨ ـ ٣٩، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/٩ ـ ١٠ (٧ ـ ٨)، وصححه ابن حبان ـ واللفظ له ـ ١/٢٩٨ (٩٦)، والحاكم ١/١٠٢ على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبى، وعزاه الهيثمى فى المجمع ١/١٦٣ للطبرانى فى الكبير والأوسط وقال: «رجاله موثقون»، وله شواهد متعددة، ذكر منها ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» اثنان، وزاد محقق الجامع سبعة، فبلغت عشرة أحاديث.

المبحث الأول

التوجيه والتبليغ المباشر من النبى ﷺ

حيث يأخذ النبىُّ ﷺ فى تعليم أصحابه، وتذكيرهم بالله عز وجل، وحثِّهم على مكارم الأخلاق، وتوضيح دقائق الشريعة وأحكامها. . . إلخ.

وهذا التوجيه قد يكون فردياً لأحد الصحابة، وقد يكون عامّاً للجميع:

٢٧ ـ **فمثال التوجيه الفردى**: ما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا سعيد، من رضى بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وجبتْ له الجنة...**» الحديث[(١)].

٢٨ ـ **ومثال التوجيه للجميع**: ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: قام فينا النبى ﷺ، فذكر الغُلول، فعظَّمه، وعظَّم أمره، قال: «**لا أُلفيَنَّ أحدَكم يوم القيامة على رقبته فرسٌ له حَمْحَمَة، يقول: يا رسول الله، أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتُك، وعلى رقبته بعيرٌ، له رُغَاءٌ، يقول: يا رسول الله، أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته صامتٌ[(٢)]، فيقول: يا رسول الله، أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتُك، أو على رقبته رقاعٌ تخفق[(٣)]، فيقول: يا رسول الله، أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً**»[(٤)].

ففى المثال الأول كان التوجيه لأبى سعيد رضى الله عنه، مع العلم ـ طبعاً ـ أنه سيقوم بمهمة التبليغ، وفى المثال الثانى كان التوجيه عاماً لسائر الحاضرين، الذين يعلمون أنهم مأمورون بتبليغ الغائبين، رضى الله عنهم أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الإمارة، باب: بيان ما أعده الله تعالى للمجتهد فى الجنة من الدرجات ٣/ ١٥٠١ (١٨٨٤/ ١١٦).

(٢) الصامت: الذهب والفضة، وقيل: ما لا روح فيه من أصناف المال (فتح البارى ٦/ ١٨٦).

(٣) رقاع تخفق: أى تتقعقع وتضطرب إذا حركتها الرياح، وقيل: معناه: تلمع، والمراد بها الثياب. قاله ابن الجوزى. وقال الحميدى: المراد بها ما عليه من الحقوق المكتوبة فى الرقاع. واستبعده ابن الجوزى؛ لأن الحديث سبق أن ذكر الغلول الحسى، فحملُه على الثياب أنسب. (فتح البارى ٦/ ١٨٦).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: الغلول وقول الله عز وجل ﴿ومن يغلل يأت بما غل﴾ ٦/ ١٨٥ (٣٠٧٣)، ومسلم فى كتاب: الإمارة، باب: غلظ تحريم الغلول ٣/ ١٤٦١ (١٨٣١/ ٢٤).

من الوسائل التربوية النبوية فى التعليم وإلقاء الحديث:

راعى النبىُّ الكريمُ والمعلِّمُ الأعظمُ ﷺ فى تعليمه وتوجيهه المبادىءَ والوسائلَ التربويةَ التى تعين على الحفظ وحسن التلقى، وتؤدِّى إلى استقرار الحديث فى نفوس وأفئده الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

وهاك بعضَ تلك الوسائل والمبادىء العظيمة النافعة:

١ ـ تكرير الحديث وإعادته:

فذلك أسهل فى حفظه، وأَعْوَنُ على فهمه، وأدعى لاستيعابه ووَعْيِ معانيه، ولذلك حرص النبى ﷺ على تكرير الحديث فى غالب أحيانه:

٢٩ ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، أنه «**كان إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثاً؛ حتى تُفْهم عنه...**» الحديث[١].

٣٠ ـ وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلَّم تكلَّم ثلاثاً؛ لكى يُفْهَم عنه**»[٢].

وقد مَثَّل الإمامُ البخاريُّ رحمه الله[٣] لذلك بقوله ﷺ: «**ألا وقول الزور**» فما زال يكررها، وبقول ابن عمر: قال النبي ﷺ: «**هل بلغتُ؟**» **ثلاثاً، وبحديث** عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**ويلٌ للأعقاب من النار**» **مرتين أو ثلاثاً**.

قلت: والأمثلة فى ذلك كثيرة جداً، وهى أكثر من أن تُحْصى؛ فإن تعبير أنس وأبى أمامة رضى الله عنهما بقولهما: «كان إذا تكلَّم» يفيد أن ذلك كان عادةً غالبةً فى كلامه ﷺ.

ويُلاحَظُ من التعليل الوارد فى الحديثْين أن المقصود كان هو التفهيم لأصحابه رضوان الله عليهم، وإعانتهم على عقل الحديث وحفظه، فإذا تحقَّق هذا المقصود

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ١/ ١٨٨ (٨٤، ٩٥)، وكتاب: الاستئذان، باب: التسليم والاستئذان ثلاثاً ١١/ ٢٦ (٦٢٤٤)، والترمذى فى كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء فى كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئا ٥/ ٦٨ (٢٧٢٣)، وفى كتاب: المناقب، باب: فى كلام النبى ﷺ ٥/ ٦٠٠ ـ ٦٠١ (٣٦٤٠).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ٣٤٢ (٨٠٩٥)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٢٩: «إسناده حسن»، وأخرجه أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات ١/ ٥٤٥ (٣٤١) بسند رجاله ثقات.

وقد روى الخطيب فى «الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع» ١/ ٣٥٩ (٤٥٨) مثل ذلك عن رجل خدم النبى ﷺ.

(٣) فى كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه ١/ ١٨٨.

من غير تكرير فلا بأس بعدم التكرير.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله:

وذلك عندهم كان ليَفْهَم عنه كلُّ مَنْ جالسه من قريب وبعيد، وهكذا يجب أن يكرر المحدِّثُ الحديثَ حتى يُفهم عنه، وأما إذا فُهِم عنه فلا وجه للتكرير»[١].

وربما دعت الحاجةُ إلى تحفيظهم بعضَ النصوص المهمَّة، فيكررها أكثر من ثلاث، حتى يطمئنَّ إلى حفظهم إياها، كنصوص بعض الأدعية والتشهد ونحو ذلك.

٣١ ـ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات، كما تُعَلَّم الكتابة: «**اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن نُرَدَّ إلى أرذل العمر**[٢]**، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر**»[٣].

وكذلك كان سعدٌ رضي الله عنه يفعل مع بنيه، فيعلِّمهم هذه الكلمات كما يعلِّم المعلِّمُ الغلمانَ الكتابة[٤].

٣٢ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسولُ الله ﷺ يعلِّم الناسَ التشهُّدَ كما يعلِّم المُكْتِبُ[٥] الغلمان»[٦].

وهذا المنهج التربوي الكريم الذي طبقه النبيُّ ﷺ، ووعاه أصحابه الأكرمون، يبعث على الاطمئنان إلى دقة ما نقلوا عنه وتمام ضبطهم له، إن شاء الله تعالى.

٢ ـ التأني في الكلام والفصل بين الكلمات:

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٥٧.

(٢) أرذل العمر: آخره، أي في حال الكبر والعجز والخَرَف، والأرذل من كل شيء: الرديء منه. (النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢١٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من فتنة الدنيا ١١/ ١٩٢ (٦٣٩٠).

(٤) روى ذلك عنه عمرو بن ميمون الأودي، وأخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يتعوذ من الجبن ٦/ ٣٥ (٢٨٢٢)، والنسائي في كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من البخل ٨/ ٢٥٦.

(٥) المكتب: معلم الصبيان في الكُتَّاب.

(٦) أخرجه الخطيب في كتاب «الفقيه والمتفقه» ٢/ ١٢٤. ورواه مسدَّد والطحاوي عن ابن عمر بلفظ «كان أبو بكر رضي الله عنه يعلمنا التشهد على المنبر، كما يعلِّم المعلِّم الغلمانَ في المكتب» (كذا في كنز العمال ٨/ ١٤٩ ـ ١٥٠ـ رقم ٢٢٢٣٥).

وله شاهد مرفوع عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في المصنف لابن أبي شيبة ١/ ٣٢٨.

كان ﷺ يتأنَّى ولا يستعجل فى كلامه، بل يفصل بين كل كلمةٍ وأخرى، حتى يسهل الحفظ، ولا يقع التحريف والتغيير عند النقل، وبلغ من حرص النبى ﷺ ذلك أنه كان يَسْهُل على السامع أن يَعُدَّ كلماته ﷺ لو شاء.

٣٣ ـ يدل لذلك: ما رواه عروة بن الزبير رحمه الله، أن عائشة رضى الله عنها قالت: «ألا يُعجبكَ أبو هريرة؟ جاء فجلس إلى جنب حجرتى، يحدِّثُ عن النبى ﷺ، يُسْمِعُنى ذلك، وكنت أسبِّح[١]، فقام قبل أن أقضى سُبْحتى، ولو أدركتُه لرددتُ عليه: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم»[٢].

٣٤ ـ وفى رواية: «ألا تعجبُ إلى هذا وحديثِه؟! إنْ كان رسول الله ﷺ ليحدِّث، ولو شاء العادُّ أن يُحصيَه أحصاه»[٣].

٣٥ ـ وفى رواية: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلامٍ بيِّنٍ فَصْلٍ، يحفظه من جلس إليه»[٤].

فعائشة رضى الله عنها عابت أبا هريرة باستعجاله فى الإلقاء، ومخالفته منهج النبى ﷺ فى التأنِّى وفصل بعض الكلام من بعض.

قال ابن حجر رحمه الله: «قوله: «ولو أدركتُه لرددْتُ عليه»: أى لأنكرتُ عليه، وبينتُ له أن الترتيل فى التحديث أولى من السرد. قوله «لم يكن يسرد الحديث كسردكم»: أى يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض؛ لئلا يلتبس على المستمع. زاد الإسماعيلى فى رواية ابن المبارك عن يونس: «إنما كان حديث رسول الله ﷺ فصلاً، تفهمه القلوب».

---

(١) أسبح: أصلى نافلة، وهى السُّبْحة ـ بضم السين ـ وقيل: المراد هنا صلاة الضحى (انظر: شرح النووى على مسلم ٥/ ٣٦٢، وفتح البارى ٦/ ٥٧٨).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: المناقب، باب: صفة النبى ﷺ ٦/ ٥٦٧ (٣٥٦٨) وفيه إبهام أبى هريرة، ومسلم ـ واللفظ له ـ فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبى هريرة الدوسى رضى الله عنه ٤/ ١٩٤٠ (٢٤٩٣/ ١٦٠)، وكتاب: الزهد والرقائق باب: التثبت فى الحديث. ٤/ ٢٤٩٨ (٢٤٩٣/ ٧١)، وأبو داود فى كتاب: العلم، باب: فى سرد الحديث ٣/ ٣٢٠ (٣٦٥٥)، وأحمد ٦/ ١١٨، ١٥٧، ٢٥٧، وابن حبان ١/ ٣٠٢ (١٠٠) و الخطيب فى الجامع ١/ ٦٥٠ (١٠٠٢)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١٠٠٠ (١٩٠٧).

(٣) أخرجه أبو داود فى الموضع السابق (٣٦٥٤)، والبخارى مختصراً فى الموضع السابق (٣٥٦٧).

(٤) أخرجه الترمذى وحسنه فى كتاب: المناقب، باب: فى كلام النبى ﷺ ٥/ ٦٠٠ (٣٦٣٩)، وفى «الشمائل المحمدية» باب: كيف كان كلام رسول الله ﷺ صـ١١٢ (٢٢٣)، وأحمد ٦/ ٢٥٧، والخطيب فى الجامع ١/ ٦٥٠ (١٠٠٣).

واعتُذِر عن أبي هريرة بأنه كان واسع الرواية كثير المحفوظ، فكان لا يتمكن من المَهَل عند إرادة التحديث، كما قال بعض البلغاء: أريد أن أقتصر، فتتزاحم القوافي على فيّ»[١].

٣ ـ الاعتدال وعدم الإملال واختيار الوقت المناسب:

كان ﷺ يقتصد في تعليمه في مقدار ما يلقيه، وفي نوعه، وفي زمانه، حتى لا يمل الصحابة، وحتى ينشطوا لحفظه، ويسهل عليهم عَقْلُه وفهمُه.

وقد مرَّ بك قبل قليلٍ قولُ عائشة عن حديثه ﷺ: «**لو شاء العادّ أن يحصيه أحصاه**».

وهذا واضحٌ في جملةٍ مستكثرة من حديثه ﷺ، إذ تجد الحديث يتكون من كلماتٍ معدودة محدودة، وسار بكثير منها المثل.

أما اختياره ﷺ أوقات النشاط الذهني، والاستعداد النفسي، لدى أصحابه، ومباعدته بين الموعظة وأختها، حتى تشتاق النفس، وينشرح الصدر للتلقي، فأمرٌ لاحظه الصحابة رضي الله عنهم بوضوح.

٣٦ ـ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كان النبيُّ ﷺ يتخَوَّلُنا[٢] بالموعظة في الأيام؛ كراهة السآمة علينا»[٣].

٣٧ ـ وفي رواية عن أبي وائل شقيق بن سلمة رحمه الله قال: كان عبد الله (يعني ابنَ مسعود) يذكّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددتُ أنّك ذكّرتنا كلَّ يوم. قال: «أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملّكم، وإني أتخوّلكم بالموعظة كما كان النبيُّ ﷺ يتخوّلُنا بها؛ مخافةَ السآمة علينا»[٤].

---

(١) فتح الباري ٦/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

(٢) يتخوّلنا: يتعهدنا، والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يومٍ؛ لئلا نَمَل. (فتح الباري ١/ ١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ١٦٢ (٦٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ١/ ١٦٣ (٧٠)، ومسلم في كتاب: صفة المنافقين، باب: الاقتصاد في الموعظة ٤/ ٢١٧٣ (٢٨٢١/ ٨٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٤٣٥ (٦٦٥) والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء صـ٦٦.

٣٨ ـ وفى رواية أخرى: قال شقيق: كنا ننتظر عبد الله (يعنى ابنَ مسعود) إذ جاء يزيدُ بنُ معاوية[١]، قلتُ: ألاَ تجلس؟ قال: لا، ولكن أدخلُ فأخرج إليكم صاحبكم، وإلا جئتُ أنا فجلستُ، فخرج عبدُ الله وهو آخذ بيده، فقام علينا، فقال: «أما إنى أُخبَر بمكانكم، ولكنَّه يمنعنى من الخروج إليكم أنَّ رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام؛ كراهية السآمة علينا»[٢].

ولا ريب أن مثل هذا الأسلوب يراعى طاقات المتعلِّمين، ويطارد المللَ الذى قد يصيبُ بعضهم، ويبقى النفوسَ فى حالةٍ من الشوق والترقب، والأذهان فى حالة من النشاط والتحفُّز، فتجتهدُ فى الحفظ والضبط والوعى.

ولله درُّ الجاحظ إذ يقول: «قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ خير من كثيرٍ وافق من الأسماع نَبْوةً، ومن القلوب ملالة»[٣].

٤ ـ ضرب الأمثال:

للمثل أثر بالغٌ فى إيصال المعنى إلى العقل والقلب، ذلك أنه يقدم المعنوىَّ فى صورةٍ حسيَّةٍ، فيربطه بالواقع، ويقرِّبه إلى الذهن، فضلاً عن أنَّ للمثل بمختلف صوره بلاغةً تأخذ بمجامع القلوب، وتستهوى العقول، وبخاصةٍ عقول البلغاء، ولذلك استكثر القرآن من ضرب الأمثال، وذكر حكمة ذلك فى آيات كثيرة، فقال تعالى **﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٣] **﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [الحشر: ٢١] إلى غير ذلك من

---

(١) هو يزيد بن معاوية النخعى، قال ابن حجر: «كوفى تابعى عابد، ذكر العجلى أنه من طبقة الربيع بن خُثَيْم، وذكر البخارى فى تاريخه أنه قتل غازياً بفارس، كأنه فى خلافة عثمان، وليس له فى الصحيحين ذكر إلا فى هذا الموضع، ولا أحفظ له رواية» (فتح البارى ١١/ ٣٢٨).
وانظر فى ترجمته: التاريخ الكبير للبخارى ٨/ ٣٥٥ (٣٣١٤)، والجرح والتعديل ٩/ ٢٨٦ (١٢١٦)، والثقات لابن حبان ٥/ ٥٤٥، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٤٦ (٧٠٥٠)، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٦٠، وتقريب التهذيب صـ٦٠٥ (٧٧٧٦).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الدعوات، باب: الموعظة ساعة بعد ساعة ١١/ ٣٢٨ (٦٤١١)، ومسلم فى كتاب: صفات المنافقين، باب: الاقتصاد فى الموعظة ٤/ ٢١٧٢ (٢٨٢١/ ١٥)، وأحمد ١/ ٤٢٥، والخطيب فى الجامع ٢/ ١٨٠ (١٤١٩).

(٣) أخرجه الخطيب فى الجامع ٢/ ١٨١ (١٤٢١).

الآيات. وعلى هذا المنهج الكريم سار النبى ﷺ، فاستكثر من ضرب الأمثال.

٣٩ ـ حتى قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: «حفظتُ عن رسول الله ﷺ ألف مثل»[(١)].

وقد أُلِّفت كتبٌ متعددةٌ فى الأمثال فى الحديث النبوى، من أقدمها كتاب «أمثال الحديث» للقاضى أبى محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى (ت ٣٦٠هـ).

ومن أمثاله ﷺ:

٤٠ ـ ما رواه النعمان بن بشير رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «**مثل المؤمنين فى توادِّهم وتراحُمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(٢)].

٤١ ـ وما رواه أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيةٌ قبلت الماءَ، فأنبتت الكَلأ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادبُ**[(٣)] **أمسكت الماءَ، فنفع اللهُ بها الناسَ، فشربوا، وسَقَوْا، وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هى قيعان، لا تمسكُ ماءً، ولا تنبتُ كَلأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُه فى دين الله، ونفعه ما بعثنى اللهُ به، فعَلم وعَلَّم، ومَثَلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذى أُرسلْتُ به**»[(٤)].

---

(١) أخرجه الرامهرمزى فى «الأمثال» صـ٢٩ ـ ٣٠ (١)، وفى الإسناد ابن لهيعة، وليس الراوى عنه أحد العبادلة. وأخرجه من هذا الطريق أبو نعيم فى الحلية ٥/ ١٦٩، والذهبى فى السير ٣/ ٨٧.

وأخرجه أحمد ٤/ ٢٠٣ عن عمرو بن العاص وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٦٤: «إسناده حسن».

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٣٨ (٦٠١١)، ومسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠ (٢٥٨٦/ ٦٦ ـ ٦٧)، وأحمد ٤/ ٢٧٠.

(٣) الأجادب: صِلابُ الأرض التى تمسك الماء فلا تشربه سريعاً، وقيل: هى الأرض التى لا نبات لها. (النهاية ١/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: فضل من علم وعلَّم ١/ ١٧٥ (٧٩)، ومسلم فى كتاب: الفضائل، باب: بيان مثل ما بُعث به النبى ﷺ من الهدى والعلم ٤/ ١٧٨٧ ـ ١٧٨٨ (٢٢٨٢/ ١٥).

وهناك نوع آخر من المثل غير المشابهة المذكورة، ويسمى بالمثل السائر، يتداوله الحكماء فى كلامهم، وهو «عبارة عن قولٍ فى شىءٍ يشبه قولاً فى شىء آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدُهما الآخرَ ويصوِّره، نحو قولهم «الصيفَ ضيعتِ اللبن» فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك، وعلى هذا الوجه ماضرب الله تعالى من الأمثال»(*).

وهذا النوع من أبلغ أنواع الكلام، وأيسرها فى الحفظ، وأكثرها تداولاً بين الناس.

٤٢ـ ومن ذلك مارواه أبو هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**لايلدغُ المؤمنُ من جحر مرتين**»(**).

قال ابن بطال: «فيه أدب شريف أدَّب به النبىُّ ﷺ أمتَه، ونبَّههم كيف يحذرون مما يخافون سوء عاقبته. وفى معناه حديث« **المؤمن كيس حذر**» أخرجه صاحب سند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف. وهذا الكلام مما لم يُسْبَق إليه النبى ﷺ »(***).

٥ ـ طرح المسائل:

من المعلوم أن توجيه السؤال يفتح ذهن المسؤول، ويركز اهتمامه فى الإجابة، ويحدث حالة من النشاط الذهنى الكامل، ويحدث لوناً من التواصل القوى بين السائل والمسؤول، وهو لذلك من الوسائل التربوية المهمة.

(*) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٦٢.

(**) أخرجه البخارى فى كتاب: الأدب، باب: لايلدغ المؤمن من جحر مرتين ١٠/ ٥٢٩ (٦١٣٣)، ومسلم فى كتاب: الزهد والرقائق، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٤/ ٢٢٩٥ (٢٩٩٨/ ٦٣)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى الحذر من الناس ٤/ ٢٦٦ (٤٨٦٢)، وابن ماجه فى كتاب: الفتن، باب: العزلة ٢/ ١٣١٨ (٣٩٨٢)، وأحمد ٢/ ٣٧٩، والدارمى فى كتاب: الرقائق، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٢/ ٤١١ (٢٧٨١)، وابن حبان ٢/ ٤٣٨ (٦٦٣)، وأبو نعيم فى الحلية ٦/ ١٢٧، والبيهقى فى السنن ١٠/ ١٢٩، والبغوى فى شرح السنة ١٣/ ٨٧ ـ ٨٨ (٣٥٠٧).

وله شاهد بلفظه عن ابن عمر، أخرجه ابن ماجه فى الموضع السابق (٨٩٨٣)، وأحمد ٢/ ١١٥.

(***) فتح البارى ١٠/ ٥٣٠.

وقد استخدم النبى ﷺ السؤال فى صورٍ متعددة لتعليم الصحابة، مما كان له كبير الأثر فى حسن فهمهم وتمام حفظهم.

أ ـ فأحياناً يوجه النبىُّ ﷺ السؤال، لمجرد الإثارة والتشويق ولفت الانتباه، ويكون السؤال عندئذٍ بصيغة التنبيه «ألا» غالباً.

٤٣ ـ من ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «**إسباغُ الوضوء على المكاره، وكثرةُ الخطا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»[١].

٤٤ ـ وما رواه أبو بكرة نُفَيع بن الحارث رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» (ثلاثاً) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين**» وجلس ـ وكان متكئاً ـ فقال: «**ألا وقولُ الزور، ألا وقولُ الزور**» فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت[٢].

ب ـ وأحياناً يسألهم النبىُّ ﷺ عما يعلم أنهم لا علم لهم به، وأنهم سيَكِلُون علمه إلى الله ورسوله، وإنما يقصد إثارة انتباههم للموضوع، ولفت أنظارهم إليه.

٤٥ ـ من ذلك ما رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: بينا أنا رديفُ النبى ﷺ، ليس بينى وبينه إلا آخرة الرَّحْل[٣]، فقال: «يا معاذ» قلت: لبيْك رسولَ الله وسعديْك. ثم سار ساعةً، ثم قال: «**يا معاذ**» قلت: لبيْك رسول الله وسعديْك. ثم سار ساعة، ثم قال: «**يا معاذ**» قلت: لبيْك رسولَ الله وسعديْك. قال: «**هل تدرى ما حق الله على عباده؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا**». ثم سار ساعةً، ثم قال: «**يا معاذ بن جبل**».

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء ١/ ٢١٩ (٢٥١/ ٤١)، والترمذى فى كتاب: الطهارة، باب: ما جاء فى إسباغ الوضوء ١/ ٧٣ (٥١)، والنسائى فى كتاب: الطهارة، باب: الفضل فى ذلك (يعنى إسباغ الوضوء) ١/ ٨٩، ٩٠.
وله شاهد بلفظ قريب عن أبى سعيد الخدرى، أخرجه أحمد ٣/ ٣، وصححه ابن خزيمة ١/ ٩٠ (١٧٧)، وابن حبان ٢/ ١٢٧ (٤٠٢).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الشهادات، باب: ما قيل فى شهادة الزور ٥/ ٢٦١ (٢٦٥٤) (وانظر أرقام ٥٩٧٦، ٦٢٧٣، ٦٢٧٤، ٦٩١٩)، ومسلم فى كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٩١ (٨٧/ ١٤٣)، والترمذى فى كتاب: الشهادات، باب: ما جاء فى شهادة الزور ٤/ ٥٤٨ (٢٣٠١).

(٣) الرَّحْل: ما يوضع على ظهر البعير، وهو كالسَّرْج للفرس (انظر النهاية ٢/ ٢٠٩).

قلت: لبيْك رسولَ الله وسعديْك. فقال: «**وهل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق العباد على الله أن لا يعذبهم**»(١).

جـ ـ وأحياناً يسألهم النبىُّ ﷺ عن شىءٍ معلومٍ لديهم، فيجيبون بما يعلمون، فيلفت النبىُّ ﷺ أنظارهم إلى معنىً غريبٍ لم ينتبهوا إليه.

٤٦ ـ من ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا مَنْ لا درهمَ له ولا متاع. فقال: «**إنّ المفلس من أمتى مَنْ يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام، ويأتى قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضربَ هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقْضى ما عليه أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار**»(٢).

د ـ وأحياناً يسأل فيحسن أحد الصحابة الإجابة، فيثنى عليه، ويمدحه، تشجيعاً له، وتحفيزاً لغيره، كما فعل مع أبىّ بن كعب رضى الله عنه، حين استحسن إجابته:

٤٧ ـ فعن أبىٍّ بن كعبٍ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذرُ أتدرى أىُّ آيةٍ من كتابٍ الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: اللباس، باب: إرداف الرجل خلف الرجل ١٠/ ٣٩٧ (٥٩٦٧)، وفى كتاب: الجهاد، باب: اسم الفرس والحمار ٦/ ٥٨ (٢٨٥٦)، وفى كتاب: الاستئذان، باب: من أجاب بلبيك وسعديك ١١/ ٦١ (٦٢٦٧)، وفى كتاب: الرقاق، باب: من جاهد نفسه فى طاعة الله ١١/ ٣٣٧ (٦٥٠٠)، وفى كتاب: التوحيد، باب: ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ١٣/ ٣٤٧ (٧٣٧٣)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/ ٥٨ ـ ٥٩ (٣٠/ ٤٨ ـ ٥١)، والترمذى فى كتاب: الإيمان، باب: ما جاء فى افتراق هذه الأمة ٥/ ٢٦ (٢٦٤٣)، وابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» ١/ ٤٧٩ (٧٦٣).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٧ (٢٥٨١/ ٥٩)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: القيامة، باب: ما جاء فى شأن الحساب والقصاص ٤/ ٥٣٠ (٢٤١٨)، وأحمد ٢/ ٣٠٣، ٣٣٤، ٣٧٢، وابن حبان ١٠/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ (٤٤١١) و ١٦/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ (٧٣٥٩) والبيهقى فى السنن ٦/ ٩٣، والبغوى ١٤/ (٤١٦٤).

وينظر فى هذا الموضوع: صحيح البخارى، كتاب: العلم، باب: طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ١/ ١٤٧، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب: طرح العالم المسألة على المتعلم ١/ ٤٧٩ وما بعدها.

قال: «**يا أبا المنذر، أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت ﴿**الله لا إله إلا هو الحى القيوم**﴾. قال: فضرب فى صدرى، وقال: «**لِيَهْنِكَ العلمُ**[(١)] **أبا المنذر**»[(٢)].

ولا شك أن مثل هذا الاستحسان والتشجيع يبعث المتعلم على الشعور بالارتياح والثقة بالنفس، ويدعوه إلى طلب وحفظ المزيد من العلم وتحصيله.

٦ ـ إلقاء المعانى الغريبة المثيرة للاهتمام والداعية إلى الاستفسار والسؤال:

وهذا لونٌ رائعٌ من ألوان التعليم، يثير فى النفس الرغبة القوية فى السؤال، ويدفعها بقوةٍ إلى التطلُّع للمعرفة، واستشراف الجواب، ومن ثَمَّ استيعابه وحفظه؛ لما فيه من طرافةٍ وغرابة.

٤٨ ـ من ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته**» قالوا: وكيف يسرق صلاته؟ قال: «**لا يتم ركوعها ولا سجودها**»[(٣)].

٤٩ ـ وما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**». قيل: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه**»[(٤)].

٥٠ ـ ومن ألطف ذلك وأجمله، ما رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق، داخلاً من بعض العالية، والناس كَنَفَتُه[(٥)]، فمرّ

---

(١) أى ليكن العلم هنيئاً لك، ولفظ أبى داود: «لِيَهْنِ لك يا أبا المنذر العلمُ».

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسى ١/ ٥٥٦ (٨١٠/ ٢٥٨)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فى آية الكرسى ٢/ ٧٢ (١٤٦٠)، وأحمد ٥/ ١٤٢..

(٣) صححه ابن حبان ٥/ ٢٠٩ (١٨٨٨)، والحاكم ـ ووافقه الذهبى ـ فى المستدرك ١/ ٢٩٩، وأخرجه البيهقى في السنن الكبرى ٢/ ٣٨٦، وله شواهد منْ حديث أبي قتادة، وحديث أبي سعيد الخدري، وحديث عبد الله بن مغفل، ومرسل النعمان بن مرة. انظر: هامش جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٨٠ ـ ٤٨٢.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه ١٠/ ٤٠٣ (٥٩٧٣)، ومسلم فى كتاب: الإيمان باب: بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٩٢ (٩٠/ ١٤٦)، وأحمد ٢/ ١٦٤، ١٩٥، ٢١٤، ٢١٦.

(٥) كنفته: يعنى عن جانبيه، والكَنَف، بالتحريك: الناحية والجانب (انظر: النهاية ٤/ ٢٠٥).

بجدىٍ أَسَك[١] ميتٍ، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**». فقالوا: ما نحب أنه لنا بشىءٍ وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حيّاً كان عيباً فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فوالله للدنيا أهونُ على الله من هذا عليكم**»[٢].

٧ ـ استخدام الوسائل التوضيحية:

كان النبى ﷺ يستخدم ما يسمى اليوم بالوسائل التوضيحية؛ لتقرير وتأكيد المعنى فى نفوس وعقول السامعين، وشغل كل حواسهم بالموضوع، وتركيز انتباههم فيه، مما يساعد على تمام وعيه وحسن حفظه بكل ملابساته. ومن هذه الوسائل:

أ ـ التعبير بحركة اليد: كتشبيكه ﷺ بين أصابعه وهو يبين طبيعة العلاقة بين المؤمن وأخيه:

٥١ ـ فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً**» وشبَّك بين أصابعه[٣].

ومن ذلك تمثيله ﷺ للقرب بين بعثته وبين قيام الساعة بالقرب بين أصبعيه: السبابة والوسطى.

٥٢ ـ فعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا، بالوسطى والتى تلى الإبهام: «**بعُثتُ والساعة كهاتين**»، وفى رواية: أنه قرن بين السبابة والوسطى[٤].

---

(١) أسك: مصطَلَم الأذنين مقطوعهما. (النهاية ٢/ ٣٨٤).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٧٢ (٢٩٥٧/ ٢)، وأبو داود فى كتاب: الطهارة، باب: ترك الوضوء من مس الميتة ١/ ٤٨ (١٨٦)، وأحمد ٣/ ٣٦٥.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: المظالم، باب: نصر المظلوم ٥/ ٩٩ (٢٤٤٦)، وفى كتاب: الأدب، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ١٠/ ٤٥٠ (٦٠٢٦)، ومسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩ (٢٥٨٥/ ٦٥) والترمذى فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى شفقة المسلم على المسلم ٤/ ٣٢٥ (١٩٢٨).

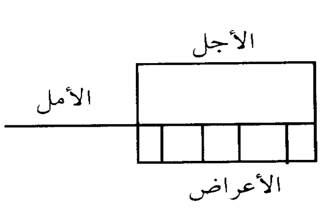
(٤) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير، سورة النازعات ٨/ ٦٩١ (٤٩٣٦)، وفى كتاب: الطلاق، باب: اللعان ٩/ ٤٣٩ (٥٣٠١)، وفى كتاب: الرقاق، باب: قول النبى ﷺ «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» ١١/ ٣٤٧ (٦٥٠٣)، ومسلم فى كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة ٤/ ٢٢٦٨ (٢٩٥٠/ ١٣٢).

٥٣ ـ ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ فى قصة وفاة نبى الله داود عليه السلام، وفى آخره: «**فقال سليمان للطير: أظلِّى على داود. فأظلَّتْ عليه الطير، حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال لها سليمان: اقبضى جناحاً جناحاً**» قال أبو هريرة: يرينا رسول الله ﷺ كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله ﷺ يده، وغلبتْ عليه يومئذ المُصَرِّحيَّة[(١)]»[(٢)].

ب ـ **التعبير بالرسم**، فكان ﷺ يخُط على الأرض خطوطاً توضيحيةً تلفت نظر الصحابة ثم يأخذ فى شرح مفردات ذلك التخطيط، وبيان المقصود منه.

٥٤ ـ فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «خطَّ النبى ﷺ خطًا مربَّعاً، وخطّ خطّاً فى الوسط خارجاً منه، وخطّ خُططاً صغاراً إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط، وقال: «**هذا الإنسان، وهذا أجله محيطٌ به ـ أو قد أحاط به ـ وهذا الذى هو خارجٌ أملُه، وهذه الخطط الصغار الأعراضُ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**»[(٣)].

ففى هذا الحديث بيَّن لهم النبىُّ ﷺ بالرسم على الأرض كيف يُحال بين الإنسان وبين آماله الكثيرة الواسعة بالأجل المفاجىء، أو الحوادث والنوائب المهلكة والفاجعة التى تتواتر عليه يتبع بعضها بعضاً، إذا سلم من واحدة أوجعتْه أختها، حتى يأتيه الموت، وفى ذلك دعوة لقصر الأمل، وحضٌ على



(صورة الرسم فى رياض الصالحين للنووى)

---

(١) المُصَرِّحيَّة: من التصريح، خلاف التعريض (الصحاح١/ ٣٨٢) والظاهر: أنه اسم فاعل من التصريح لحقته الياء والتاء المصدريتان، أى غلبت عليه صفة التصريح والإيضاح فى البيان، حتى يوضح المراد بالكلام، ويستعين عليه بالإشارة باليد، والله أعلم (عن هامش الحديث رقم (٩٤٣٣) من مسند أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة بإشراف: شعيب الأرناؤوط).

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٤١٩، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٠٧: «فيه المطلب بن عبد الله بن حنطب، وثقه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح» قلت: ذكر البخارى فى التاريخ الأوسط ١/ ١٧، وابن أبى حاتم عن أبيه فى المراسيل صـ٢٠٩ أن المطلب لم يسمع من أبى هريرة.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الرقاق باب: فى الأمل وطوله ١١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ (٦٤١٧)، والترمذى فى كتاب: القيامة، باب: (بدون) ٤/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦ (٢٤٥٤)، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: الأمل والأجل ٢/ ١٤١٤ (٤٢٣١) وأخرج الثلاثة نحوه عن أنس بن مالك مختصراً، فى نفس المواضع.

الاستعداد للموت قبل هجومه المفاجىء.

ومن ذلك رسمه ﷺ صورة للإسلام صراط الله المستقيم بالنسبة للسبل الأخرى.

٥٥ ـ فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: خطَّ رسول الله ﷺ خطّاً بيده، ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيما**»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: «**وهذه السبل ليس منها سبيلٌ إلاّ عليه شيطانٌ يدعو إليه**» ثم قرأ ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ [الأنعام: ١٥٣](١).

جـ ـ التعبير برفع وإظهار الشىء موضوع الحديث، كما فعل ﷺ عند الحديث عن حكم لبس الحرير والذهب:

٥٦ـ فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: إن نبيَّ الله ﷺ أخذ حريراً فجعله فى يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله فى شماله، ثم قال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتى**» زاد فى رواية «**حلٌّ لإناثهم**»(٢).

فجمع النبى ﷺ بين القول وبين رفع الذهب والحرير وإظهارهما، حتى يجمع لها السماع والمشاهدة، فيكون ذلك أوضح وأعون على الحفظ.

د ـ التعليم العملى بفعل الشىء أمام الناس، حتى يتعلَّموا من مشاهدتهم له فى فعله ﷺ، كما فعل عند تعليمهم طريقة الصلاة؛ إذ صعد المنبر فصلَّى بحيث يراه الناس أجمعون:

٥٧ـ فعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ قام على المنبر، فاستقبل القبلة وكبَّر، وقام الناس خلفه، فقرأ وركع، وركع الناس

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤٣٥، ٤٦٥، والبزار (كشف الأستار) ٣/ ٤٩ (٢٢١٠: ٢٢١٢) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٢٢: «فيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة، وفيه ضعف». وأخرجه النسائى فى الكبرى فى كتاب: التفسير، سورة الأنعام ٦/ ٣٤٣ (١١١٧٤، ١١١٧٥) وصححه الحاكم ٢/ ٣١٨ وله شاهد بلفظ قريب عن جابر عند أحمد ٣/ ٣٩٧، والمروزى فى «السنة» صـ٦، وابن ماجه فى المقدمة، باب: اتباع سنة رسول الله ﷺ ١/ ٦ (١١).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: اللباس، باب: فى الحرير للنساء ٤/ ٥٠ (٤٠٥٧)، والنسائى فى كتاب: الزينة، باب: تحريم الذهب على الرجال ٨/ ١٦٠، ١٦١، وابن ماجه فى كتاب: اللباس، باب: لبس الحرير والذهب للنساء ٢/ ١١٨٩ (٣٥٩٥)، وأحمد ١/ ٩٦، ١١٥ وصححه ابن حبان ١٢/ ٢٥٠ (٥٤٣٤)، وحسَّن النووى إسناده فى رياض الصالحين (٨٠٧)، وله شواهد كثيرة يصح بها.

خلفه، ثم رفع رأسه، ثم رجع القَهْقَرَى[١]، فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، ثم قرأ، ثم ركع، ثم رفع رأسه، ثم رجع القَهْقَرَى، حتى سجد بالأرض.

فلما فرغ أقبل على الناس، فقال: **«أيها الناس، إنما صنعتُ هذا لتأتمُّوا بى، ولتَعَلَّموا[٢] صلاتى»**[٣].

ومن ذلك تعليمهم كيفية البزاق لمن غلبه ذلك فى الصلاة:

٥٨ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن النبى ﷺ رأى نُخَامةً[٤] فى القبلة، فشقَّ ذلك عليه، حتى رُؤى فى وجهه، فقام فحكَّه بيده، فقال: **«إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنه يُناجى ربه ـ أو إن ربه بينه وبين القبلة ـ فلا يبزُقَنَّ أحدكم قِبَل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه»**، ثم أخذ طرف ردائه، فبصق فيه، ثم ردَّ بعضه على بعض، فقال: **«أو يفعل هكذا»**[٥].

٨ ـ استعمال لطيف الخطاب ورقيق العبارات:

فإن ذلك مما يؤلف القلوب، ويستميلها إلى الحق، ويدفع المستمعين إلى الوعى والحفظ، كما فعل مع ربيبه عمر بن أبى سلمة رضى الله عنه حين أخذ فى تعليمه آداب الأكل.

٥٩ ـ فعن عمر بن أبى سلمة رضى الله عنه قال: دخلتُ على النبى ﷺ،

---

(١) القَهْقَرَى: المشى إلى خلف، من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه. (النهاية ٤/ ١٢٩).

(٢) أى لتتعلَّموا، فحذف إحدى التاءين.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الصلاة، باب: الصلاة فى السطوح والمنبر والخشب ١/ ٤٨٦ (٣٧٧)، وفى كتاب: الجمعة، باب: الخطبة على المنبر ٢/ ٣٩٧ (٩١٧)، ومسلم فى كتاب: المساجد، باب: جواز الخطوة والخطوتين فى الصلاة ١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧ (٥٤٤/ ٤٤)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: فى اتخاذ المنبر ١/ ٢٨٣ (١٠٨٠)، والنسائى فى كتاب: المساجد، باب الصلاة على المنبر، ٢/ ٥٧، ٥٩، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء فى بدء شأن المنبر ١/ ٤٥٥ (١٤١٦).

(٤) النخامة: قيل: هى ما يخرج من الصدر، وقيل: النخاعة ـ بالعين ـ من الصدر، وبالميم من الرأس (فتح البارى ١/ ٥٠٨).

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب: الصلاة، باب: حك البزاق باليد من المسجد ١/ ٥٠٧ (٤٠٥)، وباب: إذا بدره البزاق فليأخذ بطرف ثوبه ١/ ٥١٣ (٤١٧)، ومسلم ـ مختصراً ـ فى كتاب: المساجد، باب: النهى عن البصاق فى المسجد ١/ ٣٩٠ (٥٥٢/ ٥٥).

وهذه القصة مروية عن عدد من الصحابة منهم عبد الله بن عمر، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدرى وجابر ابن عبد الله، رضى الله عنهم.

فقال: «**اجلس يا بُنَىَّ، وسمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك**»[١].

كما كان ﷺ يمهِّد لكلامه وتوجيهه بعبارة لطيفة رقيقة، وبخاصة إذا كان بصدد تعليمهم ما قد يُستَحيا من ذكره، كما فعل عند تعليمهم آداب الجلوس لقضاء الحاجة، إذ قدَّم لذلك بأنه مثل الوالد للمؤمنين، يعلِّمُهم؛ شفقةً بهم:

٦٠ ـ وفى ذلك روى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلِّمكم، فإذا أتى أحدُكم الغائط فلا يستقبل القبلةَ، ولا يستدبرْها، ولا يَسْتَطِبْ بيمينه**»[٢].

٦١ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما، أن عمر رضى الله عنه استأذن النبى ﷺ فى العمرة، فأذن له، وقال: «**لا تنسنا من دعائك يا أخى**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو بكر الشافعى فى «الغيلانيات» ٢/ ٣٧٥ (٩٣٦) بسندٍ حسنٍ، ومن طريقه أخرجه الخطيب فى «الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع» ١/ ٦٣١ (٩٥٨)، وأخرجه الترمذى فى كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء فى التسمية على الطعام ٤/ ٢٨٨ (١٨٥٧)، والسمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٣٧. وأصل الحديث أخرجه البخارى فى كتاب: الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين ٩/ ٥٢١ (٥٣٧٦)، ومسلم فى كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٣/ ١٥٩٩ (٢٠٢٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، وأبو داود فى كتاب: الأطعمة، باب: الأكل باليمين ٣/ ٣٤٩ (٣٧٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: الطهارة، باب: كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة ١/ ٣ (٨)، والنسائى فى كتاب: الطهارة، باب: النهى عن الاستطابة بالروث ١/ ٣٥ ـ ٣٦، وابن ماجه فى كتاب: الطهارة، باب: الاستنجاء بالحجارة ١/ ١١٤ (٣١٣)، وأصل الحديث فى صحيح مسلم فى كتاب: الطهارة، باب: الاستطابة ١/ ٢٢٤ (٢٦٥/ ٦٠) ومعنى «لا يستطب بيمينه»: لا يستنجى بيده اليمنى.

(٣) أخرجه السمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٣٦.

من الآداب التى راعاها الصحابة
فى التلقى والسماع

مثلما حرص النبى ﷺ على استخدام الوسائل التربوية السامية التى سبق ذكرها، حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التزام آداب ومبادىء مهمة، كان لها عظيم الأثر فى حسن الحفظ وتمام الضبط وجودة التحمل والأخذ، وهاك أهم تلك الآداب.

١ ـ **الإنصات التام وحسن السماع**: حتى لا يفوتهم شىء من حديثه ﷺ، وتكون الأذهان من الصفاء بحيث يسهل الحفظ ويكمل الضبط، ومعلوم أن الإنصات مقدمة الحفظ، وأن حسن الاستماع أول أبواب العلم، كما جاء عن عدد كبير من السلف[١].

وقد كان الرسول ﷺ أجل فى نفوس الصحابة وأعظم من أن يلغوا إذا تحدث، أو ينشغلوا عنه إذا تكلم، أو يرفعوا أصواتهم بحضرته، وإنما كانوا يلقون إليه أسماعهم، ويُشْهِدون عقولهم وقلوبهم، ويحفزون ذاكرتهم، لاستقبال ما يلقيه ووعيه وحفظه؛ ليسهل لهم العمل به والتبليغ له.

ولم لا وقد أدبهم بذلك الحق جل وعلا، فقال **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** [الحجرات: ١، ٣].

ولذلك كانوا يوقرون مجلسه ﷺ، وينصتون بين يديه.

٦٢ـ فعن أسامة بن شريك رضى الله عنه قال: «أتيتُ النبىَّ ﷺ، وإذا

---

(١) روى ذلك عن الضحاك بن مزاحم، وعبد الله بن المبارك، ومحمد بن النضر الحارثى، وسفيان الثورى، والفضيل بن عياض، بأسانيد صحيحة إليهم، انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ٤٧٦: ٤٧٨، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب ١/ ٢٩٢: ٢٩٣، وشعب الإيمان للبيهقى ٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ (١٧٩٦: ١٧٩٧) وأدب الإملاء والاستملاء للسمعانى صـ١٤٤، وفتح البارى ١/ ٢١٧.

أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير. . .» الحديث[١].

٦٣ ـ وفي رواية: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم. . .»[٢].

٦٤ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً في المسجد إذ خرج رسول الله ﷺ، فجلس إلينا، فكأنَ على رؤوسنا الطير، لايتكلم أحدٌ منا»[٣].

٦٥ـ وعنه أيضاً رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قام على المنبر، فقال: «**إنما أخشى عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من بركات الأرض**» ثم ذكر زهرة الدنيا، فبدأ بإحداهما، وثنَّى بالأخرى، فقام رجل، فقال: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي ﷺ، قلنا: يُوحَى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير، . . .» الحديث[٤].

٦٦ـ وعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث عن سيرته ﷺ في جلسائه قال: «**... وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا...**» الحديث[٥].

وفي معنى قوله: «**كأنما على رؤوسهم الطير**» نقل الخطيب عن أبي بكر بن الأنباري أن فيه قولان: «أحدهما: أن يكون المعنى يسكنون فلا يتحركون، ويغضون أبصارهم، والطير لا تقع إلا على ساكن. . . والقول الثاني: أن الأصل

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٧٨، وأبو داود في كتاب: الطب، باب: في الرجل يتداوى ٤/ ٣ (٣٨٥٥)، والطيالسي صـ١٧١ (١٢٣٢)، والطبراني في الكبير ١/ ١٧٩ (٤٦٣)، والخطيب في الجامع ١/ ٢٨٩ (٣٢٥)، واختصره الطبراني فذكر هذا الجزء فقط ١/ ١٨٥ (٤٨٦)، وكذا القاضي عياض في الإلماع صـ٤٨ ـ ٤٩، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء صـ١٤٠.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١/ ٨١ (٤٧١) وقال الهيثمي ٨/ ٢٤: «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الحاكم ٤/ ٤٠٠.

(٣) أخرجه الخطيب في الجامع ١/ ٢٨٩ (٣٢٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل النفقة في سبيل الله ٦/ ٤٨ ـ ٤٩ (٢٨٤٢).

(٥) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب: ما جاء في خلق رسول الله ﷺ صـ٢٢١ ـ ٢٢٤ (٣٣٥) وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٥، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ٤١٤، والأحاديث الطوال في اخر المعجم الكبير ٢٥/ ٢٤٥ ـ ٢٥٠، ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٦١ ـ ١٦٢، ودلائل النبوة لأبي نعيم صـ٥٥١ ـ ٥٥٦، وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ٣٣.

فى قولهم **«كأنما على رؤوسهم الطير»**: أن سليمان بن داود (عليه السلام) كان يقول للريح: أقلِّينا، وللطير: أظلِّينا، فتقله الريح، وتظلهم الطير. وكان أصحابه يغضون أبصارهم هيبةً له وإعظاماً، ويسكنون فلا يتحركون، ولا يتكلمون بشىء إلا أن يسألهم عنه فيجيبوه، فقيل للقوم إذا سكنوا: هم علماء وقراء، كأنما على رؤوسهم الطير؛ تشبهاً بأصحاب سليمان عليه السلام»[(١)].

وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله: «أصله: أن الغراب يقع على رأس البعير، فيلقط منه القُرَاد، فلا يتحرك البعير حينئذ، لئلا ينفر عنه الغراب ويبقى القراد فى رأس البعير فيؤلمه، فقيل منه: كأن على رؤوسهم الطير»[(٢)].

وأيّاً ما كان أصل المثل فهو يدل على السكون التام، والإنصات الكامل، هيبةً لرسول الله ﷺ، وتعظيماً له، وإجلالاً لحديثه.

وكان العدد ربما كثر بين يدى النبى ﷺ، فكان يقيم من يستنصتهم، ومن يبلغ عنه حتى يصل كلامه إلى أسماع جميع الحاضرين، كما حدث فى يوم النحر، حيث أمر جرير بن عبد الله البجلى أن يستنصت له الناس، وأمر علىَّ بن أبى طالب أن يبلغ عنه، حتى يسمع من لم يبلغه صوته ﷺ.

٦٧ـ فعن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال له فى حجة الوداع: **«استنصت الناس»** فقال: **«لا ترجعوا بعدى كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»**[(٣)].

٦٨ـ وعن رافع بن عمرو المزنى رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنىً (يعنى يوم النحر) حين ارتفع الضحى، على بغلةٍ شهباء[(٤)]،

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٢) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه فى التعليم صـ٣٠.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب العلم، باب: الإنصات للعلماء ١/ ٢١٧ (١٢١)، وفى كتاب: المغازى، باب: حجة الوداع ٧/ ١٠٧ (٤٤٠٥)، وفى كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى ﴿ومن أحياها﴾ ١٢/ ١٩١ (٦٨٦٩) وفى كتاب: الفتن، باب: قول النبى ﷺ «لا ترجعوا بعدى كفارا...» ١٣/ ٢٦ (٧٠٨٠)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بيان معنى قول النبى ﷺ «لا ترجعوا بعدى كفارا...» ١/ ٨١ (٦٥/ ١١٨)، وابن ماجه فى كتاب الفتن، باب: لا ترجعوا بعدى كفاراً ٢/ ١٣٠٠ (٣٩٤٢)، والخطيب فى الجامع ٢/ ٨٦ (١٢٣٠)، والسمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٤٩.

(٤) شهباء: بيضاء، والشُّهْبة فى الألوان: البياض الذى غلب على السواد (انظر: الصحاح ١/ ١٥٩، والنهاية ٢/ ٥١٢).

وعلى رضى الله عنه يُعَبِّر عنه، والناس بين قاعد وقائم»[١].

٢ ـ ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدث حتى يفرغ: وهذا من تمام الأدب، المفضى إلى ارتياح جميع الجالسين، وإقبال بعضهم على بعض، والمعين على سهولة الحفظ والضبط.

٦٩ـ ففى حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه السابق فى سيرته ﷺ فى جلسائه، قال: «**لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلَّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم...**» الحديث.

أى أن من بدأ منهم الحديث والكلام سكتوا حتى يفرغ أولاً من حديثه، ولم يقاطعوه أو ينازعوه، وبذلك يبقى المجلس على وقاره وهيبته، ولا تختلط فيه الأصوات، ولا يحصل أدنى تشويش.

وقد شهد بذلك عروة بن مسعود الثقفى حينما أتى يوم الحديبية مفاوضاً لرسول الله ﷺ، وسفيراً لقريش، ثم حدَّث به أصحابه حين عاد إليهم:

٧٠ـ فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضى الله عنهما، قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه... فذكرا قصة الحديبية إلى مجيء عروة بن مسعود، وفى آخر قصة عروة قالا: «ثم إن عروة جعل يرمُق صحابة النبى ﷺ بعينيه. قال: فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامةً إلا وقعت فى يد رجلٍ منهم، فَدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضُوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر؛ تعظيماً له.

قال: فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أى قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إنْ رأيتُ ملكاً قطُّ يعظِّمه أصحابه ما يعظم أصحابُ محمد ﷺ محمداً، والله إن تنخَّم نُخامةً إلا وقعت فى كفِّ رجلٍ منهم فَدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تلكم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه؛ تعظيماً له...» الحديث[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: المناسك، باب: أى وقت يخطب يوم النحر ٢/ ١٩٨ (١٩٥٦)، والطبرانى فى الكبير ـ مطولاً ـ ٥/ ١٨ ـ ١٩ (٤٤٥٨)، والخطيب فى الجامع ٢/ ٧٩ (١٢١٤) والسمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء ص ٨٥ وقد روى عن عامر المزنى، أخرجه أبو داود فى كتاب: اللباس، باب: فى الرخصة فى ذلك (يعنى فى الحمرة) ٤/ ٥٤ (٤٠٧٣)، وأحمد ٣/ ٤٧٧، والصواب الأول.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح فى المصنف ٥/ ٣٣٦ (٩٧٢٠)، وأخرجه البخارى من طريقه فى كتاب: الشروط، باب: الشروط فى الجهاد ٥/ ٣٣٠ (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢).

٣ ـ مراجعته ﷺ فيما أشكل عليهم حتى يتبين لهم: فمع كمال هيبتهم لرسول الله ﷺ وشدة تعظيمهم له؛ لم يكونوا يترددون في مراجعته ﷺ لاستيضاح ما أشكل عليهم فهمه، حتى يسهل حفظه بعد ذلك، ولا شك أن هذه المراجعة كانت أعون على الضبط، وأحسن تهيئةً لتمام الوعى والفهم.

٧١ـ من ذلك ما رواه عبد الله بن أبى مُلَيْكة رحمه الله، أن عائشة زوج النبى ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعتْ فيه حتى تعرفه، وأن النبى ﷺ قال: «**مَنْ حُوسب عُذِّب**» قالت عائشة: أَوَليس يقول الله تعالى ﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً** ﴾ [الانشاق: ٨] قالت: فقال: «**إنما ذلك العرضُ، ولكن مَنْ نوقش الحسابَ يَهْلكْ**»[1].

قال ابن حجر: «وفى الحديث: ما كان عند عائشة من الحرص على تفُّهم معانى الحديث، وأن النبى ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة فى العلم»[2].

٧٢ـ ومن ذلك حديث حفصة رضى الله عنها قالت: قال النبى ﷺ: «**إنى لأرجو ألا يدخل النارَ أحدٌ إن شاء الله ممن شهد بدرًا والحديبية**». قالت: قلت يارسول الله، أليس قد قال الله: ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا**﴾ [مريم: ٧١] قال: «**ألم تسمعيه يقول: ﴿ ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾** [مريم ٧٢] »[*].

٧١ـ ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله، عن عبد الله بن أنيس، رضى الله عنهم، الذى رحل جابرٌ إليه فيه، قال ابن أنيس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد ـ أو قال: الناس ـ عراةً غُرْلاً**[3] **بُهْماً**» قال: قلنا: ما بُهماً؟ قال:

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: من سمع شيئاً فراجع فيه حتى يعرفه ١/ ١٩٦ ـ ١٩٧ (١٠٣)، وفى كتاب: التفسير، باب: سورة الانشقاق ٨/ ٦٩٧ (٤٩٣٩)، وفى كتاب: الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب ١١/ ٤٠٠ (٦٥٣٦، ٦٥٣٧)، ومسلم فى كتاب: الجنة، باب: إثبات الحساب ٤/ ٢٢٠٤ (٢٨٧٦/ ٧٩ ـ ٨٠)، وأحمد ٦/ ٤٧، ٤٨، ٩١، ١٠٨، ١٢٧، ١٩٥، ٢٠٦ وابن حبان ١٦/ ٣٦٩: ٣٧١ (٧٣٦٩: ٧٣٧١)والسمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ١٠٦.

(٢) فتح البارى ١/ ١٩٧.

(*) أخرجه ابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب ذكر البعث ٢/ ١٤٣١ (٤٢٨١)، وقال البوصيرى فى الزوائد: «حديث حفصة صحيح رجاله ثقات، إن كان أبو سفيان سمع من جابر بن عبد الله».

قلت: أبو سفيان المذكور هو طلحة بن نافع الواسطى، صدوق، روى له الجماعة وروايته عن جابر صحيفة، وقيل: جاوره ستة أشهر، وروايات الأعمش عنه مستقيمة، وهذا منها.

(٣) غُرْلاً ـ بضم الغين المعجمة وتسكين الراء ـ: جمع أَغْرَل، وهو الأَقْلَف، والغُرْلة: القُلْفة. (الصحاح ٥/ ١٧٨٠)، والقلفة: هى القطعة التى تقطع من الذكر عند الختان، ومعنى «غرلاً» غير مختونين.

«ليس معهم شىءٌ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد، كما يسمعه من قَرُب: أنا الملكُ، أنا الديَّان، لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعندهُ مَظْلمة، حتى أُقصَّه[(١)] **منه، حتى اللطمة»**. قال: قلنا: كيف ذا، وإنما نأتى الله غُرْلاً بُهْماً؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**».

قال: وتلا رسول الله ﷺ ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ** ﴾[(٢)] [غافر: ١٧].

فأنت ترى كيف استفهم الصحابة عما خفى عليهم، واستوضحوا ما أشكل عليهم فهمه، ولا ريب أن هذه المراجعة والمناقشة كان لها أثر كبير فى الوعى والحفظ.

٤ ـ عرض الحديث على النبى ﷺ وترديده بين يديه: وذلك للتأكد من حفظه وضبطه.

٧٤ـ من ذلك ما رواه البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: **«إذا أتيتَ مضجعَك فتوضَّأ وضوءَك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمتُ وجهى إليك، وفوَّضتُ أمرى إليك، وألجأتُ ظهرى إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا مَنْجَى منك إلا إليك. اللهم آمنتُ بكتابك الذى أنزلتَ، وبنبيك الذى أرسلتَ. فإن متَّ من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلمُ به»**.

قال: فردَّدْتُها ـ وفى رواية: فقلتُ أستذكرهن[(٣)] ـ على النبى ﷺ، فلما بلغتُ «**اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت**» قلت: ورسولك. قال: «**لا، ونبيك الذى**

(١) أُقصَّه: أمكِّنه من أخذ القصاص ممن ظلمه، فيفعل به مثل فعلته من قتل أوقطع أو ضرب أو جرح أو غير ذلك (انظر: النهاية ٤/ ٧٢).

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٣٧، ٤/ ٥٧٤ وصححه ووافقه الذهبى، وأخرجه أحمد ٣/ ٤٩٥، والبخارى فى الأدب المفرد، باب: المعانقة صـ٢٨٧ ـ ٢٨٨ (٩٧٠) والحارث بن أبى أبىُ أسامة (بغية الباحث) ١/ ١٨٨ ـ ١٨٩ (٤٤)، والخطيب فى «الرحلة فى طلب الحديث» صـ١٠٩ ـ ١١٤ (٣١، ٣٢) وفى الجامع ٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ (١٧٤٨)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠ (٥٦٥)، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦ عن إسناد أحمد: «رجاله وثقوا»، وقال المنذرى عنه «رواه أحمد بإسناد حسن» (الترغيب والترهيب ٤/ ٤٠٤)، وحسنه ابن حجر فى فتح البارى ١/ ١٧٤، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٣٣: «عبد الله بن محمد (بن عقيل) ضعيف».

(٣) رددتها: أى رددتُ تلك الكلمات لأحفظهن. وأستذكرهن: أى أتحفظهن. وفى رواية مسلم: فرددتهن لأستذكرهن. انظر: فتح البارى ١١/ ١١٢.

أرسلت»[١].

فقد قام البراء رضى الله عنه بترديد الحديث، وعرضه على النبى ﷺ، لتأكيد حفظه وضبطه، فصحح له النبى ﷺ اللفظة التى لم يضبطها.

٥ ـ **مذاكرة الحديث:** كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سمعوا شيئاً من النبى ﷺ وحملوا عنه علماً، جلسوا فتذاكروه فيما بينهم، وتراجعوه على ألسنتهم، تأكيداً لحفظه، وتقويةً لاستيعابه وضبطه.

٧٥ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «كنا نكون عند النبى ﷺ، فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه»[٢].

٧٦ـ وفى رواية: «كنا قعوداً مع النبى ﷺ ـ فعسى أن يكون قال: ستين رجلاً ـ فيحدثنا الحديث، ثم يدخل، فنتراجعه بيننا، هذا ثم هذا، فنقوم كأنما زُرِع فى قلوبنا»[٣].

وهذه المذاكرة من أكبر أسباب الحفظ والضبط.

وربما رآهم النبىُّ ﷺ وهم يتذاكرون، فسرّه ذلك، وشجعهم عليه، وحذرهم من الكذب والوضع.

٧٧ ـ فعن رافع بنِ خديج رضى الله عنه قال: مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نتحدث، فقال: **«ما تحدَّثون؟»** فقلنا: نتحدث. فقال: **«تحدَّثوا، وليتبوأ من كذب علىَّ مقعده من النار»**[٤].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الوضوء، باب: فضل من بات على وضوء ١/ ٣٥٧ (٢٤٧)، وفى كتاب: الدعوات، باب: إذا بات طاهراً ١١/ ١٠٩ (٦٣١١)، ومسلم فى كتاب: الذكر والدعاء، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٤/ ٢٠٨١ (٢٧١٠/ ٥٦)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: ما يقال عند النوم ٤/ ٣١١ (٥٠٤٦)، والترمذى فى كتاب: الدعوات، باب: ما جاء فى الدعاء إذا أوى إلى فراشه ٥/ ٤٣٧ (٣٣٩٤)، وابن ماجه فى كتاب: الدعاء، باب: ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه ٢/ ١٢٧٥ ـ ١٢٧٦ (٣٨٧٦) وأحمد ٤/ ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٠، والقاضى عياض فى الإلماع صـ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) أخرجه الخطيب فى الجامع ١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ (٤٦٦)، وفيه يزيد الرقاشى، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلى ٧/ ١٣١ (٤٠٩١)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٦١: «فيه يزيد الرقاشى، وهو ضعيف»، وأخرجه الخطيب فى «الفقيه والمتفقه» ٢/ ١٢٧.

(٤) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١١٥٠ (٢٢٦٨) معلقاً، وحديث التحذير من الكذب صحيح متواتر، رواه أكثر من سبعين صحابياً.

وقد بقى مبدأ المذاكرة قائماً بين الصحابة، حتى بعد وفاته ﷺ:

٧٨ـ فعن أبى نضرة المنذر بن مالك بن قُطعة رحمه الله قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا تذاكروا العلم، وقرؤوا سوره»(١).

٧٩ ـ وعن إبراهيم النخعى رحمه الله قال: «كانوا (يعنى الصحابة) يجلسون ويتذاكرون العلم والخير، ثم يتفرقون، لا يستغفر بعضُهم لبعض، ولا يقول: يا فلان، ادْعُ لى»(٢).

---

(١) أخرجه الخطيب فى الجامع ٢/ ٨٦ (١٢٢٩) ،والسمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٤٨.
(٢) أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب بإسناد صحيح فى كتاب العلم صـ٣٦ (١٥٩).

المبحث الثانى

التعليق على الوقائع والأحداث والأفعال التى حدثت أمام الصحابة

كان النبى ﷺ ينتهز الفرص لتعليم الصحابة رضوان الله عليهم، فإذا حدث شىءٌ أمامه علَّق عليه بما يقتضيه المقام، سواء كان هذا الشىء صادراً منه ﷺ، أو صادراً من بعض أصحابه، وسواء سأل الصحابة أم لم يسألوا.

ولا شك أن الدرس والتوجيه الناشىء عن تلك المواقف والتصرفات درس لا يُنسى؛ لارتباطه بالواقع المشاهد، وصلته بمناسبة عايشها المتلقى وشاهدها، فرسخت فى ذهنه بصورتها، ونُقِشتْ فى وعيه وقلبه بأسبابها وملابساتها.

تعليقه على الأفعال الصادرة منه ﷺ أمام الصحابة:

من ذلك بكاؤه ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم عليه السلام.

٨٠ ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبى سيف القين ـ وكان ظئراً[١] لإبراهيم عليه السلام ـ فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيمَ، فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان[٢]، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: **«يا ابن عوف، إنها رحمة»** ثم أتبعها بأخرى، فقال: **«إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»**[٣].

---

(١) الظِّئْر ـ بكسر الظاء المعجمة، وسكون التحتانية المهموزة، بعدها راء ـ: المرضع، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة. وأصل الظئر: من ظَأَرَت الناقة،، إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للتى ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها؛ لأنه يشاركها فى تربيته غالباً (فتح البارى ٣/ ١٧٣).

(٢) تَذْرِفان: يجرى دمعهما، يُقَال: ذَرَفَت العينُ تَذْرِف، إذا جرى دمعها. (النهاية ٢/ ١٥٩).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الجنائز، باب: قول النبى ﷺ «إنا بك لمحزونون» ٣/ ١٧٢ (١٣٠٣)، ومسلم فى كتاب: الفضائل، باب: رحمة النبى ﷺ بالصبيان والعيال ٤/ ١٨٠٧ (٢٣١٥/ ٦٢)، وأبو داود فى كتاب: الجنائز، باب: فى البكاء على الميت ٣/ ١٩٣ (٣١٢٦).

ومن ذلك بكاؤه ﷺ حين دخل على سعد بن عبادة رضى الله عنه يعوده فى مرضةٍ مرضها.

٨١ ـ فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبى ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده فى غاشية أهله[١]، فقال: «**قد قضى؟**» قالوا: لا يا رسول الله. فبكى عليه ﷺ، فلما رأى القومُ بكاءَ النبى ﷺ بكَوْا، فقال: «**أَلا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذِّب بهذا** ـ وأشار إلى لسانه ـ **أو يرحم، وإن الميت يُعَذَّب ببكاء أهله عليه**»[٢].

تعليقه ﷺ على ما صدر من بعض الصحابة:

من ذلك تعليقه على أفعال النفر الثلاثة الذين أتوا مجلسه ﷺ وقد غَصَّ بالناس، فجلس اثنان، وانصرف الثالث:

٨٢ ـ فعن أبى واقد الحارث بن مالك الليثى؛ أن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ فى المسجد والناس معه، إذا أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد. قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجةً فى الحلقة، فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً.

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**أَلا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه**»[٣].

---

(١) غاشية أهله: أى الذين يَغْشُونه للخدمة وغيرها، وسقط لفظ «أهله» فى بعض الروايات، على معنى أنه رأى ما يتغشاه من كرب الوجع الذى هو فيه (انظر: فتح البارى ٣/ ١٧٥).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الجنائز، باب: البكاء عند المريض ٣/ ١٧٥ (١٣٠٤).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: من قعد حيث ينتهى به المجلس ١/ ١٥٦ (٦٦)، وفى كتاب: الصلاة، باب: الحلق والجلوس فى المسجد ١/ ٥٦٢ (٤٧٤)، ومسلم فى كتاب: السلام، باب: من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم ٤/ ١٧١٣ (٢١٧٦/ ٢٦)، والترمذى فى كتاب: الاستئذان، باب: حدثنا الأنصارى ٥/ ٩٦ (٢٧٢٤)، ومالك فى كتاب: السلام، باب: جامع السلام ٢/ ٩٦٠ - ٩٦١، وأحمد ٥/ ٢١٩.

ومن ذلك تعليقه على اعتقاد بعض الصحابة أن الشمس كسفت لموت ابنه إبراهيم عليه السلام:

٨٣ ـ فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: كسفت الشمسُ على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم. فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فصلُّوا، وادعوا الله**»(١).

مبادىء تربوية استخدمها النبى ﷺ فى التعليق على ما صدر من بعض الصحابة:

راعى المعلِّم الأعظم ﷺ جملة من المبادىء التربوية الكريمة كانت غاية فى السمو الخُلُقى والكمال العقلى، وذلك فى تعليقه على ماصدر من بعض الصحابة، جعلتْ الحديث يستقر فى قلوبهم، والتوجيه حاضراً فى حوافظهم وعقولهم، فضبطوا بذلك ما سمعوه، وبقى ماثلاً أمام بصائرهم؛ لما ارتبط به من معان تربوية كريمة.

وهاك بعض هذه المبادىء السامية:

١ ـ **تشجيع المحسن والثناء عليه:** ليزداد نشاطاً وإقبالاً على العلم والعمل، مثلما فعل مع أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، حين أثنى على قراءته وحسن صوته بالقرآن:

٨٤ ـ فعن أبى موسى رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال له: «**لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود**»(٢).

٨٥ ـ وفى رواية: أن النبى ﷺ وعائشة مرَّا بأبى موسى، وهو يقرأ فى بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثم إنهما مضيا، فلما أصبح لقى أبا موسى رسولُ الله ﷺ فقال: «**يا أبا موسى، مررت بك البارحة ومعى عائشة، وأنت تقرأ فى بيتك، فقمنا**

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الكسوف، باب: الصلاة فى كسوف الشمس ٢/ ٥٢٦ (١٠٤٣)، وفى باب: الدعاء فى الخسوف ٢/ ٥٤٦ (١٠٦٠)، ومسلم فى كتاب: الكسوف، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف: الصلاة جامعة ٢/ ٦٣٠ (٩١٥/ ٢٩)، والقصة مروية كذلك عن أبى بكرة نفيع بن الحارث رضى الله عنه، عند البخارى (١٠٤٠، ١٠٤٨، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ٥٧٨٥)، وغيره.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن ١/ ٥٤٦ (٧٩٣/ ٢٣٦)، وانظر: البخارى فى كتاب: فضائل القرآن، باب: حسن الصوت بالقراءة للقرآن ٩/ ٩٢ (٥٠٤٨).

فاستمعنا». فقال له أبو موسى: أما إنى يا رسول الله لو علمتُ لحبَّرت[١] لك تحبيرا[٢].

٨٦ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قعد أبو موسى فى بيته، واجتمع إليه ناسٌ، وأنشأ يقرأ عليهم القرآن. قال: فأتى رسولَ الله ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله، ألا أعجبك من أبى موسى أنه قعد فى بيت، واجتمع إليه ناس، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**أتستطيع أن تقعدنى بحيث لا يرانى منهم أحد؟**» قال: نعم. قال: فخرج رسول الله ﷺ. قال: فأقعده الرجل بحيث لا يراه منهم أحد، فسمع قراءة أبى موسى. قال: فقال: «**إنه يقرأ على مزمارٍ من مزامير آل داود**»[٣].

وقد دلّ قول أبى موسى رضى الله عنه: «أما إنى يا رسول الله لو علمتُ لحبَّرْتُ لك تحبيراً» على أن الثناء الحسن والتشجيع له أكبر الأثر فى دفع المحسن إلى مزيد من الإحسان، وهذه حقيقة تربوية معلومة.

٢ ـ الإشفاق على المخطىء وعدم تعنيفه: كان صلوات الله وسلامه عليه يقدِّر ظروف الناس، ويراعى أحوالهم، ويعذرهم بجهلهم، ويتلطّف فى تصحيح أخطائهم، ويترفَّق فى تعليمهم الصواب، ولا شك أن ذلك يملأ قلب المنصوح حبّاً للرسالة وصاحبها، وحرصاً على حفظ الواقعة والتوجيه وتبليغهما، كما يجعل قلوب الحاضرين المعجبة بهذا التصرف والتوجيه الرقيق مهيأة لحفظ الواقعة بكافة ملابساتها.

٨٧ ـ من ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: قام أعرابىٌّ، فبال فى المسجد، فتناوله الناس[٤]، فقال لهم النبى ﷺ: «**دَعُوه، وهَرِيقُوا على بوله**

---

(١) التَّحْبِير: تحسين الصوت وتحزينه، يقال: حبَّرتُ الشىء تحبيراً، إذا حسَّنته. (النهاية ١/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه أبو يعلى ١٣/ ٢٦٦ (٧٢٧٩) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٧١: «فيه خالد بن نافع الأشعرى، وهو ضعيف».

(٣) أخرجه أبو يعلى ٧/ ١٣٤ (٤٠٩٦) وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٦٠: «إسناده حسن» **قلت**: فى إسناده يزيد بن أَبَان الرقاشى، وهو ضعيف، لكن يشهد له حديث أبى موسى الذى قبله.

(٤) قال ابن حجر: «قوله «فتناوله الناس» أى بألسنتهم. وللمصنف (البخارى) فى الأدب: «فثار إليه الناس»، وله فى رواية عن أنس: «فقاموا إليه»، وللإسماعيلى: «فأراد أصحابه أن يمنعوه»، وفى رواية أنس فى هذا الباب: «فزجره الناس»، وأخرجه البيهقى... بلفظ «فصاح به الناس»... فظهر أن تناوله كان بالألسنة لا بالأيدى، ولمسلم من طريق إسحاق عن أنس «فقال الصحابة: مَهْ مَهْ...» (فتح البارى ١/ ٣٢٤).

سَجْلاً[١] من ماء ـ أو ذَنُوباً من ماء[٢] ـ فإنما بعثتم ميسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين»[٣].

٨٨ ـ وقد روى أنس بن مالك هذه القصة، وفى بعض رواياته: «ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر، إنما هى لذكر الله عز وجل والصلاةِ وقراءةِ القرآن**» أو كما قال رسول الله ﷺ[٤].

٨٩ ـ ومن أجمل ذلك ما رواه معاوية بن الحكم السلمى رضى الله عنه قال: «بينا أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرمانى القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكْلَ أمِّياه[٥]! ما شأنكم تنظرون إلىّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتوننى، لكنى سكتُّ.

---

(١) السَّجْل ـ بفتح المهملة وسكون الجيم ـ قال أبو حاتم السجستانى: هو الدلو ملأى، ولا يقال لها ذلك وهى فارغة، وقال ابن دريد: السجل: دلو واسعة، وفى الصحاح: الدلو الضخمة. (فتح البارى ١/ ٣٢٤).

(٢) الذَّنُوب: قال الخليل: الدلو ملأى ماء، وقال ابن فارس: الدلو العظيمة، وقال ابن السِّكِّيت: فيها ماء قريب من الملء، ولا يقال لها وهى فارغة: ذنوب.
قال ابن حجر: «فعلى الترادف«أو»للشك من الراوى، وإلا فهى للتخيير، والأول أظهر، فإن رواية أنس لم تختلف فى أنها ذنوب». (فتح البارى ١/ ٣٢٤).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول فى المسجد ١/ ٣٢٣ (٢٢٠)، وفى كتاب: الأدب، باب: قول النبى ﷺ «**يسروا ولا تعسروا**» ١٠/ ٥٢٥ (٦١٢٨)، وأبو داود فى كتاب: الطهارة، باب: الأرض يصيبها البول ١/ ١٠٣ (٣٨٠).

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت فى المسجد ١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ (٢٨٥/ ١٠٠) وأحمد ٣/ ١٩١، وابن حبان ٤/ ٢٤٦ (١٤٠١) وقد أخرجه ـ مختصراً ـ من غير ذكر هذا الجزء ـ البخارى فى كتاب: الوضوء، باب: ترك النبى ﷺ والناس الأعرابى حتى فرغ من بوله فى المسجد ١/ ٣٢٢ (٢١٩)، وباب: صب الماء على البول فى المسجد ١/ ٣٢٤ (٢٢١)، وفى كتاب: الأدب، باب: الرفق فى الأمر كله ١٠/ ٤٤٩ (٦٠٢٥)، ومسلم فى نفس الموضع (٢٨٤/ ٩٨، ٩٩).

(٥) وا: حرف للنُّدبة والحسرة، والثُّكْل: فقدان المرأة ولدها، وأُمِّياه: بضم الهمزة وكسر الميم المشددة بعدها ياء ثم ألف ثم هاء ساكنة للسكت، وهى: نُدْبُ أمى بياء المتكلم، فتقلب الياء ألفا لمد الصوت وتلحقها هاء السكت، فيقال: يا أماه، وقد يجمع بين الألف والياء فيقال: يا أمِّياه، كما هنا؛ للمبالغة فى الندب والتحسر. والمعنى: وافَقْدَ أمى إياى فإنى هلكت! أى ما أعظم مصاب أمى بى، فقد هلكتُ وفقدتْنى (الرسول المعلِّم ﷺ صـ١٢).

فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبى هو وأمى! ما رأيتُ معلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كَهَرَنى[1]، ولا ضربنى، ولا شتمنى قال: «**إن هذه الصلاة لا يَصْلُح فيها شىءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ...**» الحديث[2].

٩٠ ـ وفى رواية قال: «لما قدمتُ على رسول الله ﷺ علمتُ أموراً من الإسلام، فكان فيما علمتُ أن قيل لى: إذا عطستَ فاحمد الله، وإذا عطس العاطس فحمد الله فقل: يرحمك الله. قال: فبينما أنا قائم مع رسول الله ﷺ فى الصلاة إذ عطس رجل فحمد الله، فقلت: يرحمك الله، رافعاً بها صوتى، فرمانى الناس بأبصارهم، حتى احتملنى ذلك، فقلت: ما لكم تنظرون إلىَّ بأعين شَزْرٍ[3]؟ قال: فسبَّحوا، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «**مَن المتكلم؟**» قيل: هذا الأعرابى فدعانى رسول الله ﷺ، فقال لى: «**إنما الصلاة لقراءة القرآن، وذكر الله عز وجل، فإذا كنتَ فيها فليكن ذلك شأنَك**» فما رأيتُ معلماً قط أرفق من رسول الله ﷺ»[4].

فانظر ـ رعاك الله ـ إلى هذا الرفق البالغ فى التعليم، وانظر أثر هذا الرفق فى نفس معاوية بن الحكم السلمى رضى الله عنه، وتأثره بحسن تعليمه ﷺ.

٣ ـ عدم التصريح والاكتفاء بالتعريض فيما يُذَم: لما فى ذلك من مراعاة شعور المخطىء، والتأكيد على عموم التوجيه، وهو أمر يشرح صدر السامعين للحفظ، ويعينهم على تمام الضبط.

من ذلك ما حدث مع عبد الله بن اللُّتْبِيَّة، حين استعمله النبى ﷺ على صدقات بنى سليم، فقبل الهدايا من المتصدقين.

٩١ ـ فعن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه قال: استعمل رسول الله ﷺ

(١) الكَهْر والقَهْر والنَّهْرُ متقاربة، أى: ما قهرنى ولا نهرنى (هامش صحيح مسلم ١/ ٣٨١).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: المساجد، باب: تحريم الكلام فى الصلاة ١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ (٥٣٧/ ٣٣)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: تشميت العاطس فى الصلاة ١/ ٢٤٤ (٩٣٠).

(٣) الشَّزْر: النظر عن اليمين والشمال، وليس بمستقيم الطريقة، وقيل: هو النظر بمؤخر العين، وأكثر ما يكون النظر الشزر فى حال الغضب وإلى الأعداء (النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٤٧٠).

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: تشميت العاطس فى الصلاة ١/ ٢٤٥ (٥٣١).

رجلاً على صدقات بنى سليم، يُدْعى ابن اللُّتْبِيَّة، فلما جاء حاسبه، فقال: هذا ما لكم، وهذا هدية فقال رسول الله ﷺ: «**فهلاَّ جلستَ فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا؟**».

ثم خطبنا، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاَّنى الله، فيأتى فيقول: هذا ما لكم، وهذا هدية أهديت لى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقى الله يحمل بعيراً له رُغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاةً تَيْعر**»[1] ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه يقول: «**اللهم بلغت . بَصُر عينى وسمع أذنى**»[2].

٤ ـ الغضب والتعنيف متى كان لذلك دواعٍ مهمة: وذلك كأن يحدث خطأٌ شرعىٌّ من أشخاصٍ لهم حيثيةٌ خاصة، أو تجاوزَ الخطأ حدود الفردية والجزئية، وأخذ يمثل بداية فتنة أو انحراف عن المنهج، على أن هذا الغضب يكون غضباً توجيهياً، من غير إسفافٍ ولا إسراف، بل على قدر الحاجة.

من ذلك غضبه ﷺ حين أتاه عمر ومعه نسخة من التوراة، ليقرأها عليه ﷺ:

٩٢ ـ فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى رسول الله ﷺ بنسخةٍ من التوراة، فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة. فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبيا. فقال رسول الله ﷺ: «**والذى نفس محمد بيده، لو بَدَا لكم موسى**

---

(١) الرُّغَاء: صوتُ الإبل عند رفع الأحمال عليها وإحساسها بالذل والاستكانة (انظر: النهاية ٢/ ٢٤٠).
الخُوَار: صوت البقر. (النهاية ٢/ ٨٧).
تَيْعر: يقال: يَعَرَت العَنْز تَيْعِر ـ بالكسر ـ يُعَاراً ـ بالضم ـ: يعنى صاحت (النهاية ٥/ ٢٩٧).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الحيل، بابك احتيال العامل ليهدى له ١٢/ ٣٤٨ (٦٩٧٩)، وفى كتاب: الهبة، باب: من لم يقبل الهدية لعلة ٥/ ٢٢٠ (٢٥٩٧)، وفى كتاب: الأحكام، باب: هدايا العمال ١٣/ ١٦٤ (٧١٧٤)، وباب: محاسبة الإمام عماله ١٣/ ١٨٩ (٧١٩٧)، ومسلم فى كتاب: الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال ٣/ ١٤٦٣ (١٨٣٢/ ٢٦: ٢٩)، وأبو داود فى كتاب: الخراج والإمارة والفىء، باب: فى هدايا العمال ٣/ ١٣٤ (٢٩٤٦)، وأحمد ٥/ ٤٢٣.

فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيّاً وأدرك نبوتى لاتبعنى»[١].

ومن ذلك غضبه ﷺ من تطويل بعض أصحابه الصلاة وهم أئمة، بعد أن كان ﷺ نهى عن ذلك؛ لما فيه من تعسيرٍ ومشقة، ولما يؤدى إليه من فتنة لبعض الضعفاء والمعذورين وذوى الأشغال:

٩٣ـ فعن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة ممَّا يُطوِّل بنا فلان. فما رأيتُ النبىَّ ﷺ فى موعظة أشدَّ غضباً من يومئذ، فقال: «**أيها الناس، إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فلْيخفِّف؛ فإن فيهم المريضَ والضعيفَ وذا الحاجة**»[٢].

ومن ذلك غضبه من اختصام الصحابة وتجادلهم فى القدر:

٩٤ـ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: خرج رسولُ الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون فى القدر، فكأنما يُفْقَأُ فى وجهه حبُّ الرمَّان من الغضب، فقال: «**بهذا أُمرتم؟ أو لهذا خُلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض؟ بهذا هلكت الأمم قبلكم**»[٣].

ومن ذلك غضبه ﷺ حين يخالف الصحابة أمره، ويصرون على المغالاة فى الدين، والتشديد على أنفسهم؛ ظنّاً أن ذلك أفضل مما أُمروا به، وأقرب إلى الله:

٩٥ ـ فعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم من

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: ما يتقى من تفسير حديث النبى ﷺ ١/ ١٢٦ (٤٣٥)، وابن أبى شيبة فى المصنف ٩/ ٤٧ (٦٤٧٢)، وأحمد ٣/ ٣٨٧، والبزار (كشف الأستار) ١/ ٧٨ (٢٤) وابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» ٢/ ٨٠٥ ـ ٨٠٦ (١٤٩٧)، وفى الإسناد مجالد بن سعيد، ليس بالقوى، وله شواهد كثيرة تقويه انظر: مجمع الزوائد ١/ ١٧٣ ـ ١٧٤، والجامع للخطيب ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ٨٠٤ ـ ٨٠٦.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: الغضب فى الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ١/ ١٨٦ (٩٠)، وفى كتاب: الأذان، باب: تخفيف الإمام فى القيام٢/ ١٩٧ (٧٠٢)، وباب: من شكا إمامه إذا طوّل ٢/ ٢٠٠ (٧٠٤)، وفى كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى ١٠/ ٥١٧ (٦١١٠)، وفى كتاب: الأحكام، باب: هل يقضى القاضى وهو غضبان ١٣/ ١٣٦ (٧١٥٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة، باب: فى القدر ١/ ٣٣ (٨٥)، وقال البوصيرى فى «مصباح الزجاجة» ١/ ٥٨: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»، وأخرجه أحمد ٢/ ١٨٧، ١٩٦.
وله شاهد بنحوه من حديث أبى هريرة أخرجه الترمذى فى أول كتاب: القدر ٤/ ٤٤٣ (٢١٣٣).

الأعمال بما يطيقون، قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فيغضب، حتى يُعْرَف فى وجهه الغضب، يقول: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»[١].

ولم يكن غضب النبى ﷺ فى تلك المواقف إلا عملاً توجيهياً وتعليمياً، تحريضاً للصحابة على التيقظ، وتحذيراً لهم من الوقوع فى هذه الأخطاء، فالواعظ «من شأنه أن يكون فى صورة الغضبان؛ لأن مقامه يقتضى تكلُّف الانزعاج؛ لأنه فى صورة المنذر، وكذا المعلِّم إذا أنكر على من يتعلَّم منه سوء فهم ونحوه؛ لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازماً فى حق كل أحد، بل يختلف باختلاف أحوال المتعلِّمين»[٢].

٥ ـ انتهاز بعض الوقائع لبيان وتعليم معان مناسبة: كان ﷺ ربما تحدث أمامه أحداث معينة، فينتهز مشابهة ما يرى لمعنى معين يريد تعليمه للصحابة، ومشاكلته لتوجيه مناسبٍ يريد بثَّه لأصحابه، وعندئذٍ يكون هذا المعنى وذلك التوجيه أوضح ما يكون فى نفوسهم رضوان الله عليهم، ويسهل حفظه وضبطه، وذكره كلما حدث مثل ذلك.

٩٦ـ من ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قدم على النبى ﷺ سَبْىٌ[٣]، فإذا امرأةٌ من السَّبْى تحلَّب ثدياها[٤] تسعى[٥]، إذْ وجدتْ صبياً فى السَّبْى، أخذتْه فألصقتْه ببطنها، وأرضعتْه، فقال لنا النبىُّ ﷺ: «**أَتُرَوْنَ[٦] هذه طارحةً ولدها فى النار؟**». قلنا: لا، وهى تقدر على أن لا تطرحه[٧].

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: قول النبى ﷺ «أنا أعلمكم بالله» ١/ ٧٠ (٢٠).
(٢) فتح البارى ١/ ١٨٧.
(٣) السَّبْى: الأسرى، والسبى المقصود فى الحديث سبى هوازن (فتح البارى ١٠/ ٤٣٠).
(٤) تَحلَّب ثدياها: بفتح الحاء، وتشديد اللام: أى تهيأ لأن يحلبا. ويروى «تَحلُبُ ـ بضم اللام ـ ثَدْيَها»، وروى «تحلَّب ثديُها» (انظر: فتح البارى ١٠/ ٤٣٠).
(٥) تسعى: من السَّعْى، وهو المشى بسرعة، وروى «تَسْقِى» بفتح المثناة الفوقية وكسر القاف، وروى «بسقى» بكسر الموحدة الجارة، وفتح السين المهملة وسكون القاف. (انظر: فتح البارى ١٠/ ٤٣٠).
(٦) أتُرَوْن: بضم التاء المثناة، أى أتظنون. (فتح البارى ١٠/ ٤٣١).
(٧) أى لا تطرحه ما دامت تقدر على حفظه معها ووقايته وعدم طرحه فى النار.

فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[١].

«فانتهز ﷺ المناسبة القائمة بين يديه مع أصحابه، المشهودَ فيها حنان الأم الفاقدة على رضيعها إذْ وجدتْه، وضرب بها المشاكلة والمشابهة برحمة الله تعالى؛ ليعرِّف الناس رحمة رب الناس بعباده»[٢].

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وقبلته ومعانقته ١٠/٤٢٦ (٥٩٩٩)، ومسلم فى كتاب: التوبة، باب: فى سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه ٤/٢١٠٩ (٢٧٥٤/٢٢).

(٢) الرسول المعلم ﷺ صـ١٦٠.

الفصل الثانى
ابتداء الصحابة وإجابة النبى ﷺ أو تعليقه

كان حرص الصحابة رضوان الله عليهم على اتباع الحق وطلب الخير ومعرفة الصواب يدفعهم إلى سؤال النبى ﷺ؛ لمعرفة ما غاب عنهم، واستيضاح ما هم بحاجةٍ ماسةٍ إلى معرفته من شؤون الدين والدنيا، ومن ثَمَّ كانوا يحفظون ما يجيبهم به رسول الله ﷺ، كما كانوا يجتهدون فى معرفة أحكام ما ينزل بهم أحياناً، ويعرضون اجتهادهم هذا على رسول الله ﷺ، فيقره أو يصححه، وسأتناول فيما يلى هاتين الصورتين:

المبحث الأول: السؤال المباشر للنبى ﷺ:

كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على سؤال النبى ﷺ عما يلزمهم، وبخاصة الذين اشتُهروا منهم بجمع العلم وحفظ الحديث، كأبى هريرة رضى الله عنه، الذى كان النبى ﷺ يثنى على طلبه للعلم ويشجعه على ذلك:

٩٧- فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: **«لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحدٌ أولَ منك؛ لما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قِبَل نفسه»**[1].

بل إن بعض الصحابة من شدة حرصه على السؤال والتعلُّم، كان يبقى مع النبى ﷺ كالزائر فى المدينة، لا يختار الهجرة، حتى لا يمتنع من سؤال النبى ﷺ:

٩٨ - فعن النواس بن سمعان الكلابى رضى الله عنه قال: «أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنةً، ما يمنعنى من الهجرة إلا المسألة، كان أحدُنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله ﷺ عن شىء. قال: فسألته عن البر والإثم؟ فقال رسول الله

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار ١١/ ٤٨١ (٦٥٧٠)، وفى كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث ١/ ١٩٣ (٩٩)، وأحمد ٢/ ٣٠٧، ٣٧٣، والنسائى فى الكبرى (٥٨٤٢)، وابن أبى عاصم فى السنة (٨٢٥).

ﷺ: «**البرُّ: حسن الخُلُق، والإثمُ: ما حاك فى نفسك**[١]**، وكرهت أن يطَّلع عليه الناس**»[٢].

قال الإمام النووى رحمه الله: «قال القاضى وغيره: معناه: أنه أقام بالمدينة كالزائر، من غير نقلة إليها من وطنه لاستيطانها، وما منعه من الهجرة - وهى الانتقال من الوطن واستيطان المدينة - إلا الرغبة فى سؤال رسول الله ﷺ عن أمور الدين، فإنه كان سُمح بذلك للطارئين دون المهاجرين، وكان المهاجرون يفرحون بسؤال الغرباء الطارئين من الأعراب وغيرهم؛ لأنهم يُحْتَملون فى السؤال ويُعذَرون، ويستفيد المهاجرون الجواب، كما قال أنس فى الحديث الذى ذكره مسلم فى كتاب الإيمان: وكان يعجبنا أن يجىء الرجل العاقل من أهل البادية فيسأله»[٣].

وربما عَرَضَ للواحد منهم أمرٌ فاستحيا أن يسأل عنه، فأمر غيره بالسؤال، كما فعل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، حين ابتلى بالإمْذاء، فاستحيا أن يسأل رسول الله ﷺ، لأنه كان زوج ابنته فاطمة رضى الله عنها، فأمر المقداد بن الأسود رضى الله عنه، فسأل المقداد رسول الله ﷺ:

٩٩- فعن علىٍّ رضى الله عنه قال: كنتُ رجلاً مَذَّاءً، فاستحييتُ أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرتُ المقداد بن الأسود، فسأله، فقال: «**فيه الوضوء**»[٤].

وقبل الاستطراد فى ذكر آداب السؤال التى راعاها الصحابة، والوسائل التربوية

---

(١) حاك فى نفسك: وفى رواية: حاك فى صدرك: أى تحرك وتردّد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل فى القلب منه الشك وخوف كونه ذنبا. (انظر شرح النووى على مسلم ١٦/٣٤٦).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم ٤/ ١٩٨٠ (٢٥٥٣/ ١٤ - ١٥)، والترمذى فى كتاب: الزهد، باب: ما جاء فى البر والإثم ٤/٥٩٧ (٢٣٨٩)، والدارمى فى كتاب: الرقاق، باب: فى البر والإثم ٢/٤١٥ (٢٧٨٩، ٢٧٩٠)، وأحمد ٤/١٨٢، وابن حبان ٢/١٢٣ (٣٩٧)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/٤٢٣، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/١٩٢.

(٣) شرح النووى على مسلم ١٦/٣٤٦ - ٣٤٧.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: من استحيا فأمر غيره بالسؤال ١/ ٢٣٠ (١٣٢)، وفى كتاب: الوضوء، باب: فيمن لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر ١/ ٢٨٣ (١٧٨)، وفى كتاب: الغسل، باب: غسل المذى والوضوء منه ١/ ٣٧٩ (٢٦٩)، ومسلم فى كتاب: الحيض، باب: المذى ١/ ٢٤٧ (٣٠٣/ ١٧ : ١٩)، وأبو داود فى كتاب: الطهارة، باب: فى المذى ١/ ٥٤ (٢٠٨)، والنسائى فى كتاب: الطهارة، باب: ما ينقض الوضوء وما لا ينقض الوضوء من المذى ١/ ٩٧، وأحمد ١/ ٨٢، ١٢٤، ١٢٥.

التى اتبعها النبى ﷺ فى الإجابة؛ لابد من الإجابة على هذا السؤال: هل صحيح أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يسألوه إلا قليلا؟

١٠٠ - والدافع إلى ذلك ما رواه عطاء بن السائب، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: «ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قُبض، كلهن فى القرآن، منهن ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ**﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ**﴾ [البقرة: ٢٢٢] قال: ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم».

وهذا أثرٌ ضعيفٌ من جهة السند، لأنه من رواية عطاء بن السائب، وقد اختلط[1].

وهو أيضا منكر المتن؛ لأنه يخالف الواقع من جهات متعددة:

فالأسئلة المقصودة هى الأسئلة التى وردت فى القرآن بلفظ ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ**﴾، وليست هى الأسئلة الواردة فى السنة، بل إن فى القرآن أسئلة أخرى بغير لفظ ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ**﴾.

ثم إن هذه الأسئلة المذكورة فى القرآن ليست كلها من الصحابة، بل منها ما كان من اليهود، كالسؤال عن الروح، وعن ذى القرنين، ومنها ما كان من المشركين كالسؤال عن الساعة، وغيرها، ولا ريب أن ترجمان القرآن رضى الله عنه يعرف ذلك تمام المعرفة.

ثم إن ابن عباس رضى الله عنهما نفسه كثيراً ما سأل، وكثيراً ما سئل، فلم يتبرم ولم يمتنع، ولم يعاتب أحدًا ممن سألوه.

والصواب: أنهم إنما نُهُوا عن كثرة السؤال عما لا فائدة فيه، ولا يندرج تحته عمل، وما يفتح أبواب الفتن، وعن الأسئلة الافتراضية التقديرية المفضية إلى

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: كراهية الفتيا ١/ ٦٣ (١٢٥)، والطبرانى فى الكبير ١١/ ٤٥٤ (١٢٢٨٨)، وابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» ٢/ ١٠٦٢ (٢٠٥٣)، قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٥٩: «فيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات» **قلت**: والحديث من رواية جرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل عنه، وهما ممن روى عنه بعد الاختلاط، فالإسناد ضعيف.
انظر دراسة الدكتور/ مصطفى أبو عمارة لهذا الأثر فى كتابه «دراسات فى الصحابة رضى الله عنهم» صـ١٩٦ - ١٩٩.

التحريج والتضييق على المسلمين، وعن السؤال عن المتشابه، ونحو ذلك[(١)].

أما السؤال المفيد عن حكم شرعى فى أمرٍ واقعٍ أو متوقع، فكثيرٌ كثيرٌ تمتلىء به كتب السنة، سأذكر بعضه فيما يلى:

الآداب التى التزمها الصحابة فى السؤال:

التزم الصحابة رضى الله عنهم فى أسئلتهم آدابًا كريمة، وجَّههم إليها النبى ﷺ، ودلَّهم على بعضها حسن أدبهم، وجميل أخلاقهم، وسلامة أذواقهم وفِطرهم، وهاك أهم هذه الآداب:

١ ـ السؤال بقصد العلم والعمل؛ لا للعبث واللعب: فكانت أسئلتهم مشفوعة بهذا القصد؛ لما علموا من كراهة النبى ﷺ للمسائل العبثية التى لا يحتاج إليها، ولما سمعوا من تحذيره ﷺ من كثرة السؤال.

١٠١ ـ فعن الحجاج بن عامر الثمالى ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم وكثرة السؤال**»[(٢)].

١٠٢ ـ وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: «كَرِهَ رسولُ الله ﷺ المسائلَ وعَابَها»[(٣)].

قال النووى: «المراد: كراهة المسائل التى لا يحتاج إليها، لا سيما ما كان فيه هتك ستر مسلم، أو إشاعة فاحشة أو شناعة على مسلم أو مسلمة.

قال العلماء: أما إذا كانت المسائل مما يُحتاج إليه فى أمور الدين، وقد وقع، فلا كراهة فيها»[(٤)].

ولذلك كان ﷺ يعجبه أسئلة بعض الصحابة المجيدين فى أسئلتهم، كأبى

---

(١) انظر «السنة النبوية بين أهل الحديث وأهل الرأى» للدكتور عبد الرحمن عبد الحميد البر صـ٢٩٠ وما بعدها (رسالة دكتوراه فى كلية أصول الدين بالقاهرة).

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» ٢/١٠٥٩ (٢٠٤٦) بإسناد حسن.

(٣) أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب بإسناد صحيح فى كتاب «العلم» صـ٢٠ (٧٧)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/١٠٥٨ (٢٠٤٣ ـ ٢٠٤٤)، وهو جزء من الحديث فى قصة اللعان، أخرجه البخارى فى كتاب: الطلاق، باب: من جوز الطلاق الثلاث ٩/٣٦١ (٥٢٥٩)، ومسلم فى كتاب: اللعان ٢/١١٢٩ (١/١٤٩٢)، وأبو داود فى كتاب: الطلاق، باب: فى اللعان ٢/٢٧٣ (٢٢٤٥)، وأحمد ٥/٣٢٤.

(٤) شرح النووى على مسلم ٣/٧٤١ طبعة الشعب.

رَزِين العُقَيلى لَقِيط بن صبرة رضى الله عنه:

١٠٣ ـ فعن أبى رَزِينٍ رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكره المسائل ويعيبها، فإذا سأله أبو رزين أجابه وأعجبه ذلك»(١).

ولذلك كان سؤالهم إياه ﷺ سؤالاً عملياً، فيسألون عما يلزمهم مما وقع ومما يتوقعون حصوله بالفعل، خوفاً من التصرف الخاطىء إذا وقع.

١٠٤ ـ فمن سؤالهم عما هو حاصل وواقع: ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، وكان رجلاً جميلاً، فقال: يا رسول الله، إنى رجلٌ حُبِّب إلىَّ الجمالُ، وأُعطيتُ منه ما ترى، حتى ما أحب أن يفوقنى أحدٌ ـ إما قال: بشِرَاك نعلى، وإما قال: بشِسْع(٢) نعلى ـ أفمن الكِبْر ذلك؟ قال: **«لا، ولكن الكبر مَنْ بَطَر الحق(٣)، وغَمصَ(٤) الناس»**(٥).

١٠٥ ـ ومن سؤالهم عما يتوقعون حصوله مما يلزمهم معرفته: ما رواه المقداد ابن الأسود رضى الله عنه، أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيتَ إن لقيتُ رجلاً من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يدىّ بالسيف، فقطعها، ثم لاذَ منِّى بشجرة، فقال: أسلمتُ لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: **«لا تقتله»** فقال: يا رسول الله، إنه قطع إحدى يدىَّ، ثم قال ذلك بعد ما قطعها. فقال رسول الله ﷺ: **«لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن**

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٩/٢٠٨ ـ ٢٠٩ (٤٧٢)، وعزاه الهيثمى فى المجمع ١/ ١٦٠ إليه فى الأوسط أيضا، وقال: «إسناده حسن»، وأخرجه الطيالسى فى المسند ص ١٤٧ (١٠٩٣).

(٢) الشِرَاك: أحد سيور النعل التى تكون على وجهها. (النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨). والشِّسْع، بكسر الشين المعجمة وسكون المهملة: أحد سيور النعل، وهو الذى يدخل بين الأصبعين، ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعل المشدود فى الزمام، والزمام: السير الذى يعقد فيه الشسع. (النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٤٧٢).

(٣) البَطَر، بفتح الباء والطاء: هو أن يجعل ما جعله الله حقًا من توحيده وعبادته باطلا. وقيل: هو أن يتجبر عند الحق، فلا يراه حقا. وقيل: هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله. (النهاية ١/ ١٣٥).

(٤) الغمص، بالصاد، ويروى بالطاء، وهما واحد، معناه: الاستهانة والاستحقار. (النهاية ٣/ ٣٨٧، والفائق فى غريب الحديث ٢/ ١٨٢).

(٥) أخرجه أبو داود فى كتاب: اللباس، باب: ما جاء فى الكبر ٤/ ٥٩ (٤٠٩٢)، وصححه ابن حبان ١٢/ ٢٨١ (٥٤٦٧)، وأخرجه الخطيب البغدادى فى «الأسماء المبهمة» صـ٣٦٩ (١٨١). والرجل المبهم هو: سَوَاد بن عمرو الأنصارى رضى الله عنه. انظر: «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» ١/ ١٠٥ (٣/ ٦)، وله شواهد متعددة انظرها هناك.

يقول كلمته التى قال»[١].

تلك هى الأسئلة المشروعة، أما الأسئلة التى لا فائدة منها، أو الافتراضات التى يبعد حصولها، فإنها تجرُّ إلى التهاون بالأحكام الشرعية، وغالباً ما تقترن بها نيَّةُ المغالبة، وطلبُ العلوّ والمباهاة، وصرفُ وجوه الناس، ويترتب عليها حصول الفتن، والاشتغال بصورة العلم عن العمل، ومن ثم نُهِىَ عنها الصحابة، فانتهوا رضى الله عنهم.

١٠٦ - فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تعجلوا بالبليَّة قبل نزولها، فإنكم إن لا تفعلوا أوشك أن يكون فيكم مَنْ إذا قال سُدِّد ووُفِّق، وإنكم إن عجلتم تشتّتت بكم الطرق هاهنا وهاهنا»**[٢].

٢ - ترك التنطُّع[٣]**، وعدم السؤال عن المتشابه:** وذلك تطبيقاً لتحذير النبى ﷺ من ذلك، وتشديده على المتنطِّعين، ونهيه عن مجالستهم.

١٠٧ - فعن عائشة رضى الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ [آل عمران: ٧] فقال رسول الله ﷺ: **«فإذا رأيتَ الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللهُ، فاحذروهم»**[٤].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: حدثنى خليفة ٧/ ٣٢١ (٤٠١٩)، وفى كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم﴾** ١٢/ ١٨٧ (٦٨٦٥)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله ١/ ٩٥ - ٩٦ (٩٥/ ١٥٥: ١٥٧)، وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: على ما يقاتل المشركون ٣/ ٤٥ (٦٤٤).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٠/ ١٦٧ (٣٥٣)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١٠٦٣ (٢٠٥٥) بإسناد ضعيف. وأخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: من هاب الفتيا وكره التنطع ١/ ٦٨ (١٥٣)، والآجرِّى فى أخلاق العلماء صـ١٠٦ - ١٠٧ موقوفاً على معاذ، وعزاه - موقوفاً - ابن حجر فى المطالب العالية (٣٠٠٩) لإسحاق بسند حسن.

وللمرفوع شاهد مرسل من حديث وهب بن عمرو الجمحى، أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ١/ ٦١ (١٤٦).

(٣) التنطُّع: التعمق والمغالاة فى الكلام، مأخوذ من «النطع» وهو الغار الأعلى من الفم؛ لأن المتنطع يتكلم بأقصى حلقه. ثم استعمل فى كل تعمق قولاً وفعلا. (انظر: النهاية ٥/ ٧٤).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: التفسير، سورة آل عمران، باب: منه آيات محكمات ٨/ ٢٠٩ (٤٥٤٧)، ومسلم فى كتاب: العلم، باب: النهى عن اتباع متشابه القرآن ٤/ ٢٠٥٣ (٢٦٦٥/ ١)، وأبو داود فى كتاب: السنة، باب: مجانبة أهل الأهواء ٤/ ١٩٨ (٤٥٩٨)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: اجتناب البدع =

١٠٨ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «والله الذى لا إله إلا هو ما رأيتُ أحداً كان أشدَّ على المتنطعين من رسول الله ﷺ، وما رأيتُ أحداً كان أشدَّ عليهم من أبى بكر، وإنى لأرى عمر كان أشدَّ خوفاً عليهم أوْ لهم»(١).

لذلك امتنع الصحابة رضى الله عنهم عن التنطُّع فى الأسئلة أو السؤال عن المتشابهات.

٣ ـ ترك السؤال عما سكت عنه الشارع: وذلك حتى لا يؤدى السؤال عن ذلك إلى إيجاب ما لم يوجبه الشرع، أو تحريم ما لم يحرمه، فيكون السؤال قد أفضى إلى التضييق على المسلمين، كما قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ . قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ**﴾ [المائدة: ١٠١ ـ ١٠٢].

كما حذَّر الرسول ﷺ من مثل ذلك:

١٠٩ـ فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أعظم المسلمين جُرْماً مَنْ سأل عن شىء لم يُحَرَّم، فحُرِّم من أجل مسألته**»(٢).

وقد أدّب النبىُّ ﷺ أصحابه عملياً بذلك، حين سأله أحدهم عن الحج، أفى كل عام هو؟

١١٠ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «**أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج، فحُجوا**». فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلتُ نعم لوجبتْ، ولما استطعتم**» ثم قال: «**ذَرُونى ما تركتُكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأْتُوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكُم عن**

= والجدل ١/ ١٨ ـ ١٩ (٤٧)، والدارمى فى المقدمة، باب: من هاب الفتيا وكره التنطع ١/ ٦٦ (١٤٥)، وابن حبان ١/ ٢٧٤ (٧٣)، وأحمد ٦/ ٢٥٦.

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: من هاب الفتيا وكره التنطع ١/ ٦٥ (١٣٨).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الاعتصام، باب: ما يُكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ١٣/ ٢٦٤ (٧٢٨٩)، ومسلم فى كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك ٤/ ١٨٣١ (٢٣٥٨/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، وأبو داود فى كتاب: السنة، باب: لزوم السنة ٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ (٤٦١٠)، والآجرى فى «أخلاق العلماء» صـ١٠٨، وابن حبان ١/ ٣١٤ (١١٠)، وأحمد ١/ ١٧٦، ١٧٩.

شىء فَدَعُوه»(١).

وقد التزموا رضوان الله عليهم بهذا الأدب، فلم يتكلَّفوا السؤال عما سكت عنه الشارع الحكيم.

٤ ـ ترك السؤال عن العُضَلِ والأغلوطات: إذ السؤال عن هذه الأشياء لا يُقْصَد به العلم والعمل، بل التعنّت والسخرية والاستهزاء، والإيقاع فى الخطأ، ولهذا نهى النبى ﷺ عنها:

١١١ ـ فعن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الغَلُوطات ـ وفى رواية: الأُغلوطات ـ »(٢).

وقد فسَّرها الأوزاعى فى بعض الروايات، بأنها صعاب المسائل وشدادها(٣)، وفسَّرها عيسى بن يونس بأنها ما لا يحتاج إليه من كيف وكيف؟(٤)

وقال الخطابى: «الغَلُوطات أو الأغلوطات: جمع غَلُوطة، أو أُغلوطة، وهى المسألة التى يَعْيَا بها المسؤول، فيغلط فيها، كره ﷺ أن يُعْتَرض بها العلماء، فيغالطوا، ليُستَزلوا ويُسْتَسْقَط رأيُهم فيها»(٥).

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم أجلّ من أن يقعوا فى ذلك، لكن النبى ﷺ نهاهم من باب التعليم والتوجيه لهم وللأمة من ورائهم.

٥ ـ اغتنام خلوة رسول الله ﷺ ومراعاة وقت سؤاله: كان الصحابة رضى الله عنهم يراعون الوقت المناسب للسؤال، ومن ذلك اغتنامُ ساعة خلوته ﷺ، حتى لا يكون فى السؤال إثقالٌ أو إرهاق أو نحو ذلك:

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الحج، باب: فرض الحج مرة فى العمر ٢/ ٩٧٥ (١٣٣٧/ ٤١٢)، والنسائى فى كتاب: المناسك، باب: وجوب الحج ٥/ ١١٠، وأحمد ٢/ ٥٠٨.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: العلم، باب: التوقى فى الفتيا ٣/ ٣٢١ (٣٦٥٦)، وأحمد ٥/ ٤٣٥، والحارث ابن أبى أسامة (بغية الباحث) ١/ ٢٠٢ (٦٢) والطبرانى فى الكبير ١٩/ ٣٨٠ (٨٩٢) و ٣٨٩ (٩١٣)، والآجرى فى «أخلاق العلماء» صـ١٠٩، والخطابى فى «غريب الحديث» ١/ ٣٥٤، وابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» ٢/ ١٠٥٥ ـ ١٠٥٦ (٢٠٣٧ ـ ٢٠٣٨)، والخطيب فى الفقيه والمتفقه ٢/ ١٠ ـ ١١، وفى إسناده ضعف؛ لأن فيه عبد الله بن سعد، قال فيه الحافظ ابن حجر: مقبول. ولم أجد له متابعاً.

(٣) أخرج هذا التفسير الطبرانى (٨٩٢).

(٤) أخرج هذا التفسير عنه الآجرى والحارث بن أبى أسامة، فى روايتهما.

(٥) غريب الحديث للخطابى ١/ ٣٥٤، وانظر: النهاية لابن الأثير ٣/ ٣٧٨.

١١٢ـ فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: أقبلتُ إلى رسول الله ﷺ، وهو على نَشَزٍ[(١)] من الأرض، حتى جلستُ مستقبل وجهه، أو وجهى عند ركبته، فاغتنمتُ خلوة رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، أى الذنوب أكبر؟ فأعرض عنى، حتى قلتُها ثلاث مرات، ثم أقبل بوجهه، فقال: «**أن تجعل لله نداً، وهو خلقك**»[(٢)].

ومن ذلك أيضاً: اختيار دبر صلاة الفجر لسؤاله ﷺ؛ إذ يكون ﷺ فى هذا الوقت أكثر قبولاً للسؤال، وأحسن استعداداً للجواب:

١١٣ـ فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ إذا صلى الفجر انحرفنا إليه، فمنَّا مَنْ يسأله عن القرآن، ومنا مَنْ يسأله عن الفرائض، ومنا مَنْ يسأله عن الرؤيا»[(٣)].

٦ ـ مراعاة أحواله ﷺ وعدم الإلحاح عليه بالسؤال: وبخاصة بعد أن نُهُوا عن السؤال، ولذلك كانوا يدفعون الأعراب لسؤاله ﷺ، ويتحيَّنون وينتظرون مجىء العقلاء منهم؛ ليسألوا رسول الله ﷺ وهم يسمعون:

١١٤ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «نُهينا أن نسأل رسولَ الله ﷺ عن شىء، فكان يعجبنا أن يجىء الرجلُ من أهل البادية العاقلُ، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجلٌ من أهل البادية، فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك. قال: «**صدق**». . .» الحديث[(٤)].

---

(١) النَّشَز: المرتفع من الأرض، وقد تسكن الشين. (النهاية ٤/ ٥٥).

(٢) أخرجه البزار (كشف الأستار) ١/ ٩٤ (١٦١)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٦٠: «فيه السَّرِىُّ بن إسماعيل، وهو متروك»، وقال فى الكشف ١/ ٩٤: «هو فى الصحيح بغير هذا السياق».
قال البزار: لا نعلم رواه عن الشعبى إلا السرى، وليس بالقوى، وقد حدَّث عنه جماعة من أهل العلم».

(٣) قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٥٩: «رواه الطبرانى فى الكبير، وفيه محمد بن عمر الرومى، ضعفه أبو داود وأبو زرعة، ووثقه ابن حبان».

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: الإيمان، باب: السؤال عن أركان الإسلام ١/ ٤١ ـ ٤٢ (١٢/ ١٠ ـ ١١)، والبخارى فى كتاب: العلم، باب : القراءة والعرض على المحدث ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩ (٦٣)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فى المشرك يدخل المسجد ١/ ١٣١ (٤٨٦)، والترمذى فى كتاب: الزكاة، باب: ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك ٣/ ٥ ـ ٦ (٦١٩)، والنسائى فى كتاب: الصام، باب: وجود الصام ٤/ ١٢١ ، ١٢٢، ١٢٣، وابن ماجه كتاب: إقامة الصلاة، باب: ماجاء فى فرض الصلوات الخمس ١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩ (١٤٠٢)، وأحمد (٣/ ١٤٣، ١٦٨، وابن أبى شيبة فى المصنف ١١/ ٩ ـ ١١ (١٠٣٦٧)، والدارمى فى كتاب: الوضوء، باب: فرض الوضوء والصلاة ١/ ١٧١ (٦٥٠)، وابن حبان ١/ ٣٦٧ ـ ٣٧٠ (١٥٤، ١٥٥).

كما كانوا رضوان الله عليهم لا يكثرون من سؤاله ﷺ رفقاً به، وإشفاقاً عليه.

١١٥ـ فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ: أى العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة لوقتها**» قال: قلت: ثم أىٌّ؟ قال «**برّ الوالدين**». قال: قلت: ثم أىٌّ؟ قال: «**الجهاد فى سبيل الله**» فما تركتُ أستزيدُه إلا إرعاءً عليه[(١)]. يعنى إبقاءً عليه ورفقاً به.

قال النووى: «وفيه بيان رفق المتعلِّم بالمعلم، ومراعاة مصالحه، والشفقة عليه»[(٢)].

الوسائل التربوية التى راعاها النبى ﷺ فى إجابة المسائل

إضافةً إلى الوسائل التربوية السابقة ـ عند الحديث عن التوجيه المباشر ـ فقد استخدم النبى ﷺ وسائل تربوية أخرى فى إجابته على مسائل الصحابة رضوان الله عليهم، كان لها أثرٌ بالغٌ فى إعانتهم على حسن الفقه وتمام الحفظ والضبط، وتدفعهم إلى التعلق بالحديث النبوى الشريف حفظاً وضبطاً وعملاً.

وهاك أهم تلك الوسائل الكريمة:

١ـ تشجيع السائل إذا أحسن والثناء عليه: فلم يكن النبى ﷺ يتبرم بسؤال الصحابة، بل كان يثنى على المحسن منهم، تشجيعاً له ولغيره على حسن السؤال، كما فعل مع أبى هريرة حين سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟[(٣)].

ومن ذلك ثناؤه ﷺ على البدوى الذى سأله عن أركان الإسلام:

١١٦ـ فعن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ من أهل نَجْدٍ ثائرُ الرأس، يُسْمَع دَوِىُّ صوته[(٤)]، ولا يُفْقَه ما يقول، حتى دَنَا، فإذا هو يسألُ عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**خمسُ صلواتٍ فى اليوم**

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الإيمان، باب: كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ١/ ٨٩ (٨٥/ ١٣٧: ١٣٩) ـ واللفظ له ـ والبخارى فى كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها ٢/ ٩ (٥٢٧) وانظر أرقام (٢٧٨٢، ٥٩٧٠، ٧٥٣٤).

(٢) شرح النووى ٢/ ٤٣٩.

(٣) سبق تخريجه رقم (٩٧)

(٤) دَوِىّ صوته: الدَّوِىُّ، بفتح الدال المهملة، وكسر الواو، وتشديد الياء، بوزن عَلِىّ، وهو: صوت ليس بالعالى، كصوت النحل وغيره (النهاية ٢/ ١٤٣)، وقال الخطابى: الدوىُّ صوت مرتفع متكرر، ولا يُفْهم، وإنما كان كذلك لأنه نادى من بُعْد. (فتح البارى ١/ ١٠٦).

والليلة»، فقال: هل علىَّ غيرُها؟ قال: «**لا، إلاَّ أن تطوَّع**» قال رسول الله ﷺ: «**وصيام رمضان**». قال: هل علىَّ غيرُه؟ قال: «**لا، إلاَّ أن تطوَّع**». قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل علىّ غيرُها؟ قال: «**لا، إلاَّ أن تطَوَّع**». قال: فأدبر الرجل، وهو يقول: والله لا أزيدُ على هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق**»، وفى رواية: «**دخل الجنة وأبيه إن صدق**»[1].

وأوضح من ذلك وأصرح مسألة خطيبة النساء أسماء بنت يزيد رضى الله عنها، وثناء النبى ﷺ على حسن مسألتها:

١١٧ـ فعن مسلم بن عُبَيد، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية الأشهلية رضى الله عنها، أنها أتت النبى ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبى وأمى أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنَّا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصوراتٌ مقصوراتٌ، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فُضِّلتم علينا بالجُمَع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهادُ فى سبيل الله عز وجل، وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزَلْنا أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم، أفما نشارككم فى هذا الأجر والخير؟

فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال «**هل سمعتم مقالة امرأة قطُّ أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه؟**». فقالوا: يا رسول الله، ما ظَنَنَّا أنَّ امرأةً تهتدى إلى مثل هذا.

فالتفت النبى ﷺ إليها، فقال: «**افهمى أيتها المرأة، وأَعْلمى مَنْ خَلْفَك من النساء أن حسن تَبَعُّل المرأة لزوجها، وطلبَها مرضاتِه، واتباعها موافقته، يعدل ذَلكَ**

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، ياب: الزكاة من الإسلام ١/ ١٠٦ (٤٦)، وفى كتاب: الصوم، باب: وجوب صوم رمضان ٤/ ١٠٢ (١٨٩١)، وفى كتاب: الشهادات، باب: كيف يستحلف ٥/ ٢٨٧ (٢٦٧٨)، وفى كتاب: الحيل، باب: فى الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع ١٢/ ٣٣٠ (٦٩٥٦)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بيان الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام ١/ ٤١ (١١/ ٨ ـ ٩)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة ١/ ١٠٦ (٣٩١ ـ ٣٩٢)، والنسائى فى كتاب: الصلاة، باب: كم فرضت فى اليوم والليلة ١/ ٢٦٦، وفى كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: الزكاة ٨/ ١١٨، وأحمد ١/ ١٦٢ وانظر الأقوال فى بيان اسم الرجل البدوى فى الخبر الأول والثانى من كتاب «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» بتحقيقى.

كله» فانصرفت المرأة وهى تُهَلِّل[(١)].

٢ ـ الصبر على جفوة الغريب فى منطقه والرفق بالسائل وإن أساء: كان شأنه ﷺ الحكمة والرفق، وعدم الغضب لنفسه أو الانتصار لها، ومهما كان السائل جافيا فى كلامه، أو مسيئًا فى طريقة عرض السؤال؛ فإنه ﷺ كان يرفق به، ويعلِّمه بلينٍ وإشفاق.

١١٨ـ وفى حديث علي بن أبى طالب رضى الله عنه عن سيرته ﷺ فى جلسائه قال: «... **ويصبر للغريب على الجَفْوة من منطقه ومسألته، حتى إنْ كان أصحابه ليستجلبونهم...**»[(٢)].

ومن ذلك: رفقه ﷺ بضمام بن ثعلبة وافد بنى سعد بن بكر حين شدَّد عليه فى المسألة، ولم يخاطبه بما يليق به من التعظيم:

١١٩ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «بينما نحن جلوسٌ مع النبى ﷺ فى المسجد دخل رجلٌ على جملٍ، فأناخه فى المسجد، ثم عقَله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟، والنبى ﷺ متكىءٌ بين ظَهْرَانَيْهم[(٣)]ـ فقلنا: هذا الرجلُ الأبيض المتكىء. فقال له الرجل: ابنَ عبد المطلب؟ فقال له النبى ﷺ: **«قد أجبتُك»**[(٤)]. فقال الرجل للنبى ﷺ: إنى سائلك فمشدِّدٌ عليك فى المسألة، فلا تَجِدْ[(٥)] علىَّ فى نفسك فقال:

---

(١) ذكره ابن الأثير فى «أسد الغابة فى معرفة الصحابة» ٧/ ١٩. وابن الجوزى فى تلقيح فهوم أهل الأثر صـ٣١٦ ـ ٣١٧. وله شاهد من حديث ابن عباس عند البزار ٢/ ١٨١ (١٤٧٤)، وشاهد آخر عن أنس. انظر: مجمع الزوائد ٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث برقم (٦٩).

(٣) ظَهْرَانَيهم ـ بفتح النون ـ: أى بينهم، وزيد لفظ الظَّهر، ليدل على أن ظهراً منهم قدامه، وظهراً وراءه، فهو محفوفٌ بهم من جانبيه، والألف والنون فيه للتأكيد. (فتح البارى ١/ ١٥٠ ـ ١٥١، وانظر: الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ١/ ٤١).

(٤) قال ابن حجر فى الفتح ١/ ١٥١: «وقد قيل: إنما لم يقل له: نعم؛ لأنه لم يخاطبه بما يليق بمنزلته من التعظيم، لا سيما مع قوله تعالى **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾** والعذر عنه ـ إن قلنا: إنه قدم مسلما ـ أنه لم يبلغه النهى، وكانت فيه بقية من جفاء الأعراب».

(٥) فلا تَجد: أى لا تغضب، ومادة «وجد» متحدة الماضى والمضارع، مختلفة المصادر، وبحسب اختلاف المعانى، يقال فى الغضب «مَوْجدة»، وفى المطلوب «وجوداً»، وفى الضالة «وجدانا»، وفى الحب «وَجْدًا»ـ بالفتح ـ وفى المال «وُجْدًا» بالضم، وفى الغنى «جِدَة» بكسر الجيم وتخفيف الدال المفتوحة، على الأشهر فى جميع ذلك (فتح البارى ١/ ١٥١).

«سَلْ عمَّا بَدَا لك» فقال: أسألك بربِّك وربِّ مَنْ قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: **«اللهم نعم»**. قال: أَنْشُدُك[١] بالله، آلله أمرك أن نصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة؟ قال: **«اللهم نعم»**. قال: أَنشُدُك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: **«اللهم نعم»**. قال: أنشُدُك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا، فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبى ﷺ: **«اللهم نعم»**. فقال الرجل: أمنتُ بما جئتَ به، وأنا رسول مَنْ ورائى من قومى، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بنى سعد بن بكر»[٢].

وربما سأله السائل، وهو ﷺ منشغلٌ بحديث آخر، ولم يراع السائل أدب السؤال فى مراعاة الحال، فلم يزجره ولم يعنِّفهُ، بل يكتفى بالإعراض عنه، وتأخير الجواب على سؤاله، ثم يرفق به، فيجيبه على مسألته بعد أن ينتهى من حديثه.

١٢٠ـ فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: بينما النبى ﷺ فى مجلسٍ يحدث القومَ جاءه أعرابىٌّ، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدِّثٌ، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكَرِه ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع[٣]، حتى إذا قضى حديثه قال: **«أين أُرَاه السائل عن الساعة؟»** قال: ها أنا يا رسول الله. قال: **«فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»**. قال: كيف إضاعتُها؟ قال: **«إذا وُسِّد**[٤]

---

(١) أَنْشُدُك: بفتح الهمزة، وضم المعجمة، وأصله من النشيد، وهو رفع الصوت، والمعنى: سألتك رافعاً نشيدتى. قاله البغوى فى شرح السنة. وقال الجوهرى: نشدتك بالله، أى سألتك بالله، كأنك ذكرته فنشد، أى تذكر. (فتح البارى ١/ ١٥١).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: القراءة والعرض على المحدث ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩ (٦٣)، والنسائى فى كتاب: الصيام، باب: وجوب الصيام ٤/ ١٢٢، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء فى فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها ١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩ (١٤٠٢)، وأحمد ٣/ ١٦٨.

وقد روى الحديث بإبهام البدوى السائل، بلفظ: «نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شىء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقلُ، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية، فقال...» فذكر القصة. أخرجه مسلم فى كتاب: الإيمان، باب: السؤال عن أركان الإسلام ١/ ٤١ ـ ٤٢ (١٢/ ١٠ ـ ١١)، والترمذى فى كتاب: الزكاة، باب: ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك ٣/ ٥ ـ ٦ (٦١٩)، والنسائى فى كتاب: الصيام، باب: وجوب الصيام ٤/ ١٢١، وأحمد ٣/ ١٤٣ وقد سبق برقم (١١٤)

(٣) إنما حصلَ لهم التردد فى ذلك، لما ظهر من عدم التفات النبى ﷺ إلى سؤاله وإصغائه نحوه، ولكونه كان يكره السؤال عن هذه المسألة بخصوصها» (فتح البارى ١/ ١٤٣).

(٤) وُسِّد: أسند، وأصله من الوسادة، وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تثنى تحته وسادة، فقوله «وُسِّد»؛ أى جعل له غير أهله وساداً، فتكون «إلى» بمعنى اللام، وأتى بها ليدل على تضمين معنى «أسند» (فتح البارى ١/ ١٤٣).

الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[١].

قال ابن حجر فى التعليق على هذا الحديث: «محصِّله: التنبيه على أدب العالم والمتعلم. أما العالم: فلما تضمنه من ترك زجر السائل، بل أدّبه بالإعراض عنه أولاً، حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه، فرفق به؛ لأنه من الأعراب وهم جفاة، وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعيناً ولا الجواب.

وأما المتعلم: فلما تضمنه من أدب السائل أن لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره؛ لأن حق الأول مقدم»[٢]

ولا شك أن هذا الخلُقَ منه ﷺ يشرح صدور المتعلمين، ويكون أعون لهم على حفظ ما يصدر عنه ﷺ.

٣ ـ مطالبة السائل بإعادة السؤال الحسن: وذلك تعليماً لأصحابه، وتوجيهاً لهم إلى إحسان السؤال، ولفتًا لأنظارهم إلى أهمية المسؤول عنه، وضرورة وعيه وحفظه.

١٢١ ـ من ذلك ما رواه أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه، أن أعرابيّاً عَرَضَ لرسول الله ﷺ وهو فى سفر، فأخذ بخِطَام ناقته ـ أو بزِمَامها[٣] ـ ثم قال: يا رسول الله، أو قال: يا محمد، أخبرنى بما يقرِّبُنى من الجنة، وما يباعدنى من النار. قال: فكفَّ النبىُّ ﷺ، ثم نظر فى أصحابه، ثم قال: **«لقد وُفِّق، أو لقد هُدِى»** قال: «كيف قلتَ؟». قال: فأعاد، فقال النبى ﷺ: **«تعبد الله، لا تشرك به**

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: من سئل علماً وهو مشتغل فى حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ١/ ١٤١ ـ ١٤٢ (٥٩)، وفى كتاب: الرقاق، باب: رفع الأمانة ١٠/ ٣٣٣ (٦٤٩٦)، وابن حبان ١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ (١٠٤)، وأحمد ٤/ ٣٦١، والبيهقى ٢/ ٣٦١ و ١٠/ ١١٨.

(٢) فتح البارى ١/ ١٤٢.

(٣) الخِطَام والزِّمام ـ بكسر الخاء والزاى ـ: قال الهروى فى «الغريبين»: قال الأزهرى: الخطام هو الذى يخطم به البعير، وهو أن يؤخذ حبلٌ من ليفٍ أو شعرٍ أو كتانٍ، فيجعل فى أحد طرفيه حلقة يُسْلَك فيها الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يُقلَّد البَعير، ثم يثنى علَى مخطمه، فإذا ضفر من الأدم فهو جرير، فأما الذى يجعل فى الأنف دقيقا فهو الزمام. هذا كلام الهروى عن الأزهرى، وقال صاحب المطالع: الزمام للإبل: ما تشد به رؤوسها من حبل وسير ونحوه؛ لتُقَاد. (هامش صحيح مسلم ١/ ٤٣).

شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتَصِل الرحم، دَع الناقة»[١].

فأنت ترى كيف أعجب السؤال رسول الله ﷺ، فلفت نظر أصحابه إليه، واستعاد السائلَ إيَّاه، ليقرَّ فى أذهان الحاضرين، ويرسخ فى ذاكرتهم، ويحفظه الجميع.

٤ ـ إجابة السائل بأزيد من سؤاله أحياناً: وذلك استثماراً لحالة التفتح الذهنى، والإقبال العقلى والنفسى من السائل؛ إذ يكون قبوله لكل ما يتعلق بسؤاله وما يتصل به أمرًا واقعيًا، وذلك أدعى للضبط والحفظ والتجويد.

١٢٢ـ من ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ؛ أن رجلاً سأله: ما يلبس المحُرْم؟ فقال: «**لا يلبس القميص، ولا العمامة، ولا السراويل، ولا البُرْنُس**[٢]**، ولا ثوباً مسّه الوَرْسُ أو الزعفران، فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين، وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين**»[٣].

فقد سأل الرجل عما يلبسه المحرم، فأجابه بما يحرم لبسه، ليستفيد حِلَّ ما عدا المذكور، ثم زاد حكم من لم يجد نعلين؛ لتعلقه بالموضوع.

قال ابن حجر: «يؤخذ منه: أن المفتى إذا سئل عن واقعة، واحتمل عنده أن يكون السائل يتذرع بجوابه إلى أن يعدِّيه إلى غير محل السؤال تعيَّن عليه أن يفصِّل الجواب، ولهذا قال: «**فإن لم يجد نعلين**»، فكأنه سأل عن حالة الاختيار، فأجابه عنها، وزاده حالة الاضطرار، وليست أجنبية عن السؤال؛ لأن حالة السفر تقتضى ذلك»[٤].

١٢٣ـ ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبى

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذى يدخل به الجنة ١/ ٤٢ ـ ٤٣ (١٣/ ١٢: ١٤)، والبخارى فى كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة ٣/ ٢٦١ (١٣٩٦).

(٢) البُرْنُس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به، من دراعة أوجبة أو غيره. وقيل: هو قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام. (انظر: النهاية ١/ ١٢٢).

(٣) أخرجه البخارى فى آخر كتاب: العلم، باب: من أجاب السائل بأكثر مما سأله ١/ ٢٣١ (١٣٤)، وانظر أرقام (٣٦٦، ١٥٤٢، ١٨٣٨، ١٨٤٢، ٥٧٩٤، ٥٨٠٣، ٥٨٠٥، ٥٨٠٦، ٥٨٤٧، ٥٨٥٢)، ومسلم فى كتاب: الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح ٢/ ٨٣٤ ـ ٨٣٥ (١١٧٧ / ١ ـ ٢)، وأبو داود فى كتاب: المناسك، باب: ما يلبس المحرم ٣/ ١٦٥ (١٨٢٣).

(٤) فتح البارى ١/ ٢٣١.

ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحرَ، ونحمل معنا القليلَ من الماء، فإن توضأنا به عَطِشْنا، أفنتوضأ به؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هو الطَّهُور ماؤه، الحِلُّ ميتته»**(١).

فقد سأل الرجل عن حكم التوضؤ بماء البحر، فأجابه بطهارة ماء البحر، وزاد على ذلك" بيان حل ميتته أكلاً وانتفاعاً، لأن راكب البحر فى حاجة إلى معرفة هذا الحكم؛ لاضطراره إليه أحياناً.

٥ ـ مراعاة الفروق الفردية بين السائلين: وهذا من أهم آداب التعليم وقيمه، فإن ما يصلُح لتوجيه شخصٍ ما قد لا يصلُح لتوجيه غيره، ولذلك كان شأنه ﷺ مع السائلين شأن الطبيب مع المرضى، يصف لكل واحدٍ منهم الدواء المناسب لعلته، والمحقق لبُرئه، فتجد الإجابة على السؤال الواحد تختلف من شخص إلى شخص، إذ يجيب النبى ﷺ كلاً بما يحتاج إليه، أو بما لم يكمله بعد من دعائم الإسلام، ولا بلغه علمه، أو بما هو الأفضل من غيره فى وقت سؤاله، أو بما هو الأليق بحاله.

فمن ذلك: اختلاف الإجابة عن السؤال عن أفضل الإسلام.

١٢٤ـ فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، أىُّ الإسلام أفضل؟ قال: **«مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويده»**(٢).

١٢٥ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، أن رجلاً سأل النبى ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: **«تطعم الطعام، وتقرأ السلام على مَنْ عرفتَ**

---

(١) أخرجه مالك فى كتاب: الطهارة، باب: الطهور للوضوء ١/ ٢٢ (١٢) بإسناد صحيح، ومن طريقه: أبو داود فى كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر ١/ ٢١ (٨٣)، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: الطهارة، باب: ما جاء فى ماء البحر أنه طهور ١/ ١٠٠ ـ ١٠١ (٦٩)، والنسائى فى كتاب: الطهارة، باب: ماء البحر ١/ ٥٠، وكتاب: المياه، باب: الوضوء بماء البحر ١/ ١٧٦، وابن ماجه فى كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر ١/ ١٣٦ (٣٨٦)، وابن شيبة ١/ ١٣١ وصححه ابن خزيمة ١/ ٥٩ (١١١)، وابن حبان ٤/ ٤٩(١٢٤٣)، والحاكم١/ ١٤٠ ـ ١٤١. وأخرجه البيهقى فى السنن ١/ ٣.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: أى الإسلام أفضل ١/ ٥٤ (١١)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام ١/ ٦٦ (٤٢/ ٦٦).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص مثله عند مسلم ١/ ٦٥ (٤٠/ ٦٤)، وأحمد ٢/ ١٨٧.

وروى جابر بن عبد الله مثله أيضا عند الدارمى فى كتاب: الرقاق، باب: فى حفظ اللسان ٢/ ٣٨٧ (٢٧١٢)، وأحمد ٢/ ٣٧٢، والطيالسى صـ٢٤٦ (١٧٧٧)، وابن أبى شيبة ٩/ ٦٤ (٦٥٤٧)، وأبو يعلى ٤/ ١٨٦ (٢٢٧٣)، ومسلم (مختصراً) ١/ ٦٥ (٤١/ ٦٥).

ومَنْ لم تعرف»[١].

فهذا الاختلاف فى إجابة السؤال الواحد محمولٌ على «اختلاف حال السائلين أو السامعين، فيمكن أن يراد فى الجواب الأول: تحذيرُ مَنْ خشى منه الإيذاء بيد أو لسان، فأُرْشد إلى الكف، وفى الثانى: ترغيب مَنْ رجى فيه النفع العام بالفعل والقول، فأُرْشد إلى ذلك، وخصَّ هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما فى ذلك الوقت؛ لما كانوا فيه من الجهد، ولمصلحة التأليف»[٢].

ومن ذلك: اختلافُ فتواه ﷺ فى حكم تقبيل ومباشرة الصائم امرأته، إذ رخَّص فيها للشيخ دون الشاب.

١٢٦ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن المباشرة للصائم، فرخَّص له، وأتاه آخر، فسأله، فنهاه، فإذا الذى رَخَّص له شيخ، والذى نهاه شاب»[٣].

١٢٧ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: كنا عند النبى ﷺ، فجاء شابٌّ فقال: يا رسول الله، أُقبِّل وأنا صائم؟ قال: «**لا**»، فجاء شيخٌ فقال: أقبِّل وأنا صائم؟ قال: «**نعم**». فنظر بعضُنا إلى بعض، فقال رسول الله ﷺ: «**قد علمتُ لِمَ نظر بعضُكم إلى بعض، إن الشيخ يملك نفسه**»[٤].

ومن ذلك: وصايا النبى ﷺ المختلفة لأُناسٍ استوصوه، فأوصى كلَّ واحدٍ بوصية غير الاخر، مراعياً اختلاف أحوالهم.

١٢٨ـ فعن أبى ذرٍّ رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصنى. قال: «**اتق الله حيثُما كنتَ، وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها، وخالِق الناسَ بخلُقٍ حسن**»[٥].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الإيمان، باب: إطعام الطعام من الإسلام ١/ ٥٥ (١٢)، وباب: إفشاء السلام من الإسلام ١/ ٨٢ (٢٨)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام ١/ ٦٥ (٣٩/ ٦٣).

(٢) فتح البارى ١/ ٥٦.

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب: الصوم، باب: كراهيته للشاب ٢/ ٣٢١ (٢٣٨٧)، وابن أبى شيبة فى المصنف ٩/ ٣٦٢ (٧٨٠٣)، وفى إسناده أبو العَنْبَس الكوفى، واسمه: الحارث بن عبيد، وثقه ابن معين وابن حبان، وقال ابن حجر: مقبول. ويشهد له الحديث التالى بعده.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ١٨٠، ٢٥٠، وفى سنده عبد الله بن لَهيعة، ويشهد له الحديث قبله.

(٥) أخرجه أحمد ٥/ ١٥٨، والترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى معاشرة الناس ٤/ ٣٥٥ (١٩٨٧).

١٢٩ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ قال: علِّمْنى شيئاً، ولا تكثر علىَّ لَعَلِّى أعيه. قال: «**لا تغضب**»، فردَّد ذلك مراراً، كلُّ ذلك يقول: «**لا تغضب**»[1].

١٣٠ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً أنَّ أعرابيّاً أتى النبىَّ ﷺ، فقال: دُلَّنى على عملٍ إذا عملتُه دخلتُ الجنة. قال: «**تعبد الله، لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» قال: والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا.

فلما ولَّى قال النبى ﷺ: «**مَنْ سَرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلْينظرْ إلى هذا**»[2].

١٣١ـ وعن عبد الله بن بُسْرٍ رضى الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثُرتْ علىَّ، فأخبرنى بشىءٍ أتشبَّث به. قال: «**لا يزال لسانُك رطباً من ذكر الله**»[3].

وأحاديث أخر من هذا الباب، جاءت فيها وصايا النبى ﷺ الجامعة المختلفة مراعاةً لأحوال السائلين وحاجاتهم[4].

٦ ـ إظهار الغضب أحياناً عند السؤال عما لا منفعة فيه: وكذلك عند السؤال عما لا ينبنى عليه عمل، ويفتح باب الفتنة، لكنه غضب المعلم الناصح الذى يغرس معانى ومشاعر النفور من مثل هذا السؤال، دون تعنيفٍ أو توبيخٍ يقطع بالسَّائل، أو استهزاءٍ بالسائل يمنعه من الانتفاع بالإجابة.

١٣٢ـ من ذلك: ما رواه أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: «سُئِل النبىُّ ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أُكثر عليه غضب، ثم قال للناس: «**سلونى عما شئتم**».

قال رجل: مَنْ أبى؟ قال: «**أبوك حذافة**» فقام آخر، فقال: مَنْ أبى يا رسول

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب ١٠/ ٥١٩ (٦١١٦)، والترمذى فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى كثرة الغضب ٤/ ٣٧١ (٢٠٢٠)، واللفظ للترمذى.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة ٣/ ٢٦١ (١٣٩٧) ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذى يدخل به الجنة ١/ ٤٤ (١٤/ ١٥).

(٣) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن غريب ـ فى كتاب: الدعوات، باب: ما جاء فى فضل الذكر ٥/ ٤٥٨ (٣٣٧٥)، وابن ماجه فى كتاب: الأدب، باب: فضل الذكر ٢/ ١٢٤٦ (٣٧٩٣).

(٤) الرسول المعلم ﷺ صـ٨٩.

الله؟ فقال: «**أبوك سالم مولى شيبة**». فلما رأى عمرُ ما فى وجهه قال: يا رسول الله، إنا نتوب إلى الله عز وجل»(١).

وإنما غضب ﷺ لأن الأسئلة التى سألوها كانت عن الساعة أو الروح، ونحوهما، ثم هى ـ كما ترى ـ أسئلة قد تفتح باب فتنة وهتك أسرار، ولا فائدة فيها.

٧ ـ **لفت السائل إلى أولى مما سأل عنه**: وهذا ما يسميه البلاغيون «أسلوب الحكيم»، وذلك بأن يسأل السائل عن شىء، فيجيبه النبى ﷺ بشىء آخر مما يهمه، أو مما هو أهم مما سأل عنه، أو مما هو أنفع له، كإجابته ﷺ لمن سأله عن الساعة، فلفته عن هذا السؤال إلى ما هو أحوج إليه وأفضل نفعاً، وهو إعداده العمل الصالح لهذا اليوم، أما وقته فأمر اختص الله بعلمه.

١٣٣ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلاً سأل النبىَّ ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «**وماذا أعددتَ لها؟**» قال: لا شىءُ إلا أنى أحب الله ورسوله ﷺ. فقال: «**أنت مع مَنْ أحببتَ**».

قال أنس: فما فرحنا بشىءٍ فرحَنا بقول النبى ﷺ: «**أنت مع مَنْ أحببت**».

قال أنس: فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبِّى إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»(٢).

فأنت ترى كيف لفته النبى ﷺ إلى ما هو الأنفع له، ثم زاده تبصيراً بفضيلة

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: الغضب فى الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ١/ ١٨٧ (٩٢)، وفى كتاب: الاعتصام، باب: ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه ١٣/ ٢٦٤ (٧٢٩١)، ومسلم فى كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ ٤/ ١٨٣٤ (٢٣٦٠/١٢٨).
وروى أبو فراس رجل من أسلم نحوه، أخرجه الطبرانى فى الكبير ٥/ ٦٠ (٤٥٨٠) وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٦١: «رجاله رجال الصحيح» وأخرج السمعانى نحوه من حديث أنس بن مالك فى أدب الإملاء والاستملاء صـ١٣٣.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٧/ ٤٢ (٣٦٨٨)، وفى كتاب: الأدب، باب: ما جاء فى قول الرجل «ويلك» ١٠/ ٥٥٣ (٦١٦٧)، وباب: علامة الحب فى الله ١٠/ ٥٥٧ (٦١٧١)، وفى كتاب: الأحكام، باب القضاء والفتيا فى الطريق ١٣/ ١٣١ (٧١٥٣)، ومسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: المرء مع من أحب ٤/ ٢٠٣٢ ـ ٢٠٣٣ (٢٦٣٩/ ١٦١ : ١٦٤) والترمذى فى كتاب: الزهد، باب: ما جاء أن المرء مع أحب ٤/ ٥٩٥ (٢٣٨٥)، وأحمد ٣/ ١٠٤، ١١٠، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٧٦، وابن حبان ١/ ١٨٢ (٨) و ١/ ٣٠٨ (١٠٥).

حب الصالحين، والتحذير من اتخاذ قرناء السوء، وترى كيف فرح الصحابة رضوان الله عليهم بمضمون الإجابة فرحاً بالغاً، ولا شك أنهم حفظوا ذلك، وتناقلوه فيما بينهم، وبشَّر به بعضهم بعضاً.

تلك كانت بعض المبادىء التربوية الكريمة التى استعملها النبى ﷺ فى توجيه الصحابة رضى الله عنهم، وتحميلهم السنة، حتى حفظوها، ووَعَوْها، بوقائعها وظروفها ومناسباتها، وأدَّوْها لمن وراءهم.

المبحث الثانى

اجتهاد الصحابة وتعليق النبى ﷺ على اجتهادهم

كان الصحابة رضوان الله عليهم يجتهدون فى معرفة أحكام بعض الوقائع، فى حياته ﷺ و فى حضوره وفى غيبته، ثم كان النبى ﷺ يعلق علي هذا الاجتهاد، إما بالإقرار، وإما بالتصويب والتصحيح، ومتى فعل ﷺ ذلك فقد صار هذا الاجتهاد المقَرّ أو المعدَّل سنة تتبع، كما هو معلوم.

وهذا التدريب العمليُّ للصحابة رضوان الله عليهم على الاجتهاد كان ذا أثرٍ بالغٍ فى النفوس، وكان من دواعى حفظ الحوادث والأحاديث والأحكام.

وقد اتخذ تعليق النبى ﷺ على اجتهاد الصحابة صوراً متعددة على النحو التالى:

١ ـ **إقرار الاجتهاد الذى حدث فى حضوره ﷺ**: من ذلك إقراره اجتهاد أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى إعطاء سلب القتيل للقاتل:

١٣٤ـ فعن أبى قتادة رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جَوْلة[1]، فرأيتُ رجلاً من المشركين عَلاَ رجلاً من المسلمين، فاستدبرتُ حتى أتيتُه من ورائه، حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه[2]، فأقبل عليَّ، فضمَّنى ضمَّةً وجدتُ منها ريح الموت، ثم أدركه الموتُ فأرسلنى، فلحقتُ عمر بن الخطاب، فقلت: ما بالُ الناس؟ قال: أمرُ الله. ثم إن الناس رجعوا، وجلس النبى ﷺ، فقال: **«مَنْ قتل قتيلاً له عليه بينةٌ فله سَلَبُه»**[3]. فقمتُ فقلتُ: مَنْ يشهدُ لى؟ ثم جلستُ، ثم قال: **«مَنْ قتل قتيلاً له عليه بينةٌ فله سلبه»**. فقمتُ فقلتُ: مَنْ يشهدُ لى؟ ثم جلستُ، ثم قال الثالثة مثلَه، فقمتُ، فقال رسول الله ﷺ: **«مالَكَ يا أبا قتادة»**؟ فاقتصصتُ عليه القصة، فقال رجل: صدق يا رسول الله، وسلبُه عندى، فأرضِه عنى. فقال أبو بكر الصديق رضى الله

---

(١) جَوْلة: أى حركة فيها اختلاف. (فتح البارى ٨/ ٣٧).

(٢) حبل العاتق: عصبه، والعاتق: موضع الرداء من المنكب (فتح البارى ٨/ ٣٧).

(٣) السَّلَب، بفتح السين المهملة واللام، بعدها باء موحدة: هو ما يوجد مع المحارب من ملبوسٍ وغيره عند الجمهور. وعن أحمد: لا تدخل الدابة، وعن الشافعى: يختص بأداة الحرب (فتح البارى ٦/ ٢٤٧).

عنه: لاَهَا الله[١] إذاً، لا يَعْمِد[٢] إلى أسد من أسْد الله، يقاتل عن الله ورسوله، يعطيك سلبَه. فقال النبى ﷺ: «**صدق، فأعطه**»، فابتعت مَخْرَفاً[٣] فى بنى سَلِمة، فإنه لأولُ مالٍ تأثَّلْتُه[٤] فى الإسلام»[٥].

وربما كان هذا الاجتهاد بين يدى النبى ﷺ بإذنه وأمره، كاجتهاد سعد بن معاذ رضى الله عنه فى الحكم على بنى قريظة، حين طلبوا النزول على حكمه، فأمره النبى ﷺ بذلك:

١٣٥ـ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد ـ هو ابن معاذ ـ بعث رسول الله ﷺ ـ وكان قريباً منه ـ فجاء على حمار، فلمّا دَنَا قال رسولُ الله ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم**»، فجاء، فجلس إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «**إن هؤلاء نزلوا على حكمك**». قال: فإنى أحكم أن تُقْتَل المقاتلةُ، وأن تُسْبَى الذريةُ. قال: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الملِك»، وفى رواية: «قضيتَ بحكم الله»[٦].

---

(١) لاها الله: يعنى لا والله، وفيها شاهد على جواز الاستغناء عن واو القسم بهاء التنبيه، وقد قيل: إن ذلك لا يكون إلا مع لفظ الجلالة، ولها مع لفظ الجلالة أربعة أوجه: بقطع همزة «هاء» قبل لفظ الجلالة، أو وصلها، كلاهما مع إثبات الألف فى «هاء»، أو حذفها. ولفظ الجلالة مجرور بهاء التنبيه؛ لأنها عوض عن واو القسم. وقال ابن مالك: ليست عوضاً عنها، وإن جر ما بعدها بمقدر لم يلفظ به (انظر: إرشاد السارى للقسطلانى ٥/ ٢٢٢، فتح البارى ٨/ ٣٧).

(٢) فاعل «يعمد»: رسول الله ﷺ، و«يعمد» بمعنى «يقصد»، أى لا يقصد رسول الله ﷺ إلى رجل كأنه أسد فى الشجاعة، يقاتل عن دين الله ورسوله، فيأخذ حقه ويعطيكه بغير طيبة من نفسه. انظر: فتح البارى ٨/ ٤٠.

(٣) المخرف، بفتح الميم والراء، ويجوز كسر الراء: البستان، سُمى بذلك لأنه يُخترَف منه التمر أى يجتنى، وأما بكسر الميم فهو اسم الآلة التى يخترف بها (فتح البارى ٨/ ٤٠).

(٤) تَأَثَّلْتُه: أى أصَّلْتُه، وأثلة كل شيء: أصله. (فتح البارى ٨/ ٤١).

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب: فرض الخمس، باب: من لم يخمس الأسلاب ٦/ ٢٤٧ (٣١٤٢)، وفى كتاب: المغازى، باب: قول الله تعالى ﴿ويوم حنين...﴾ ٨/ ٣٤، ٣٦ (٤٣٢١، ٤٣٢٢)، وفى كتاب: الأحكام، باب: الشهادة تكون عند الحاكم فى ولايته القضاء ٣/ ١٥٨ (٧١٧٠)، ومسلم فى كتاب: الجهاد والسير، باب: استحقاق القاتل سلب القتيل ٣/ ١٣٧٠ ـ ١٣٧١ (١٧٥١/ ٤١)، وأبو داود فى كتاب: الجهاد، باب: السلب يعطى للقاتل ٣/ ٧٠ (٢٧١٧)، وأحمد ٥/ ٣٠٦.

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد والسير، باب: إذا نزل العدو على حكم رجل ٦/ ١٦٥ (٣٠٤٣)، وفى كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب سعد بن معاذ ٧/ ١٢٣ (٣٨٠٤)، وفى كتاب: المغازى، باب: مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ٧/ ٤١١ (٤١٢١)، وفى كتاب: الاستئذان، باب: قول النبى ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» ١١/ ٤٩ (٦٢٦٢)، ومسلم فى كتاب: الجهاد والسير، باب: جواز قتل من نقض العهد ٣/ ١٣٨١ (١٧٦٨/ ٦٤).

٢ ـ إقرار الاجتهاد الذى حدث فى غيبته ﷺ: من ذلك إقراره ﷺ اجتهاد علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه فى قضية «زُبْية[١] الأسد»:

١٣٦ـ فعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «لما بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن حفر قوم زُبْيَةً للأسد، فازدحم الناس على الزُّبْيَة، ووقع فيها الأسد، فوقع فيها رجلٌ، وتَعلَّق الرجل برجل، وتَعلَّق الرجل بآخر، حتى صاروا أربعة، فجرحهم الأسد فيها، حتى هلكوا، وحمل القومُ السلاحَ، فكاد أن يكون بينهم قتال. قال: فأتيتُهم، فقلت: أتقتلون مائتى رجل من أجل أربعة أناسٍ؟ تعالوا أَقْضِ بينكم بقضاءٍ، فإن رضيتموه فهو قضاء بينكم، وإن أَبَيْتُم رفعتم إلى رسول الله ﷺ، فهو أحق بالقضاء. فجعل للأول ربع الدية، وجعل للثانى ثلث الدية، وجعل للثالث نصف الدية، وجعل للرابع الدية، وجعل الدياتِ على من حفر الزبية، على القبائل الأربعة، فسخط بعضهم، ورضى بعضهم، ثم قدموا على رسول الله ﷺ، فقصُّوا عليه القصة، فقال: «**أنا أقضى بينكم**». فقال قائل: فإن عليا قد قضى بيننا. فأخبروه بما قضى علىٌّ رضى الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: «**القضاء كما قضى علىّ**»، وفى رواية: «فأمضى رسول الله ﷺ قضاء [illegible]»[٢].

٣ ـ تصحيح الخطأ في اجتهاد الصحابة فى حضوره ﷺ: قد يجتهد بعض الصحابة فى مسألة، والنبىُّ ﷺ موجود فى المدينة بين ظَهْرانَيْهم، فإذا رُفعت تلك المسألة والاجتهاداتُ إليه ﷺ بيَّن لهم خطأ الاجتهاد، وذكر لهم الصواب، مثلما حدث فى اجتهاد أبى السنابل بن بَعْكك فى عدة الحامل المتوفَّى عنها زوجها:

١٣٧ـ فعن سُبَيعة بنت الحارث الأسلمية رضى الله عنها «أنها كانت تحت سعد بن خَوْلَة، وهو من بنى عامر بن لؤى، وكان ممن شهد بدراً، فتوفى عنها فى حجة الوداع، وهى حاملٌ، فلم تَنْشَبْ[٣] أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تَعَلَّت من نِفاسها[٤] تجمَّلت للخُطَّاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكَك ـ رجل

---

(١) الزُّبْية، بضم الزاى: حُفَيْرة تحفر للأسد وللصيد، يُغَطَّى رأسها بما يسترها ليقع فيها (النهاية ٢/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسى صـ١٨ (١١٤)، وأحمد ١/ ٧٧، ١٢٨، والبزار (كشف الأستار) ٢/ ٢٠٧ (١٥٣٢)، وإسناده حسن.

(٣) لم تَنْشَب: أى لم تلبث. (النهاية ٥/ ٥٢).

(٤) تَعَلَّت من نفاسها، بتشديد اللام فى «تعلَّت»، ويروى «تعالت»: أى ارتفعت وطهرت، ويجوز أن يكون من قولهم «تعلى الرجل من علته» إذا برىء، والمعنى: خرجت من نفاسها وسلمت. (النهاية ٢/ ٢٩٣).

من بنى عبد الدار ـ فقال لها: ما لى أراك تجمَّلْتِ للخُطَّاب، تُرَجِّين النكاح؟ فإنك والله ما أنتِ بناكحٍ حتى تمرَّ عليك أربعة أشهر وعشرا.

قالت سُبَيعة: فلما قال لى ذلك جمعتُ علىَّ ثيابى حين أمسيتُ، وأتيتُ رسول الله ﷺ، فسألتُه عن ذلك، فأفتانى بأنِّى قد حللْتُ حين وضعتُ حملى، وأمرنى بالتزوّج إنْ بَدَا لى»[1].

فقد فهم أبو السنابل رضى الله عنه أن الحامل المتوفى عنها زوجها داخلة فى عموم قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] باعتبار ذلك أبعد الأجلين للحامل فى هذه الحالة التى وضعت فيها الحامل بعد مدة يسيرة من وفاة الزوج، فصحح النبىُّ ﷺ هذا الاجتهاد، وبيَّن أن الحوامل قد استُثنين من عموم هذه الآية بآية سورة الطلاق: ٤، وهى قوله تعالى ﴿وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وأن الحامل متى وضعت حملها فقد حلَّت، سواء كان ذلك أقرب الأجلين أو أبعدهما، والله أعلم.

٤ ـ تصحيح الاجتهاد الذى حدث فى غيبته ﷺ: فربما سافر بعض الصحابة، أو غاب عنهم النبى ﷺ، أو غابوا عنه، ثم عَرَضَ لهم أمرٌ، وجدتْ عليهم مسألةٌ لا تحتمل التأجيل، فاجتهدوا فى التعرف على الحكم الشرعى فيها، فإذا لقوا النبى ﷺ عرضوا عليه اجتهادهم، فصحَّح لهم ما وقعوا فيه من خطأ.

١٣٨ـ من ذلك: ما رواه عبد الرحمن بن أَبْزَى رضى الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: إنى أجنبتُ فلم أُصب الماء؟ فقال عمار بن ياسر رضى الله عنهما لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: «أَمَا تذكر أنَّا كنَّا فى سفرٍ، أنا وأنت، فأما أنت فلم تُصَلِّ، وأما أنا فتمعَّكْتُ[2] فصلَّيْتُ، فذكرتُ ذلك للنبى ﷺ فقال النبى ﷺ: **«إنما كان يكفيك هكذا»** فضرب النبى ﷺ بكفَّيْه

---

(١) علّقه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: فضل من شهد بدراً ٧/ ٣١٠ (٣٩٩١)، وأخرجه موصولاً فى كتاب: الطلاق، باب: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ٩/ ٤٦٩ (٥٣١٩)، ومسلم فى كتاب: الطلاق، باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل ٢/ ١٢٢ (١٤٨/ ٥٦ ، ٥٧)، وأبو داود فى كتاب: الطلاق، باب: فى عدة الحامل ٢/ ٢٩٣ (٢٣٠٦)، والنسائى فى كتاب: الطلاق، باب: عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ٦/ ١٩٤ ـ ١٩٦، وأحمد ٦/ ٤٣٢.

(٢) تمعَّكْت: أى تمرَّغتُ فى التراب. (النهاية ٤/ ٣٤٣).

الأرضَ، ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفَّيْه»[١].

ففى هذه المسألة اجتهد عمر وعمار رضى الله عنهما، فأما عمر فرأى أن التيمم لا يجزىء فى رفع الحدث الأكبر، فأخّر الصلاة إلى أن يجد الماء، وأما عمار فقاس الطهارة الترابية على الطهارة المائية فى رفع الحدث الأكبر، وفى عموم الجسم بها لذلك، فتمرغ فى التراب، وصلى.

فلما رجعا وذكرا ذلك للنبى ﷺ بيَّن لهما الصواب فى المسألة، فأشار إلى خطأ اجتهاد عمر فى ظنه أن التيمم لا يجزىء فى رفع الحدث الأكبر، كما أشار إلى خطأ قياس عمار فى غمر الجسد بالتراب كالماء، وبين لهما أن الصواب: إجزاء التيمم فى رفع الحدث الأكبر، من غير تعميم الجسد بالتراب، بل بمسح الوجه والكفين فقط[٢].

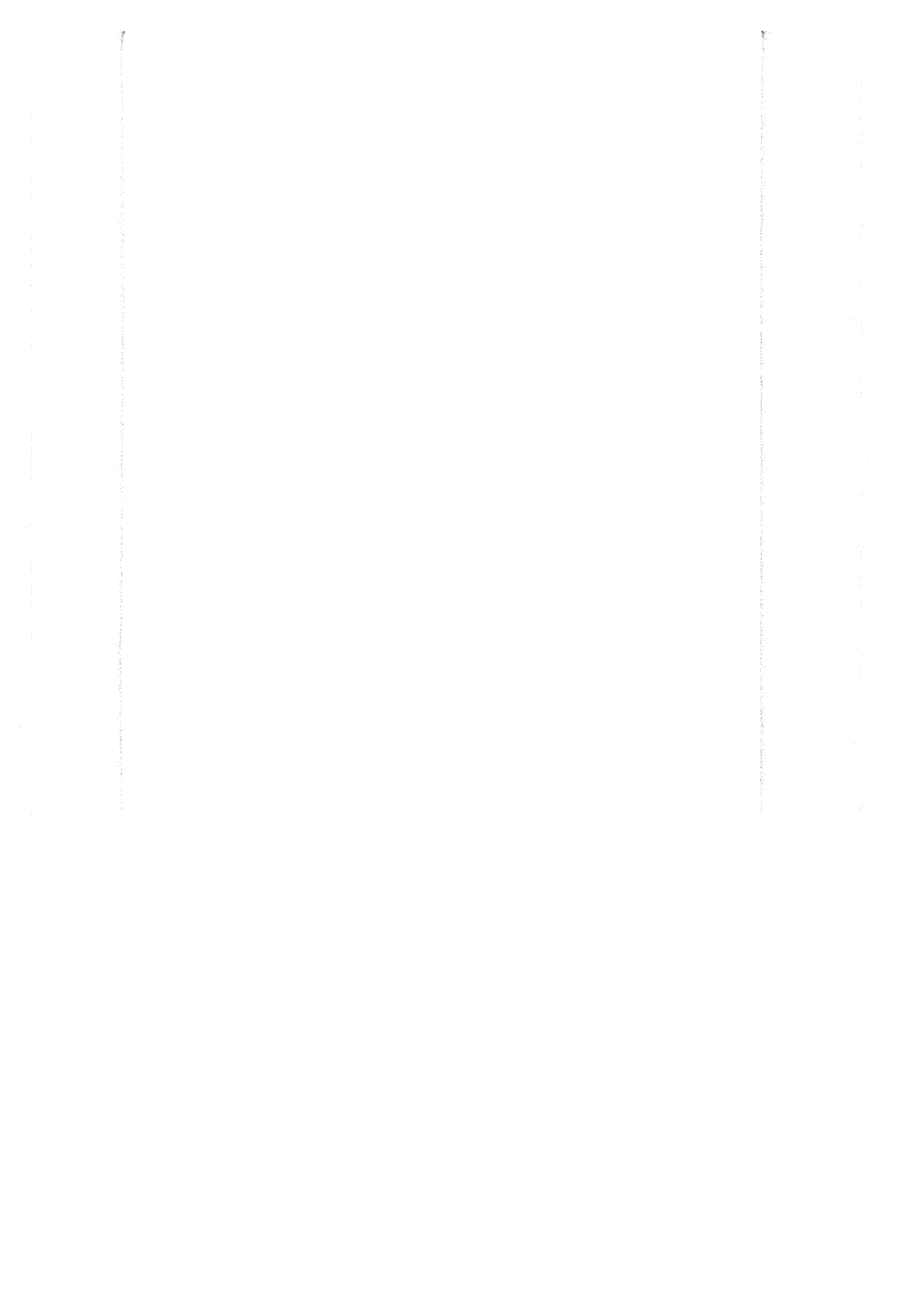
يبقى أن أعيد التأكيد على أن هذه الاجتهادات من الصحابة رضوان الله عليهم فى عصر النبى ﷺ راجعةٌ إلى السنة أياً كان شكلها وأيّاً كانت صورتها، ما دام النبى ﷺ قد أقرَّها وصوَّبها، أوسكت عنها ولم يردّها، فإذا عدَّل شيئاً منها أوصحَّحه فإن هذا التصحيح هو السنة.

ثم أعيد التأكيد على أن هذه الوقائع بهذه الصورة مما يُضْبَط فلا يُنسى؛ لما يصاحبها من ظروف، وما يقترن بها من ملابسات، تعين على حفظها وضبطها.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: التيمم، باب: المتيمم هل ينفخ فيهما ١/ ٤٤٣ (٣٣٨)، ومسلم فى كتاب: الحيض، باب: التيمم ١/ ٢٨٠ (٣٦٨/ ١١٢ ـ ١١٣)، وأبو داود فى كتاب: الطهارة، باب: التيمم ١/ ٨٨ (٣٢٢)، والنسائى فى كتاب: الطهارة، باب: التيمم فى الحضر ١/ ١٦٦، وابن ماجه فى كتاب: الطهارة، باب: ما جاء فى التيمم ضربة واحدة ١/ ١٨٨ (٥٦٩).

(٢) انظر قصصاً أخرى فيما اجتهد فيه الصحابة، فأخطأوا، فصحح لهم النبى ﷺ فى كتاب «إحكام الأحكام» لابن حزم ٦/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦، وكتاب «إحكام الأحكام» للآمدى ٤/ ٢٢٢.



الفصل الثالث

مشاهدة الصحابة لأحواله ﷺ

ومعايشتهم إياه

من المعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم عايشوا النبى ﷺ، وعاينوا أحواله، وعرفوا صفاته، وشاهدوا كل ما صدر عنه، وعلموا أن من واجبهم حفظ هذا كله، وتبليغه للناس من بعدهم قولاً وعملاً وتحقُّقاً، لذلك لم يدعوا شيئاً كبيراً ولا صغيراً يتصل برسول الله ﷺ إلا تتبعوه، وعرفوه، فحفظوا أقواله، وأفعاله، ونومه ويقظته ومغازيه، ومزاحه، وزجره، وخطبه، وأكله، وشربه، ومعاملته أهله، وتأديبه فرسه، وكتبه إلى المسلمين والمشركين، وعهوده، ومواثيقه، وألحاظه، وأنفاسه، وصفاته[1].

١٣٩ـ فمن ذلك حديث عائشة رضى الله عنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه، إلاّ أن تُنْتَهك حرمة الله، فينتقم لله بها»[2].

ففى هذا الحديث وصفت عائشة رضى الله عنها بعض أحوال النبى ﷺ من خلال معايشتها ومعاشرتها لرسول الله ﷺ.

كما وصفت أخلاقَه ﷺ ببعض ما رأتْ من ذلك:

١٤٠ ـ فقالت رضى الله عنها حين سئلت عن أخلاقه ﷺ: «لم يكن فاحشاً ولا متفحِّشاً، ولا صخَّاباً[3] فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكنه يعفو ويصفح»[4].

---

(١) انظر: السنة قبل التدوين صـ٦٨.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: المناقب، باب: صفة النبى ﷺ ٦/ ٥٦٦ (٣٥٦٠)، وفى كتاب: الأدب، باب: قول النبى ﷺ **«يسروا ولا تعسروا»** ١١/ ٥٢٤ (٦١٢٦)، وفى كتاب: الحدود، باب: إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله ١٢/ ٨٦ (٦٧٨٦)، وباب: كم التعزير والأدب ١٢/ ١٧٦ (٦٨٥٣)، ومسلم فى كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام ٤/ ١٨١٣ (٢٣١٧/ ٧٧ ـ ٧٨)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى التجاوز فى الأمر ٤/ ٢٥٠ (٤٧٨٥).

(٣) الصَّخَّاب، بالصاد، ويروى بالسين: هو كثير الصياح والضجيج (النهاية ٢/ ١٥٢، ٢٥٤).

(٤) أخرجه الترمذى ـ وقال: حسن صحيح ـ فى كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء فى خلق النبى ﷺ =

وتستطيع أن تجد من ذلك شيئاً كثيراً فى الحديث عن صفاته وأخلاقه ﷺ، ففى باب «صفة النبى ﷺ» من كتاب «المناقب» أورد البخارى[١] أحاديث كثيرة فى صفاته الخلقية والخُلُقية وبعض أحواله. وكذلك أورد مسلم جملةً من الأحاديث فى صفاته ﷺ، فى كتاب: الفضائل، من كتاب الصحيح. ويكاد كتاب «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذى أن يكون من هذا القبيل، وهاك عناوين بعض أبوابه التى تدل على أن الصحابة حفظوا كل ما يتعلق به: «خُلُق رسول الله ﷺ - خاتم النبوة - شعر رسول الله ﷺ - ترجُّله - شيبه - خِضابه - كُحْله - لباسه - خفه - نعله - خاتمه - سيفه - درعه - مِغفَره - عمامته - إزاره - مشيته - تقنعه - جلسته - تكأته - اتكاؤه - عيشه - أكله - صِفة خبزه - إدامه - قدحه - فاكهته - شرابه - شربه - تعطره - ضحكه - مزاحه - نومه - عبادته - صومه - قراءته - بكاؤه - فراشه - تواضعه - خلقه - حياؤه - حجامته».

بل كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا غاب عنهم شىء من أحواله ﷺ سألوا من ظنوا أن عنده من ذلك علماً، كما حدث من النفر الثلاثة الذين ذهبوا إلى أزواجه يسألون عن عبادته ﷺ فى بيته:

١٤١- فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبى ﷺ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ - وفى رواية: يسألون عن عمله فى السر - فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها[٢]، فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلى الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله ﷺ، فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أَمَا والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»**[٣].

= ٤/ ٣٢٤ (٢٠١٦)، وأحمد ٦/ ١٧٤، ٢٣٦، ٢٤٦.

(١) ٦/ ٥٦٣ - ٥٦٧ (٣٥٤٢: ٣٥٦٨).

(٢) تقالُّوها: أى استقلُّوها، وهو تفاعل من القلة (النهاية ٤/ ١٠٤).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: النكاح، باب: الترغيب فى النكاح ٩/ ١٠٤ (٥٠٦٣)، ومسلم فى كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ٢/ ١٠٢٠ (١٤٠١/ ٥٠).

قال ابن حجر: «فيه: تتبعُ أحوال الأكابر، للتأسِّى بأفعالهم، وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء»[١].

وقد أعانهم على حفظ هذه الأحوال وجودةِ ضبطها: حبُّهم العظيم لرسول الله ﷺ، واستشعارهم المسؤولية الجسيمة أمام الله تعالى فى نقل ذلك لمن وراءهم، بعد التأسى والاقتداء بها.

(١) فتح البارى ٩/١٠٦.



الفصل الرابع
رحلة الوفود إليه ﷺ وبعثه البعوث إلى الأقطار المختلفة

كان للرحلة إلى النبى ﷺ والوفادة إليه لطلب العلم، ولبعوثه إلى القبائل والأقطار المختلفة أبلغ الأثر فى تحمُّل العلم والسنة، إذ كان الغرض الأساسىُّ من الرحلة والبعث: تبليغَ الدين ونشر الدعوة.

وقد اتخذ التحمل عن رسول الله ﷺ بهذه الوسيلة صوراً متعددة على النحو التالى:

أولاً: قدوم الوفود على رسول الله ﷺ وسماع العلم منه: وقد كثرت هذه الوفود بخاصة بعد الفتح الأعظم فتح مكة شرَّفها الله تعالى، ذلك أن العرب كانت تنتظر نتيجة الصراع بين الإسلام وبين مشركى مكة، فلما جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، أقبلت قبائل العرب من كل صوبٍ وحدبٍ مسلمةً مؤمنةً بالله ورسوله، وبعثت كل قبيلة وفوداً منها تتلقى العلم والإيمان من رسول الله ﷺ:

١٤٢ـ ففى حديث عمرو بن سلمة رضى الله عنهما: «. . . وكانت العرب تَلَوَّمُ[1] بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبىٌّ صادقٌ، فلمَّا كانت وقعة أهل الفتح بادر كلُّ قومٍ بإسلامهم، وبَدَرَ[2] أبى قومى بإسلامهم. . .» الحديث[3].

وقال ابن إسحاق رحمه الله: «لما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمتْ ثقيفُ وبايعتْ؛ ضربت إليه وفود العرب من كل وجه»[4].

وقد كثرت هذه الوفود كثرةً بالغةً، وكان لها دورٌ عظيمٌ فى نشر السنة وحفظ

---

(١) تَلَوَّم: أى تنتظر، أراد «تتلوَّم»، فحذف إحدى التاءين تخفيفا، وهو كثير فى كلامهم. (النهاية ٤/ ٢٧٨).

(٢) بدر: أى سبق.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: وقال الليث: حدثنى يونس ٨/ ٢٢ (٤٣٠٢)، والنسائى فى كتاب: الأذان، باب: اجتزاء المرء بأذان غيره فى الحضر ٢/ ٩ـ١٠، وأحمد ٥/ ٣٠.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٥٥٩.

العلم، ويمكن أن تتبيَّن أثر هذا العدد الضخم من الوفود ـ فرادى وجماعات ـ إذا طالعْتَ أخبارهم فى كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد، حيث ذكرهم تحت عنوان: «ذكر وفادات العرب على رسول الله ﷺ»[١]، وإذا طالعت «جماع أبواب بعض الوفود إليه ﷺ وبارك عليه» من كتاب «سبل الهدى والرشاد» للصالحى[٢].

ثم كانت حجة الوداع التى وفد إليها المسلمون من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، حتى زاد عددهم على المائة ألف، سعوا إلى نَيْل شرف الحج مع المصطفى ﷺ، ووقف النبىُّ ﷺ فيهم خطيباً يوم عرفة ويوم النحر وغيرهما بكلامٍ جامعٍ سمعه هذا العدد الكثير، فضلاً عن إجاباته على الأسئلة الكثيرة التى وُجِّهتْ إليه فى تلك الأيام، وقد حمَّلهم النبى ﷺ إذ ذاك أمانة التبليغ، فى آخر خطبته حيث قال لهم: «**لِيُبَلِّغ الشاهدُ الغائب**»[٣]، فحفظوا ما سمعوا، وَعَوْا ما أُلْقى عليهم، وتهيَّؤوا لنقلِ ذلك كله إلى الآفاق.

ثانياً ـ رحلة الأفراد إلى النبى ﷺ للسؤال عن الأحكام الشرعية فى الوقائع النازلة بهم: فلم يكن أىُّ صحابىٍّ ممن يسكن خارج المدينة المنورة يتردَّد فى الوفادة على رسول الله ﷺ؛ إذا نزل به ما لا يعرف حكمه، مثلما فعل الأعرابىُّ الذى زنى ابنه بامرأة رجلٍ آخر كان أجيراً عنده، وأفتاه البعض بفتوى لم يطمئنَّ إليها، فأتى النبىَّ ﷺ:

١٤٣ـ فعن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى رضى الله عنهما قالا: «إن رجلاً من الأعراب أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أَنْشُدك الله إلاَّ قضيتَ لى بكتاب الله. فقال الخصم الآخر ـ وهو أفقه منه ـ: نعم، فاقضِ بيننا بكتاب الله، وائذنْ لى[٤]. فقال رسول الله ﷺ: «**قل**». قال: إنَّ ابنى كان عَسِيفاً[٥] على هذا، فزنى بامرأته، وإنى أُخْبِرتُ أنّ على ابنى الرجمَ، فافتديتُ منه بمائة شاةٍ ووليدة[٦]، فسألتُ أهلَ العلم، فأخبرونى أنما على ابنى جلدُ مائة وتغريب عامٍ، وأن على

---

(١) من صـ٢٢٢ إلى صـ٢٦٩ من الجزء الأول.

(٢) من صـ٣٨٦ إلى صـ٦٨٠ من الجزء السادس.

(٣) سبق تخريجه برقم (٢٣).

(٤) يعنى: ائذن لى فى الكلام.

(٥) العسيف: الأجير. (النهاية ٣/ ٢٣٧).

(٦) الوليد: الجارية والأمة، وإن كانت كبيرة. (النهاية ٥/ ٢٢٥).

امرأة هذا الرجم. فقال رسولُ الله ﷺ: **«والذى نفسي بيده لأقضينَّ بينكم بكتاب الله، الوليدة والغنم ردٌّ، وعلى ابنك جلدُ مائة وتغريبُ عام. اغدُ يا أُنَيْس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها»**.

قال: فغدا عليها، فاعترفتْ، فأمر بها رسولُ الله ﷺ، فُرِجمَتْ»[1].

مبادىء تربوية استعملها النبى ﷺ مع الوفود:

١ ـ الترحيب والتشجيع على طلب العلم: كان النبى ﷺ يرحِّب أيما ترحيب بمن جاء طالباً للعلم، وراغباً فى المعرفة:

١٤٤ـ فعن صفوان بن عسَّال المرادىِّ رضى الله عنه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ أسأله عن المسح على الخُفَّيْن، فقلت: يا رسول الله، جئتُ أسألك عن العلم، فقال: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب**. . .» الحديث[2].

١٤٥ـ وفى رواية قال: أتيتُ النبى ﷺ وهو فى المسجد متكىءٌ على بُرْد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله، إنى جئتُ أطلب العلم، فقال: «**مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفُّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً، حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب**»[3].

ولا ريب أن هذا الترحيب والتشجيع حفز الكثيرين على الرحلة فى طلب العلم وفى نشره.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الشروط، باب: الشروط التى لا تحل فى الحدود ٥/ ٣٢٤ (٢٧٢٤ ـ ٢٧٢٥)، وفى كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على جَوْرٍ فالصلح مردود ٥/ ٣٠١ (٢٦٩٥ ـ ٢٦٩٦)، وفى كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبى ﷺ ١١/ ٥٢٣ (٦٦٣٣، ٦٦٣٤)، وانظر أيضا أرقام (٦٨٢٧، ٦٨٢٨، ٦٨٣٥، ٦٨٣٦، ٦٨٤٢، ٦٨٤٣، ٦٨٥٩، ٦٨٦٠، ٧١٩٣، ٧١٩٤، ٧٢٥٨، ٧٢٥٩، ٧٢٧٨، ٧٢٧٩)، ومسلم فى كتاب: الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنا ٣/ ١٣٢٤ (١٦٩٧ ـ ١٦٩٨/ ٢٥)، وأبو داود فى كتاب: الحدود، باب: المرأة التى أمر النبى ﷺ برجمها من جهينة ٤/ ١٥٣ (٤٤٤٥).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ٧٥ (٧٣٧٣) بإسنادٍ حسن، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٣١: «رجاله رجال الصحيح»، وأخرجه الحاكم ١/ ١٠٠ وصححه. وله طرق كثيرة مرفوعاً وموقوفاً. انظر الخبر (١٧) من كتاب «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» بتحقيقى.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ٦٣ ـ ٦٤ (٧٣٤٧، ٧٣٤٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٣١: «رجاله رجال الصحيح». وأخرجه عبد الرزاق ١/ ٢٠٤ (٧٩٣)، وأحمد ٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، والدارقطنى ١/ ١٩٦ ـ ١٩٧، والبيهقى فى السنن ١/ ٢٨٢، و ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ١٥٥ (١٦٢)، والآجرى فى «أخلاق العلماء» صـ٣٧. وصححه ابن حبان ٤/ ١٤٨، ١٤٩ ـ ١٥٠، ١٥٥ (١٣١٩، ١٣٢١، ١٣٢٥).

٢ ـ الرفق بهم وتهيئة سبل الإقامة والعيش لهم، حتى يتفرغوا لتعلُّم العلم: ذلك أنهم كانوا يمكثون عنده فى وفادتهم إليه ﷺ مدة محدودة، فكان لابد أن يهيىء لهم سبيل تحصيل أكبر قدرٍ ممكنٍ من العلم، حتى يعودوا به إلى أقوامهم معلِّمين مبشِّرين ومنذرين.

١٤٦ـ فعن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال: «أتينا النبىَّ ﷺ ونحن شببةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلةً، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فلما ظنَّ أنا قد اشتقنا أهلنا ـ أو قد اشتققنا ـ سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: «**ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلِّموهم، ومُرُوهم**» ـ وذكر أشياء أحفظها أولا أحفظها[١] ـ «**وصلُّوا كما رأيتمونى أصلى، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدُكم، وليؤُمَّكم أكبرُكم**»[٢].

١٤٧ـ وفى رواية: «**لو رجعتم إلى بلادكم، فعلمتموهم، ومروهم فليُصلُّوا صلاة كذا فى حين كذا، وصلاة كذا فى حين كذا، وإذا حضرت الصلاة فليؤذنْ لكم أحدكم، وليؤمَّكُم أكبرُكُم**»[٣].

ولا شك أن هذا الإحسانَ النبوىَّ الكريم كان مثار إعجاب هؤلاء الوافدين، مما دعاهم لحسن الأخذ والتلقِّى بقلبٍ مفتوحٍ، وصدرٍ منشرح، فلم ينسَوْا شيئاً مما سمعوه أو رأوه، ورجعوا إلى أهليهم مشغوفين بهذا الدِّين وبهذا النبى الكريم ﷺ، وحريصين على نقل علومهم ومشاعرهم تلك إلى سائر الناس.

١٤٨ـ ففى حديث عمرو بن سلمة السابق قال: « . . . وبَدَرَ أبى قومى بإسلامهم»، فلما قدم قال: جئتُكم ـ والله ـ من عند النبىِّ ﷺ حقا، فقال: «**صَلُّوا صلاةَ كذا فى حين كذا، وصلوا صلاة كذا فى حين كذا، فإذا حضرت الصلاةُ**

---

(١) قائل هذه العبارة هو أبو قِلابة عبد الله بن زيد الجَرْمى، راوى الحديث عن مالك بن الحويرث. (انظر: فتح البارى ١٣/٢٣٦).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الأذان، باب: الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ٢/١١١ (٦٣١)، وباب: من قال: ليؤذن فى السفر مؤذن واحد ٢/ ١١٠ (٦٢٨)، وفى كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم ١٠/٤٣٧ (٦٠٠٨)، وفى كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق ١٣/ ٢٣١ (٧٢٤٦)، والطحاوى فى مشكل الآثار ٢/٢٩٦، ٢٩٧.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الأذان، باب: إذا استووا فى القراءة فليؤمهم أكبرهم ٢/ ١٧٠ (٦٨٥)، وفى باب: المكث بين السجدتين ٢/ ٣٠٠ (٨١٩)، ومسلم فى كتاب: المساجد، باب: من أحق بالإمامة ١/٤٦٥ (٦٧٤/٢٩٢).

فليؤذِّنْ أحدُكم، وليؤُمَّكم أكثرُكُم قرآنا...» الحديث[١].

وربما احتاج أحد هؤلاء الوافدين إلى تعليم من نوعٍ خاصٍ، فيتواضع له النبىُّ ﷺ ويترفق به، ويتغاضى عن عدم إحسانه المسألة، أو اختيارِه التوقيت المناسب، حتى إنه ليترك الخطبة أحياناً، ويقبل على الغريب؛ ليعلِّمه، ثم يعود ليتم خطبته.

١٤٩ـ فعن أبى رفاعة العدوى رضى الله عنه قال: «انتهيتُ إلى النبى ﷺ، وهو يخطب، قال: فقلت: يا رسول الله، رجلٌ غريبٌ جاء يسألُ عن دينه، لا يدرى ما دينُه. قال: فأقبل علىَّ رسول الله ﷺ، وترك خطبته، حتى انتهى إلىَّ، فأتى بكرسىٍّ حسبتُ قوائمه حديداً. قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلِّمنى مما علَّمه الله، ثم أتى خُطبته، فأتمَّ آخرها»[٢].

٣ ـ توصية المهاجرين والأنصار بالوافدين ودعوتهم إلى تعليمهم: من البدهىّ أن النبىِ ﷺ لم يكن يتسع وقته لتعليم كلِّ هؤلاء الوافدين كلَّ شرائع الإسلام، ومن ثَمَّ كان يعهد بهم إلى أصحابه الذين حفظوا عنه وتعلَّموا على يديه، ليكملوا هذه المهمة، ويضطلعوا بعبء التبليغ، ويتدرَّبوا على الدعوة والتعليم بين يديه ﷺ، ثم كان ﷺ يطمئن بنفسه على حسن تلقِّيهم، ويطلب منهم أن يعرضوا عليه ما تعلَّموه، ويشتد فرحه بنجاح أصحابه فى حمل الرسالة وتبليغها، مثلما حدث مع وفد عبد القيس:

١٥٠ـ فعن شهاب بن عَبَّاد رحمه الله، أنه سمع بعض وفد عبد القيس، وهو يقول: «قدمنا على رسول الله ﷺ، فاشتدَّ فرحُهم بنا، فلما انتهينا إلى القوم أوسَعُوا لنا فقعدنا، فرحَّب بنا النبى ﷺ، ودَعَا لنا، ثم نظر إلينا فقال: «**مَنْ سيدكم وزعيمُكم؟**» فأشرنا جميعاً إلى المنذر بن عائذ، فقال النبى ﷺ: «**أهذا الأشج؟**»، فكان أول يوم وُضع عليه هذا الاسم، لضَربةٍ بوجهه بحافر حمار، فقلنا: نعم يا رسول الله. فتخلَّف بعد القوم، فَعَقَل رواحلَهم، وضمَّ متاعهم، ثم أخرج عَيْبَتَه[٣]، فألقى عنه ثياب السفر، ولبس من صالح ثيابه، ثم أقبل إلى النبى

(١) سبق تخريجه برقم (١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الجمعة، باب: حديث التعليم فى الخطبة ٢/ ٥٩٧ (٨٧٦/ ٦٠)، والبخارى فى الأدب المفرد، باب: الجلوس على السرير صـ٣٤٠ (١١٦٤)، والنسائى فى كتاب: الزينة، باب: الجلوس على السرير ٨/ ٢٢٠، والمزى فى تهذيب الكمال ٣٣/ ٣١٥.

(٣) عَيْبته: بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة تحت، بعدها باء موحدة: هى ما يجعل المسافر فيه الثياب. (الترغيب والترهيب ٣/ ٣٧٣).

ﷺ، وقد بسط النبى ﷺ رجله واتكأ، فلما دَنَا منه الأشج أوسع القومُ له، وقالوا: ها هنا يا أشج، فقال النبى ﷺ - وقبض رجله -: «**هاهنا يا أشج**»، فقعد عن يمين النبى ﷺ، واستوى قاعداً، فرحَّب به، وألطفه، ثم سأل عن بلاده، وسمَّى له قرية الصفا، والمشقر، وغير ذلك من قرى هجر، فقال: بأبى وأمى يا رسول الله، لأنت أعلم بأسماء قرانا منا، فقال: «**إنى قد وطئتُ بلادكم، وفُسح لى فيها**».

قال: ثم أقبل على الأنصار، فقال: «**يا معشر الأنصار، أكرموا إخوانكم، فإنهم أشباهكم فى الإسلام، وأشبه شىء بكم شعاراً**[1] **وأبشاراً، أسلموا طائعين غير مكرهين، ولا موتورين، إذ أَبَى قوم أن يسلموا حتى قتلوا**».

فلما أن قال: «**كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم، وضيافتهم إياكم؟**» قالوا: خير إخوان، ألانُوا فُرُشَنا، وأطابوا مطعمنا، وباتوا وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ، فأعجب النبى ﷺ وفرح بها، ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً، يعرضنا على ما تعلمنا وعلمنا، فمنا من تعلَّم التحيات، وأم الكتاب، والسورة والسورتين، والسُّنَّة والسُّنَّتين، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «هل معكم من أزوادكم شىء؟» ففرح القوم بذلك، وابتدروا رحالهم. . .» الحديث[2].

ثالثاً: إرسال البعوث إلى الأماكن المختلفة لتبليغ الدعوة وتعليم الناس:

من الواضح البيِّن أن كل الوفود الذين قدموا على رسول الله ﷺ اعتبروا مبعوثين إلى أقوامهم، ومتحمِّلين أمانة التبليغ لمن وراءهم.

إلا أنه مع ذلك كان النبى ﷺ يبعث من لدنه رسلاً إلى القبائل القريبة والنائية، يدعونهم إلى الإسلام، ويعلمونهم أحكام الدين، وربما بعثت القبيلة من القبائل إليه ﷺ تطلب منه أن يبعث إليها من يعلمها، ويُفَقِّهها، ويقضى بينها، وكان ﷺ يستجيب لهذا الطلب، مزوِّداً إياهم بالنصائح التربوية القيِّمة ذات الأثر البالغ فى حسن أدائهم لمهمتهم، وتمام قيامهم برسالتهم.

وهاك أهم تلك الوسائل والنصائح والتوجيهات التربوية:

---

(١) الشِّعَار: الثوب الذى يلى الجسد، لأنه يلى شعره (النهاية ٢/ ٤٨٠).

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢٠٦، و٣/ ٤٣٢، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٥٩ و ٨/ ١٧٨: «رجاله ثقات»، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب ٣/ ٣٧٣ (١٥): «هذا الحديث بطوله رواه أحمد بإسنادٍ صحيح».

١ ـ الأمر بالتيسير وترك التعسير: فكان صلوات الله وسلامه عليه يوجههم إلى أول أصول الدعوة والتعليم، وهو الرفق والتبشير والتيسير، كما فعل مع أبي موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما، حين بعثهما إلى اليمن:

١٥١ـ فعن أبى بردة بن أبى موسى قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى اليمن. قال: وبعث كلٍّ واحد منهما على مخْلاف[1]، قال: واليمن مِخْلافان، ثم قال: «**يسِّرا، ولا تُعَسِّرا، وبشِّرا، ولا تَنفِّرا...**» الحديث[2].

١٥٢ـ وفى رواية عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه فى بعض أمره قال: «**بشِّروا ولا تنفِّروا، ويسِّروا ولا تعسِّروا**»[3].

وقد كان هذا توجيهه ﷺ لكل معلِّم:

١٥٣ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**علِّموا، ويسِّروا، ولا تعسِّروا، وإذا غضبتَ فاسكت**». وفى بعض الروايات أنه قال ذلك ثلاثاً[4].

ولا ريب أن التيسير مفتاح القلوب الغليظة والمغلقة، وسبيل كسب الأفئدة إلى الحق، واستمالتها إلى الهدى.

---

(١) المخلاف ـ بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء ـ هو بلغة أهل اليمن، وهو الكورة والإقليم (فتح البارى ٨/ ٦١).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٨/ ٦٠ (٤٣٤١) و ٦٢ (٤٣٤٤)، وفى كتاب: الأحكام، باب: أمر الوالى إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا ١٣/ ١٦٢ (٧١٧٢)، ومسلم فى كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر ٣/ ١٥٨٦ ـ ١٥٨٧ (١٧٣٣/ ٧٠ ـ ٧١)، وكتاب: الجهاد والسير، باب: فى الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٨ ـ ١٣٥٩ (١٧٣٣/ ٧).

(٣) أخرجه مسلم فى السابق ٣/ ١٣٥٨ (١٧٣٢/ ٦)، وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: فى كراهية المراء ٤/ ٢٦٠ (٤٨٣٥).

(٤) أخرجه البزار (كشف الأستار) ١/ ٩٠ (١٥٢، ١٥٣)، وأحمد ١/ ٢٣٩، ٢٨٣، ٣٦٥، والبخارى فى الأدب المفرد، باب: العفو والصفح عن الناس صـ٨٢ (٢٤٥) وباب: يسكت إذا غضب صـ٣٨١ (١٣٢٠)، والطيالسى صـ٣٤٠ (٢٦٠٨)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٥٠٣ (٨٠٤) ، ٥١٦ (٨٣٤) قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٣١: «فيه ليث بن أبى سليم، وهو ضعيف». **قلت**: يشهد له ما قبله.

٢ ـ الأمر بالتدرُّج فى الدعوة ومراعاة حال الناس، وتقديم الأهم فالمهم:

ولا شك أن ترتيب الأولويات، وبراعة الاستهلال، وحسن التدرُّج بالدعوة، من أهم أسباب النجاح، ولذلك حرص النبى ﷺ على توجيه رسله ومبعوثيه إلى مراعاة ذلك، ورسم لهم خطة الدعوة السليمة المناسبة لحال من بُعثوا إليهم:

١٥٤ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبىَّ ﷺ بعث معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن، فقال: «**ادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمْهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلكَ فأعلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً، تؤخذ من أغنيائهمً، وتُرَدُّ على فقرائهم**»[١].

١٥٥ـ وفى رواية: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذْ منهم وتَوَقَّ كرائمَ أموال الناس**»[٢].

زاد فى رواية: «**واتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»[٣].

٣ ـ تثبيتُهم والدعاء لهم بالتسديد والتأييد: فكان ﷺ يثبت مبعوثيه ويشجِّعهم ويطمئنهم، ويدعو لهم بسداد الرأى ونجاح المهمة:

١٥٦ ـ فعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله، ترسلنى وأنا حديثُ السن، ولا علم لى

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة ٣/ ٢٦١ (١٣٩٥).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس فى الصدقة ٣/ ٣٢٢ (١٤٥٨)، وفى كتاب: التوحيد، باب ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى التوحيد لله تبارك وتعالى ١٣/ ٣٤٧ (٧٣٧٢)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥١ (١٩/ ٣١).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا ٣/ ٣٥٧ (١٤٩٦)، وفى كتاب: المغازى، باب: بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن ٨/ ٦٤ (٤٣٤٧)، ومسلم فى كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥٠ (١٩/ ٢٩ ـ ٣٠)، وأبو داود فى كتاب: الزكاة، باب: فى زكاة السائمة ٢/ ١٠٤ (١٥٨٤).

وأخرج هذه الزيادة وحدها دون بقية الحديث: البخارى فى كتاب: المظالم، باب: الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ٥/ ١٠٠ ـ ١٠١ (٢٤٤٨).

بالقضاء؟ فقال: «**إنَّ الله سيهدى قلبَك، ويثبتُ لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضينَّ حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحَرْى أن يتبين لك القضاء**». قال: فما زلت قاضياً، أو ما شككْتُ فى قضاءٍ بعد»[١].

٤ ـ اختيار المبعوث المناسب لكل قوم: بحيث يكون معروفاً لديهم، مقبولاً قوله ونصحه عندهم، ولذلك اختار لليمن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه، لأنه من اليمن، كما اختار لباهلة الصحابِّى الجليلَ أبا أمامة الصُّدَىَّ بنَ عَجْلان الباهلى رضى الله عنه:

١٥٧ـ فعن أبى أمامة رضى الله عنه قال: «بعثنى رسول الله ﷺ إلى قومى، أدعوهم إلى الله تبارك وتعالى، وأعرض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتُهم وقد سَقَوْا إبلهم، واحتلبوها، وشربوا، فلما رأونى قالوا: مرحباً بالصُّدَىِّ بن عَجْلان، وقالوا: بلغنا أنك صَبَوْت إلى هذا الرجل. قلت: لا، ولكن آمنتُ بالله وبرسوله، وبعثنى رسوله ﷺ إليكم، أعرض عليكم الإسلام وشرائعه[٢].

٥ ـ اختبار كفاءة المبعوث والاطمئنان على سلامة منهجه وجودة أدائه: فكان ﷺ ربَّما امتحن مبعوثه؛ ليكشف ذكاءه ومعرفته فإن أصاب وأحسن أثنى عليه وشجعه، تقديراً له وتشجيعا:

١٥٨ـ فعن معاذ بن جبلٍ رضى الله عنه قال: لما بعثنى النبى ﷺ إلى اليمن قال: «**كيف تقضى إذا عرَضَ لك قضاءٌ؟**» قال: أقضى بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «**فإن لم تجد فى سنة رسول الله ﷺ، ولا فى كتاب الله؟**». قال: أجتهد رأيى، ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره،

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأقضية، باب: كيف القضاء ٣/ ٣٠١ (٣٥٨٢)، وابن ماجه فى كتاب: الأحكام، باب: ذكر القضاة ٢/ ٧٧٤ (٢٣١٠)، وأحمد ١/ ٨٨، ١٣٦، ١٤٩، ١٥٦،وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٢/ ٣٣٧، من طرق ترفعه إلى الصحة، والله أعلم.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/ ٦٤١ ـ ٦٤٢ وسكت عليه، وعقَّب الذهبى بأن فيه صدقة بن هرمز، ضعفه ابن معين. وقد تابع صدقةَ عليه: بشير بن سريج ـ وهو ضعيف ـ عند الطبرانى فى الكبير ٨/ ٣٣٥ (٨٠٧٤)، كما تابعهما ـ بألفاظ مختلفه ـ الحسين بن واقد، عند الطبرانى فى الكبير ٨/ ٣٤٣ (٨٠٩٩). قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٨٧: «رواه الطبرانى بإسنادين، وإسناد الأولى حسن، فيها أبو غالب، وقد وُثق».

وقال: «**الحمد لله الذى وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسولَ الله**»[(١)].

وقد كانت هذه البعوث رسل خير، ومنارات هداية، حملت الرسالة بأمانة، وأدتها بغاية الضبط والإتقان، وفى حديث ضمام بن ثعلبة وافد بنى ثعلبة ما يدل على سلامة الأداء وإتقانه:

١٥٩ـ ففيه أنه قال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك. قال: «**صدق**». قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلواتٍ فى يومنا وليلتنا. قال: «**صدق**» قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهرٍ فى سنتنا ـ قال: «**صدق**». قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاعً إليه سبيلا. قال: «**صدق**»... الحديث[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأى فى القضاء ٣/ ٣٠٣ (٣٥٩٢، ٣٥٩٣)، والترمذى ـ وقال ليس إسناده عندى بمتصل ـ فى كتاب: الأحكام، باب: ما جاء فى القاضى كيف يقضى ٤/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧ (١٣٤٢، ١٣٤٣)، والدارمى فى المقدمة، باب: الفتيا وما فيه من الشدة ١/ ٧٢ (١٦٨)، وأحمد ٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢، والطيالسى ص ٧٦(٥٥٩)، والطبرانى فى الكبير ٢٠/ ٣٦٢ (١٧٠)، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٢/ ٤٣٧، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ١١٤، وابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» ٢/ ٨٤٤: ٨٤٦ (١٥٩٢: ١٥٩٤)، والخطيب فى «الفقيه والمتفقه» ١/ ١٨٨ ـ ١٨٩.

وقول الترمذى: «ليس إسناده عندى بمتصل»، لأنه من رواية الحارث بنِ عمرو، عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ، عن معاذ. قال ابن حجر: «أراد بنفى الاتصال المشْى على اصطلاح من يرى أن الإسناد إذا كان فيه مبهم ـ لم يُسَمَّ ـ يكون منقطعاً، وإلا فالجمهور على أنه متصل فى سنده مبهم» (النكت الظراف ٨/ ٤٢١ ـ ٤٢٢). وقد تكلَّم جماعة فى ردِّ هذا الحديث لهذا السبب، وصحَّحه آخرون، فقال ابن عبد البر فى الجامع ٢/ ٨٩٤: «وتكلم داود فى إسناد حديث معاذ، ودفعه من أجل أنه عن أصحاب معاذ، ولم يسمّوا. قال: وحديث معاذ صحيحٍ مشهور، رواه الأئمة العدول»، وقال الخطيب فى «الفقيه والمتفقه» ١/ ١٨٩: «وقد قيل: إن عُبادة بن نُسَىٍّ رواه عن عبد الرحمن بن غَنْمٍ عن معاذ، وهذا إسناد متصل، ورجاله معروفون بالثقة، على أن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم، كما وقفنا على صحة قول رسول الله ﷺ: «**لا وصية لوارث**» وقوله فى البحر «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»، وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد، لكن لما تلقتها الكافة عن الكافة غَنُوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها، فكذلك حديث معاذ، لما احتجوا به جميعا غنوا عن طلبِ الإسناد له». وقال ابن القيم فى «إعلام الموقعين» ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣: «فهذا حديث، وإن كان عن غير مسمَّين، فهم أصحاب معاذ، فلا يضره ذلك؛ لأنه يدل على شهرة الحديث، وأن الذى حدَّث به الحارث ابنِ عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ؛ لا واحدٍ منهم، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عنِ واحد لو سُمِّى، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذى لا يخفى، ولا يُعرف فى أصحابه متهمٌ ولا كذابٌ ولا مجروحٌ، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، ولا يشك أهل العلم بالنقل فى ذلك. كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث؟ وقد قال بعض أئمة الحديث: إذا رأيت شعبة فى إسناد حديث فاشدد يديك به». وقال ابن كثير فى التفسير ١/ ط دار الشعب: «هذا الحديث فى المسانيد والسنن بإسنادٍ جيد، كما هو مقرر فى موضعه».

(٢) سبق تخريجهَ برقمَ (١١٤).

فهذا يبيِّن مدى الصدق والدقة والضبط فى نقل الرسالة إلى مَنْ بُعِث أولئك الرسل رضى الله عنهم إليهم.

رابعاً: بَعْث الرسل بالكتب إلى الملوك وإلى المسلمين وإلى الناس فى قبائل العرب المختلفة: فقد أرسل النبى ﷺ كتباً إلى مختلف ملوك الأرض فى زمنه، يدعوهم إلى الإسلام، ويعرض عليهم الحق الذى جاء به، وبخاصة بعد صلح الحديبية، حين هدأت حدة المواجهة بينه ﷺ وبين قريش، حتى إنه ﷺ أخرج ستة نفرٍ بكتبٍ إلى الجهات المختلفة فى يومٍ واحد، وذلك فى المحرم سنة سبع من الهجرة، وأصبح كل رجلٍ منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم، وكان أول رسولٍ بعثه النبى ﷺ عمرو بن أمية الضمرى، رضى الله عنه، إلى النجاشى[١].

وقد تتبع ابن سعد فى كتابه «الطبقات الكبرى» هذه الكتب، وأسماء المبعوثين بها، والمبعوث إليهم، وما جاء فى كل كتاب من تلك الكتب، وما كان من ردِّ الملوك والأمراء الذين وصلتهم تلك الكتب والرسائل، وذلك تحت عنوان: «ذكر بعثة رسول الله ﷺ الرسل بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وما كتب به رسول الله ﷺ لناسٍ من العرب وغيرهم»[٢].

كما كتب النبى ﷺ إلى بعض المسلمين ببعض الأحكام الشرعية:

١٦٠ـ من ذلك حديث عبد الله بن عُكَيْم رضى الله عنه قال: «قُرِىء علينا كتاب رسول الله ﷺ بأرض جُهَيْنة، وأنا غلامٌ شابٌّ: **أن لا تستمتعوا من الميتة بإهابٍ[٣] ولا عصب**»[٤].

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٩٨.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ١٩٨: ٢٢١.

(٣) الإهاب: هو الجلد قبل الدِّباغ، والجمع: أُهُب، بضمتين. (النهاية ١/ ٨٣) والعَصَب: أطناب مفاصل الحيوانات، وهى شىء مدوَّر (النهاية ٣/ ٢٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود ـ بإسنادٍ صحيح ـ فى كتاب: اللباس، باب: من روى أن لا ينتفع بإهاب الميتة ٤/ ٦٧ (٤١٢٧)، والترمذى فى كتاب: اللباس، باب: ما جاء فى جلود الميتة إذا دبغت ٤/ ١٩٤ (١٧٢٩)، والنسائى فى كتاب: الفرع والعتيرة، باب: ما يدبغ به جلود الميتة ٧/ ١٧٥، وابن ماجه فى كتاب: اللباس، باب: من قال: لا ينتفع من الميتة بإهابٍ ولا عصب ٢/ ١١٩٤ (٣٦١٣)، وعبد الرزاق ١/ ٦٥ ـ ٦٦ (٢٠٢)، وأحمد ٤/ ٣١٠، ٣١١، والطيالسى صـ١٨٣ (١٢٩٣).

وكذلك كتب النبى ﷺ إلى عُمَّاله بما ينبغى عليهم فعله، وكتب للمصدِّقين الذين أرسلهم لجمع الصدقات. وقد أخرج الإمام أبو داود السجستانى رحمه الله فى سننه[(١)] بعضَ ما جاء فى كتبه ﷺ إلى عماله فى أنصبة الزكاة ومقاديرها.

(١) فى كتاب: الزكاة، باب: فى زكاة السائمة ٢/ ٩٦: ٩٩ (١٥٦٧: ١٥٧٠).

الفصل الخامس

السماع من غير النبى ﷺ عن النبى ﷺ

لم يكن من الممكن أن يكون كلُّ الصحابة مع النبى ﷺ فى كل الأحوال، وأن يتلقَّوْا عنه كل العلم، إذْ كانت لهم أعمالهم، وتجارتهم، وزراعتهم، كما لم يكونوا جميعاً من سكان المدينة المنورة، ومن ثَمَّ كان لابد أن يأخذ غائبهم عن حاضرهم، وأن يحمل بعضهم عن بعضٍ، وهم العدول الصادقون الذين لا يكذِّب بعضهم بعضاً، ولا يتهم بعضهم بعضا.

١٦١ ـ فعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «ما كلُّ الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يُحدِّثنا أصحابُنا عنه، وكانت تشغلُنا عنه رِعْيةُ الإبل»[١].

١٦٢ـ وفى رواية: «ما كلُّ الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدِّثنا أصحابُنا، وكنا مشتغلين فى رعاية الإبل».

وقال الحاكم: وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون ما يفوتُهم سماعُه من رسول الله ﷺ، فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظُ منهم، وكانوا يشدِّدون على مَنْ يسمعون منه»[٢].

١٦٣ـ وفى رواية ثالثة: «ليس كلُّنا كان يسمع حديثَ رسول الله ﷺ، كانت لنا ضَيْعَةٌ[٣] وأشغال، ولكنَّ الناس لم يكونوا يكذبون يومئذٍ، فيحدِّث الشاهدُ الغائب»[٤].

١٦٤ـ وعن حُمَيْدٍ الطَّويل، أنَّ أنسَ بنَ مالكٍ رضى الله عنه حدَّث بحديث عن رسول الله ﷺ، فقال رجلٌ: أنت سمعتَه من رسول الله ﷺ؟ فغضب غضباً شديداً، وقال: «والله ما كلُّ ما نحدِّثكم به سمعناه من رسول الله ﷺ، ولكن كان

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٣، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٥٤: «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الحاكم على شرط الشيخين فى المستدرك ١/ ٩٥، ووافقه الذهبى.

(٢) أخرجه الحاكم فى معرفة علوم الحديث صـ١٤ فى النوع الثالث وابن عدى فى الكامل ١/ ١٥٧.

(٣) الضَّيْعة: العقار والأرض المُغِلَّة. (القاموس المحيط صـ ٩٦٠).

(٤) أخرجه الرامهرمزى فى «المحدث الفاصل» صـ٢٣٥ (١٣٣)، والخطيب فى الجامع ١/ ١٧٤ (١٠٢)، وفى الكفاية صـ٥٤٨.

يحدِّث بعضُنا بعضاً، ولا يتّهم بعضنا بعضًا»[١].

١٦٥ـ وفى رواية: كنا مع أنس بن مالك رضى الله عنه، فقال: «والله ما كلُّ ما نحدِّثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكنْ لم يكنْ يُكذِّبُ بعضُنا بعضا»[٢].

١٦٦ـ وفى رواية أنه قال حين سئل: أنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟: «نعم، أو حدثني مَنْ لا يكذبني، والله ما كنا نكذب، ولا ندرى ما الكذب»[٣].

وكان النبيُّ ﷺ يحرِّضهم على ذلك، ويحثهم على أن يبلغ بعضهم بعضاً، فيقول: «**ليبلغ الشاهد الغائب**»[٤].

١٦٧ـ وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**إنِّى مُحدثُكم الحديثَ، فلْيُحدِّث الحاضرُ منكم الغائب**»[٥].

ولم يكن الصحابة رضى الله عنهم يلتزمون بذكر إسنادهم عن الصحابة الذين أخذوا عنهم، عن رسول الله ﷺ، بل كانوا ينسبون الحديث إلى رسول الله ﷺ مباشرة، فإذا سئلوا أو روجعوا ذكروا عمن سمعوا الحديث عن النبى ﷺ، وذلك لثقة بعضهم التامة فى بعض، ولتمام صدقهم، وظهور عدالتهم.

١٦٨ ـ فعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث قال: سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقص، ويقول فى قصته: «**مَنْ أدركه الفجر جُنُباً فلا يَصُمْ**»، فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (يعنى أباه) فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن، وانطلقتُ معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما، فسألهما عبد الرحمن عن ذلك، قال: فكلتاهما قالت: «كان النبى ﷺ يصبح جُنُباً من غير حُلم[٦]، ثم يصوم». قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان (يعنى

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٥٧٥، وسكت عليه هو والذهبى، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٧/ ٢١، والخطيب فى الجامع ١/ ١٧٤ ـ ١٧٥ (١٠٣).

(٢) أخرجه الطبراني فى الكبير١/ ٢٤٦ (٦٩٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٥٣: «رجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه البزاز (كشف الأستار) ٣/ ٣٥١ (٢٩٢٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٥٢: «رجاله ثقات» وأخرج نحوه ابن عدى فى الكامل ١/ ١٥٧.

(٤) سبق تخريجه برقم (٢٣)

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٣٩: «رجاله موثقون»، وأخرجه الرامهرمزى فى «المحدث الفاصل» صـ١٧١ (١٤).

(٦) من غير حُلُم، بضم الحاء، وبضم اللام وإسكانها: يعنى احتلام، والمراد: يصبح جُنُباً من جماعٍ، ولا يجنب من احتلام؛ لامتناعه منه (هامش صحيح مسلم ٢/ ٧٨٠).

ابن الحكم)، فذكر ذلك له عبد الرحمن، فقال: عزمتُ عليك إلا ذهبتَ إلى أبى هريرة، فرددْتَ عليه ما يقول. قال: فجئنا أبا هريرة ـ وأبو بكر حاضر ذلك كله ـ قال: فذكر له عبد الرحمن، فقال أبو هريرة: «أهما قالتاه لك؟» قال: نعم. قال: «هما أعلم».

ثم ردَّ أبو هريرة ما كان يقول فى ذلك إلى الفضل بن العباس رضى الله عنهما، فقال أبو هريرة: «سمعت ذلك من الفضل بن العباس، ولم أسمعه من النبى ﷺ» قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول فى ذلك[١].

ولعلَّ مثل هذا هو ما حَدَا بشعبة رحمه الله أن يقول: «كان أبو هريرة رضى الله عنه يُدلِّس»[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «وكأن شعبة يشير بهذا إلى حديثه: «**من أصبح جنباً فلا صيام له**» فإنه لما حُوقق عليه قال: أخبرنيه مخبر، ولم أسمعه من رسول الله ﷺ»[٣].

وتعقب الذهبى كلام شعبة، فقال: «تدليس الصحابة كثيرٌ، ولا عيب فيه، فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم، والصحابة كلهم عدول»[٤].

وقال ابن حبَّان رحمه الله: «وإنما قبلنا أخبار أصحاب رسول الله ﷺ ما رَوَوْها عن النبى ﷺ، وإن لم يبيِّنوا السماع فى كل ما رَوَوْا، وبيقين نعلم أن أحدهم ربَّما سمع الخبر عن صحابىٍّ آخر، ورواه عن النبى ﷺ من غيرِ ذكر ذلك الذى سمعه منه، لأنهم ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ كلهم أئمة سادة قادة عدول، نزَّه الله عز وجل أقدار أصحاب رسول الله ﷺ عن أن يُلْزَق بهم الوَهَن.

وفى قوله ﷺ: «**ألا لِيُبَلِّغ الشاهدُ منكم الغائب**» أعظمُ الدليل على أن

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٢/ ٧٧٩ ـ ٧٨٠ (٧٥/ ١١٠٩) ـ واللفظ له ـ والبخارى فى كتاب: الصيام، باب: الصائم يصبح جنبا ٤/ ١٤٣ (١٩٢٦)، ومالك فى كتاب: الصيام، باب: ما جاء فى صيام الذى يصبح جنباً فى رمضان ١/ ٢٩٠ (١١) بإبهام من أخبر أبا هريرة، وعبد الرزاق ٤/ ١٧٩ (٧٣٩٦)، وابن خزيمة ٣/ ٢٥٠ (٢٠١١)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار ٢/ ١٠٣، وابن حبان ٨/ ٢٦٢، ٢٦٣ (٣٤٨٦، ٣٤٨٨)، والبيهقى فى السنن الكبرى ٤/ ٢١٤، ٢١٥، وأحمد ٦/ ٢٠٣، ٢١٦، ٣٠٨، ٣١٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٦٠٨.

(٣) البداية والنهاية ٨/ ١٠٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣/ ٦٠٨.

الصحابة كلَّهم عدولٌ، ليس فيهم مجروحٌ ولا ضعيف، إذْ لو كان فيهم مجروح أو ضعيف أو كان فيهم أحدٌ غيرُ عَدْلٍ لاستثنى فى قوله ﷺ، وقال: ألا لِيُبَلِّغْ فلانٌ وفلانٌ منكم الغائب. فلما أجملهم فى الذكر بالأمر بالتبليغ مَنْ بعدهم؛ دلَّ ذلك على أنهم كلهم عدولٌ، وكفى بمن عدَّله رسول الله ﷺ شرفاً»[١].

وأحياناً يذكر الصحابيُّ الواسطة بينه وبين رسول الله ﷺ:

١٦٩ـ من ذلك حديث ابن عباس رضى الله عنهما، سمع عمر رضى الله عنه يقول على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ: «**لا تُطْرُونى[٢] كما أَطْرت النصارى ابنَ مريم، فإنما أنا عبدُه، فقولوا: عبد الله ورسولُه**»[٣].

ورواية الصحابة بعضهم عن بعض كثيرة تمتلىء بها الكتب، سواء ذكروا الواسطة أم لا:

١٧٠ـ قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه: «كُنَّا نغزو ونَدَعُ الرجلَ والرجلين لحديث رسول الله ﷺ، فنجىء من غزاتنا، فيحدثونا بما حدَّث به رسول الله، فنحدث به، نقول: قال رسول الله ﷺ»[٤].

وفضلاً عن أخذهم المباشر بعضهم عن بعضٍ، بعد حضور الشاهد منهم مجلس النبى ﷺ، أو أخذهم عن طريق سؤال بعضهم بعضا؛ فقد كانت هناك طرائق أخرى لتحمُّل بعضهم الرواية عن بعض سأذكرها فيما يلى:

١ـ التناوب فى حضور مجلس النبى ﷺ: بحيث يتفرغ بعضهم لحضور المجلس والصلاة وسماع الحديث والعلم، بينما يشتغل الآخر بمصالحه وأعماله، فإذا أمسَوْا حدَّث الشاهدُ الغائب بكل ما رأى وسمع من رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم، وفى اليوم الثانى يتبادلان المواقع، كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو وجاره الأنصارى:

---

(١) مقدمة الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) الإطراء: المدح بالباطل، تقول: أطريت فلاناً: مدحته فأفرطت فى مدحه (فتح البارى ٦/ ٤٩٠).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الأنبياء، باب: واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ٦/ ٤٧٨ (٣٤٤٥).

(٤) عزاه فى كنز العمال ١٠/ ٢٩٦ (٢٩٤٩٣) لابن أبى شيبة وابن عساكر.

١٧١- فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «كنتُ أنا وجارٌ لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد، وهى من عوالى المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره، وإذا نزل فعل مثلَ ذلك...» الحديث[١].

١٧٢- وفى رواية: «وكان لى صاحبٌ من الأنصار إذا غبتُ عن رسول الله ﷺ أتانى بالخبر، وإذا غاب كنتُ أنا آتيه بالخبر»[٢].

١٧٣- وفى رواية: وكان رجلٌ من الأنصار إذا غاب عن رسول الله ﷺ وشهدتُه أتيتُه بما يكون، وإذا غبتُ عن رسول الله ﷺ وشهد أتانى بما يكون من رسول الله ﷺ»[٣].

٢ - **سؤال من شهد الواقعة وحضرها:** كان الصحابة رضوان الله عليهم شديدى الحرص على الوقوف على كل ما يتصل برسول الله ﷺ، فإذا غابوا عن مشهد معين أحبوا أن يعرفوا تفاصيله ودقائقه، فيلجؤون إلى سؤال من حضر ذلك المشهد، والاستفسار منه عن تفاصيل ذلك الحدث، كما فعل عازب بن الحارث الأنصارى رضى الله عنه، حين سأل أبا بكر الصديق رضى الله عنه، عن تفاصيل رحلة الهجرة مع النبى ﷺ.

١٧٤- فعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «جاء أبو بكر رضى الله عنه إلى أبى فى منزله، فاشترى منه رَحْلاً، فقال لعازب: ابعثْ ابنَك يحملْه معى. قال: فحملتُه معه، فقال له أبى: يا أبا بكر، كيف صنعتما حين سَرَيْتَ مع رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، أسْرَيْنا ليلَتنا ومن الغد، حتى قام قائم الظَّهِيرة[٤]،

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: التناوب فى العلم ١/ ١٨٥ (٨٩)، وفى كتاب: المظالم، باب: الغرفة والعلية المشرفة ٥/ ١١٤ (٢٤٦٨)، وفى كتاب: النكاح، باب: موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ٩/ ٢٧٨ (٥١٩١)، ومسلم فى كتاب: الطلاق، باب: فى الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ٢/ ١١١٢ (١٤٧٩/ ٣٤)، والترمذى فى كتاب: التفسير، سورة التحريم ٥/ ٣٩٢ (٣٣١٨).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: التفسير، سورة التحريم ٨/ ٦٥٨ (٤٩١٣)، ومسلم فى الموضع السابق (١٤٧٩/ ٣١).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: اللباس، باب: ما كان النبى ﷺ يتجوز من اللباس والبسُط ١٠/ ٣٠١ (٥٨٤٣)، وفى كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق ١٣/ ٢٣٢ (٧٢٥٦).

(٤) قام قائم الظهيرة: جاء وقت زوال الشمس عن كبد السماء (انظر: النهاية ٣/ ١٦٤)، وسمى «قائم الظهيرة» لأن الظل لا يظهر حال استواء الشمس، فكأنه واقف قائم.

وخَلا الطريقُ لا يمرُّ فيه أحدٌ، فرُفعتْ لنا صخرة طويلةٌ لها ظلٌّ لم تأت عليه الشمس، فنزلنا عنده، وسَوَّيْتُ للنَبى ﷺ مكاناً بيدى ينام عليه، وبسطتُ عليه فروة. . .» فذكر الحديث فى قصة الراعى وقصة سراقة[1].

ومن ذلك سؤال ابن عباس لعمر رضى الله عنهما عن قصة المرأتين اللتين قال الله لهما ﴿**إن تتوبا إلى الله**﴾ [التحريم: ٤].

١٧٥ـ فعن ابن عباسٍ رضى الله عنهما قال: «لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضى الله عنه عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**﴾، فحجَجْتُ معه، فَعَدَل وعَدَلْتُ معه بالإِدَاوة[2]، فتبرَّز، حتى جاء، فسكبْتُ على يديه من الإداوة، فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبى ﷺ اللتان قال لهما ﴿**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**﴾؟ فقال: واعجبى لك يا ابن عباس! عائشة وحفصة. ثم استقبل الحديث يسوقه، فقال: إنى كنت وجارٌ لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد، وهى من عوالى المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبى ﷺ. . .» فذكر الحديث فى إيلاء النبى ﷺ من نسائه شهرًا، ثم نزول آية التخيير[3].

٣ ـ سؤال أكابر الصحابة وجمع ما عندهم من العلم والحديث عن النبي ﷺ:

فبعد انتقال النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى نشط بعض الصحابة، وبخاصة الصغار منهم كعبد الله بن عباس رضى الله عنهما، إلى جمع سنن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة ٦/ ٦٢٢ (٣٦١٥)، وفى كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم ٧/ ٨ (٣٦٥٢)، ومسلم فى كتاب: الزهد والرقائق، باب: فى حديث الهجرة ٤/ ٢٣٠٩ ـ ٢٣١١ (٢٠٠٩/ ٧٥)، وأحمد ١/ ٢ ـ ٣، وابن أبى شيبة فى المصنف ١٤/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩ (١٨٤٥٩)، وأبو يعلى ١/ ١٠٧ ـ ١٠٨ (١١٦)، وابن حبان ١٤/ ١٨٨ ـ ١٩١ (٦٢٨١)، والبيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٥، وأبو القاسم الأصبهانى فى دلائل النبوة ٢/ ٥٤٨ ـ ٥٥٠ (٥٧).

(٢) يعني مال إلى ناحية ليتبرز، ومِلْتُ أنا معه ومعى الإداوة، وهى بكسر الهمزة: إناء صغير من جلد، يتخذ للماء، وجمعها أَدَاوَى (النهاية ١/ ٣٣).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: المظالم، باب: الغرفة والعُلِّيَّة المشرفة وغير المشرفة ٥/ ١١٤ (٢٤٦٨)، (وانظر: أرقام ٨٩، ٤٩١٣، ٤٩١٤، ٤٩١٥، ٥١٩١، ٥٢١٨، ٥٨٤٣، ٧٢٥٦، ٧٢٦٣)، ومسلم فى كتاب: الطلاق، باب: فى الإيلاء، واعتزال النساء وتخييرهن ٢/ ١١٠٨ ـ ١١١٣ (١٤٧٩/ ٣٠ ـ ٣٤)، والترمذى فى كتاب: التفسير، سورة التحريم ٥/ ٣٩٢ (٣٣١٨)، والنسائى فى كتاب: الصوم، باب: كم الشهر ٤/ ١٣٧، وأحمد ١/ ٣٣ ـ ٣٤.

وأحاديثه من كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وتكبَّدوا فى سبيل ذلك المشاق الكثيرة، التى سهَّلَتْها هممهُم العالية، وعزائمهُم الماضية، وحرصُهم البالغ على الدين والسنة.

وأشهر مثالٍ لذلك الصحابى الجليل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما:

١٧٦ـ فعنه رضى الله عنه قال: «وجدتُ عامةَ علم رسول الله ﷺ عند هذا الحىِّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقيلُ[١] عند باب أحدهم، ولو شئتُ أن يُؤْذَن لى عليه لأذِن، ولكن أبتغى بذلك طِيب نفسه»[٢].

١٧٧ـ وفى رواية: «طلبت العلمَ، فلم أجده أكثر منه فى الأنصار، فكنتُ آتى الرجل منهم، فأسأل عنه، فيقال لى: نائم. فأتوسَّد ردائى، ثم أضطجع، حتى يخرج إلى الظهر، فيقول: متى كنتَ هاهنا يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ؟ فأقول: منذ طويل. فيقول: بئس ما صنعت، هلا أعْلَمْتَنى؟ فأقول: أردتُ أن تخرج إلىَّ وقد قضيتَ حاجتك»[٣].

١٧٨ـ وعنه رضى الله عنه قال: «إن كنتُ لأسألُ عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ»[٤].

١٧٩ـ وعنه رضى الله عنه قال: «لما فتحت المدائنُ أقبل الناسُ على الدنيا، وأقبلت على عمر، فكان عامّة حديثه عن عمر»[٥].

وربما دفعته هذه الهمة العالية إلى دعوة غيره من شباب المسلمين إلى متابعته فى تلقى العلم من الأكابر، جمعاً للسنة، وحفظاً لها، وحفاظاً عليها، حتى لا تموت بموت حامليها، ولا يؤثر فى عزيمته ولا يضع من همته أن لا تقبل دعوتُه،

---

(١) يعنى يجلس فى وقت القيلولة.

(٢) أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب بإسناد حسن فى كتاب العلم صـ٣١ ـ ٣٢ (١٣٣)، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٢/٣٦٨، والدارمى فى المقدمة، باب: الرحلة فى طلب العلم واحتمال العناء فيه ١/ ١٥٠ (٥٦٧)، والخطيب فى الجامع ١/٢٣٦ (٢٢٠). وانظر: جامع بيان العلم ١/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤ (٥٦٨).

(٣) أخرجه الدارمى فى الموضع السابق (٥٦٦).

(٤) قال الذهبى فى «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٤٤: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه البزار (كشف الأستار) ١/ ٩٤ (١٦٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٦١: «رجاله رجال الصحيح».

بل يمضى منفرداً يطلب العلم، ويجمع الحديث، حتى بلغ ما بلغ من العلم والفضل:

١٨٠ ـ فعنه رضى الله عنه قال: «لما توفى رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار ـ (وفى رواية: قلت لشاب من الأنصار) ـ: يا فلانُ، هلمَّ فلْنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير. فقال: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناسَ يحتاجون إليك، وفى الناس من أصحاب النبى ﷺ مَنْ ترى؟

فترك ذلك، وأقبلتُ على المسألة، فإن كان لَيَبْلُغنى الحديثُ عن الرجلِ، فآتيه، وهو قائل[1]، فأتوسَّد ردائى على بابه، فتسفى الريحُ على وجهى الترابَ، فيخرج، فيرانى، فيقول: يا ابن عمِّ رسول الله، ما جاء بك؟ ألاَ أرسلتَ إلىَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك. فأسأله عن الحديث.

قال: فبقى الرجل، حتى رآنى وقد اجتمع الناسُ علىَّ، فقال: كان هذا الفتى أعقلَ منى»[2].

وقد تابعَ ابن عباسٍ على هذا الصنيع مَنْ دونه من كبار التابعين والمخضرمين، ومن هؤلاء: الوليد بنُ عبادة بن الصامت رضى الله عنهما، وقد وُلد فى حياة النبى ﷺ.

١٨١ـ فعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: «خرجتُ أنا وأبى نطلب العلمَ فى هذا الحىِّ من الأنصار، قبل أن يهلكوا، فكان أولُ ما لقينا أبا اليَسَر صاحب رسول الله ﷺ، ومعه غلامٌ له». . فذكر سماعهما لحديثيْن منه، ثم قال: «ثم مضيناحتى أتينا جابرَ بنَ عبد الله» فذكر الحديث فى سماعهما سبعة أحاديث منه رضى الله عنه[3].

(١) يعنى نائماً فى وقت القيلولة.

(٢) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: الرحلة فى طلب العلم واحتمال العناء فيه ١/ ١٥١ (٥٧٠) وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨، والطبرانى فى الكبير ١٠/ ٢٩٩ (١٠٥١٢) وقال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٧٧: «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الحاكم ١/ ١٠٦ ـ ١٠٧، و ٣/ ٣٥٨، ووافقه الذهبى، وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ (٥٠٧)، والخطيب فى الجامع ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ (٢١٩)، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣، وإسناد الحديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: الزهد والرقائق، باب: حديث جابر الطويل وقصة أبى اليسر ٤/ ٢٣٠١: ٢٣٠٩ (٣٠٠٦: ٣٠١٤/ ٧٤). وأخرج أوله مع حديث أبى اليسر الأول: ابن حبان ١١/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ (٥٠٤٤)، والطبرانى فى الكبير ١٩/ ١٦٨ ـ ١٦٩ (٣٧٩)، والحاكم ٢/ ٢٨ ـ ٢٩، والبيهقى فى السنن=

وربما اختلف صحابيان فى مسألة، فتوجَّها بالسؤال إلى أحد كبار الصحابة، ليحدثهما بما سمع فى ذلك من النبى ﷺ، كما حدث بين عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وبين الحر بن قيس الفزارى رضى الله عنه، حين اختلفا فى صاحب موسى، فسألا أبىَّ بن كعب، فروى لهما ما سمع من النبى ﷺ فى ذلك:

١٨٢ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما، أنه تمارى[1] هو والحُرُّ بن قيسٍ بن حصن الفزارى فى صاحب موسى، قال ابن عباس: هو خَضِرٌ، فمرَّ بهما أُبَىُّ بن كعبٍ، فدعاه ابن عباس، فقال: إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذىَ سأل موسى السبيلَ إلى لُقِيِّه، هل سمعت النبى ﷺ يذكر شأنه؟.

قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما موسى فى ملإٍ من بنى إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا. فأوحى الله إلى موسى: بلى، عبدُنا خَضِرٌ، فسأل موسى السبيلَ إليه، فجعل الله له الحوت آية...**» الحديث[2].

٤ ـ رحلة بعضهم إلى بعض لسماع الحديث: كان الصحابة رضوان الله عليهم يرحل بعضهم إلى بعض المسافات الطويلة؛ لسماع الحديث، أو للتثبت والتأكُّد منه.

فمن رحلتهم لسماع الحديث: ما فعله جابر بن عبد الله، حيث رحل مسيرة شهرٍ إلى عبد الله بن أُنَيْسٍ فى حديثٍ واحد[3]:

١٨٣ ـ فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أنه بلغه حديثٌ عن رجلٍ من أصحاب النبى ﷺ، فابتعتُ بعيرًا، فشددتُ إليه رَحْلى شهراً، حتى قدمتُ الشام،

= الكبرى ٥/ ٣٥٧ ـ كما أخرج أحاديث أبى اليسر وجابر الأخرى كثير من المصنفين كأبى داود وابن حبان وأبى نعيم فى الحلية وفى الدلائل وغيرهم.

(١) تمارى: تجادل. (فتح البارى ١/ ١٦٩).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: ما ذكر فى ذهاب موسى فى البحر إلى الخضر ١/ ١٦٨ (٧٤)، وانظر أرقام (٧٨، ١٢٢، ٢٢٦٧، ٢٧٢٨، ٣٢٧٨، ٣٤٠٠، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٧، ٦٦٧٢، ٧٤٧٨)، ومسلم فى كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام ٤/ ١٨٥٢ ـ ١٨٥٣ (٢٣٨٠/ ١٧٤).

(٣) ذكره البخارى تعليقاً فى كتاب: العلم، باب: الخروج فى طلب العلم ١/ ١٧٣.

فإذا عبد الله بن أُنَيْس[١] فبعثتُ إليه أن جابراً بالباب، فرجع الرسول، فقال: جابرُ ابن عبد الله؟ فقلت: نعم، فخرج، فاعتنقنى. قلت: حديث بلغنى، لم أسمعه، خشيتُ أن أموت أو تموت. قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**يحشر اللهُ العباد ـ أو الناس ـ عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا...**» الحديث[٢].

ومن رحلتهم لتأكيد الحفظ وتثبيت المسموع وضبطه: رحلة أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى رضى الله عنه إلى عقبة بن عامر رضى الله عنه، فى حديث الستر على المسلم:

١٨٤ـ فعن أبى سعد الأعمى أنه حدَّث عطاء بن أبى رباح قال: «رحل أبو أيوب الأنصارىُّ إلى عقبة بن عامر، فأتى مسلمة بن مُخَلَّد، فخرج إليه، فقال: دُلُّونى، فأتى عقبة بنَ عامرٍ، فقال: حدِّثْنا ما سمعتَ من رسول الله ﷺ، لم يبق أحدٌ سمعه ـ وفى رواية: لَم يبق أحد سمعه غيرى وغيرك ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ستر على مؤمنٍ فى الدنيا ستره اللهُ يوم القيامة**». فأتى راحلتَه، فركب ورجع»[٣].

١٨٥ـ ومن ذلك: ما رواه عبد الله بن بُرَيْدة: «أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ رحل إلى فضالة بن عُبَيْد، وهو بمصر، فقدم عليه، وهو يَمُدُّ لناقة له[٤]، فقال: مرحباً. قال: أما إنى لم آتكَ زائراً، ولكن سمعتُ أنا وأنت حديثاً من رسول الله ﷺ، رجوتُ أن يكون عندك منه علم. قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا»[٥].

فهذه الأحاديث وغيرها دالَّةٌ على ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الحرص على جمع وتحصيل السنن النبوية، مهما كلَّفهم ذلك من عناءٍ ورحلة وبحث ومشقة، فجزاهم الله عنا وعن السنة المباركة خير الجزاء.

(١) فى بعض طرق الحديث: حتى قدمت مصر.

(٢) سبق تخريجه برقم (٧٣).

(٣) أبو سعد الأعمى مجهول، والإسناد ضعيف لأجله، والحديث أخرجه أحمد ٤/ ١٥٣، ١٥٩، والحميدى فى المسند ١/ ١٨٩ ـ ١٩٠ (٣٨٤)، والحاكم فى معرفة علوم الحديث صـ٧ ـ ٨ والخطيب فى الرحلة صـ١١٨ (٣٤)، وفى الأسماء المبهمة صـ٦٣ ـ ٦٤ (٣٧)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٩٢ (٥٦٧) وللحديث طرق يرتقى بها إلى الحسن. انظر «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» بتحقيقى ١/ ١٥٦ ـ ١٥٧ الخبر رقم (٢٢).

(٤) يعنى يملأ كفيه بالطعام ويمدها للناقة؛ ليعلفها.

(٥) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: الرحلة فى طلب العلم واحتمال العناء فيه ١/ ١٥١ (٥٧١)، وأبو داود فى كتاب: الترجل، ٤/ ٧٥ (٤١٦٠).

٥ ـ **مذاكرة بعضهم العلم مع بعض**: من أهم أسباب تحصيل العلم وحفظه: مدارسته ومذاكرته فيما بين طلبته، ومن ثَمَّ كان الصحابة رضى الله عنهم حريصين على هذا الأمر، داعين إليه، موجِّهين طلابَ العلم إلى القيام به:

١٨٦ـ فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «تذاكروا هذا الحديث وتزاوروا، فإنكم إن لم تفعلوا يَدْرُس»[١].

وروى مثلُ ذلك عن ابن مسعود[٢]، وابن عباس[٣]، وأبى سعيد الخدرى[٤]، وفَضَالة بن عُبيد[٥]، رضى الله عنهم أجمعين، وذلك لما فى المدارسة والمذاكرة من حفظ العلم وإحيائه، واكتساب الجديد منه، وغير ذلك من الفوائد المهمة.

وقد كانت المذاكرةُ باباً من أبواب تحمُّل الصحابة للسُّنَّة، فيسمعُ أحدهم فى مجلس المذاكرة ما غاب عنه سماعُه من النبى ﷺ.

١٨٧ـ فمن ذلك ما رواه أبو وائل شقيق بن سلمة، عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما، «أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ فى الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال. قال: هات، إنك لجرىء. قال: قال رسول الله ﷺ: «**فتنة الرجل فى أهله وماله وجاره تَكفِّرها الصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهى عن المنكر**».

قال (يعنى عمر): ليست هذه، ولكن التى تموج كموج البحر. قال: يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: يُفْتَح أو يُكْسَر؟ قال: لا، بل يُكْسَر. قال: ذلك أحرى أنْ لا يُغْلَق. قلنا: عَلِم الباب؟ قال: نعم،

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: مذاكرة العلم ١/١٥٨(٦٢٦)، وابن أبى شيبة ٨/٥٤٥ (٦١٨٥)، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٤٥ (٧٢١)،والحاكم فى معرفة علوم الحديث صـ١٤١، والخطيب فى الجامع ١/ ٣٦٤ (٤٦٧، ٤٦٨)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٤٢٢ (٦٢٣، ٦٢٤) و ٤٤٣ (٦٨٧)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الدارمى فى الموضع السابق (٦١٩)، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٤٦ (٧٢٦)،والحاكم فى معرفة علوم الحديث صـ١٤١،وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٤٢٤ (٦٢٨)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الدارمى فى الموضع السابق ١/ ١٥٥ ـ ١٥٦ (٦٠٠ ـ ٦٠١)، وأخرجه الرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٤٧ (٧٢٨، ٧٢٩)، والخطيب فى الجامع ١/ ٣٦٤ (٤٦٩).

(٤) أخرجه الدارمي فى الموضع السابق ١/ ١٥٥ (٥٩٥: ٥٩٨)، وابن أبى شيبة ٨/٥٤٥، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٤٥ ـ ٥٤٦ (٧٢٢ ـ ٧٢٣)، وعزاه الهيثمى فى المجمع ١/١٦١ للطبرانى فى الأوسط وقال: «رجاله رجال الصحيح»،والحاكم فى معرفة علوم الحديث صـ١٤٠، والخطيب فى الجامع ١/ ٣٦٥ (٤٧٠)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٤٢٣ (٦٢٦)، وإسناده صحيح.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٩/ ٢٩٩ (٧٦٧)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٦١: «رجاله موثقون».

كما أنَّ دون غدٍ الليلةَ، إنِّى حدثتُه حديثاً ليس بالأغاليط. فهِبْنا أن نسأله، وأمرْنا مسروقاً فسأله، فقال: من الباب؟ قال: عمر»[١].

١٨٨ـ ومن ذلك ما روى أبو محمد البجلى، قال: «التقى علىٌّ بن أبى طالب وكعب الأحبار، فقال كعب: يا علىُّ، أسمعت رسولَ الله ﷺ يقول فى المنجِّيات؟ قال: ولكن سمعتُه يقول فى الموبقات. فقال كعبٌ لعلىٍّ: حدِّثْنى بالموبقات حتى أحدثك بالمنجيات. فقال علىٌّ رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الموبقات: تركُ السُّنَّة، ونَكْثُ البيعة**[٢]**، وفراق الجماعة**». فقال كعبٌ لعلىٍّ: المنجيات: كَفُّ لسانك، وجلوسٌ فى بيتك، وبكاؤك على خطيئتك»[٣].

١٨٩ـ ومن ذلك: ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال: جلسنا مع عمر رضى الله عنه، فقال: هل سمعت عن رسول الله ﷺ شيئاً أَمَرَ به المرء المسلم إذا سَهَا فى صلاته، كيف يصنع؟ فقلت: لا، والله، أَوَمَا سمعتَ أنت يا أمير المؤمنين من رسول الله ﷺ فى ذلك شيئاً؟ فقال: لا والله.

فبينا نحن فى ذلك أتى عبدُ الرحمن بنُ عوف، فقال: فيم أنتما؟ فقال عمر: سألته. فأخبره، فقال له عبد الرحمن: لكنى قد سمعتُ رسول الله ﷺ يأمر فى ذلك. فقال له عمر: فأنت عندنا عَدْلٌ، فماذا سمعت؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سَهَا أحدُكم فى صلاته، حتى لا يدرى أزاد أم نقص، فإن كان شَكَّ فى الواحدة والثنتين فليجعلها واحدة، وإذا شكَّ فى الثنتين أو الثلاث فليجعلها ثنتين، وإذا شكَّ فى الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثاً، حتى يكون الوهم فى الزيادة، ثم يسجد سجدتين، وهو جالس، قبل أن يسلِّم، ثم يسلِّم**»[٤].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفارة ٢/٨(٥٢٥)، وفى كتاب: الزكاة (١٤٣٥)، وكتاب: الصوم (١٨٩٥)، وكتاب: المناقب (٣٥٨٦)، وكتاب: الفتن (٧٠٩٦)، ومسلم فى كتاب: الفتن، باب: فى الفتنة التى تموج كموج البحر ٢/٢٢١٨ (١٤٤/٢٦ ـ ٢٧) ، والترمذى فى كتاب الفتن٤/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ (٢٢٥٨)،وابن ماجه فى الفتن، باب: ما يكون فى الفتن٢/ ١٣٠٥(٣٩٥٥). .

(٢) نكث البيعة: نقضها. (انظر: النهاية ٥/ ١١٤).

(٣) أخرجه الرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٩٢ (٨٤٥).

(٤) أخرجه أحمد ١/ ١٩٠ بلفظ قريب، وأخرجه من غير قصة المذاكرة: الترمذى ـ وقال: حسن غريب صحيح ـ فى كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فى الرجل يصلى فيشك فى الزيادة والنقصان ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ (٣٩٨)، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء فيمن شك فى صلاته ١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ (١٢٠٩)، وصححه الحاكم ١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، ووافقه الذهبى.

وأخرجه الذهبى بتمامه بسنده فى سير أعلام النبلاء ١/ ٧١ ـ ٧٢ وقال: «هذا حديث حسن، صححه الترمذى»، واللفظ للذهبى.

وهكذا كانت المدارسة والمذاكرة للحديث سبباً من أسباب تحمُّل الصحابة بعضهم عن بعض، رضى الله عنهم أجمعين.

٦ ـ **مكاتبة بعضهم بعضاً:** من المعلوم أن الصحابة تفرقوا فى الأمصار المختلفة، ولم يكن بإمكان كثير الرحلة لسماع الحديث من إخوانهم من الصحابة، فكاتب بعضُهم بعضاً فى شأن تلقِّى حديث النبى ﷺ.

١٩٠ ـ فمن ذلك ما رواه وَرَّادٌ كاتب المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: اكتُبْ إلىَّ بشىء سمعته من رسول الله ﷺ يقول فى دُبُر صلاته فكتب إليه: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى دُبُر صلاته إذا قضاها: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، بيده الخير، وهو على كل شىء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيتَ، ولا مُعْطِىَ لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجدُّ**»[١].

١٩١ ـ وفى رواية أخرى قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: أن اكتب إلىَّ بشىء سمعتَه من النبى ﷺ، فكتب إليه: سمعت النبى ﷺ يقول: «**إن الله كره لكم ثلاثاً، قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[٢].

وقد استمرت هذه السنة فيما بعد، بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فكتب بعضهم إلى بعض يطلب بعض الأحاديث، ويرويها.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الأذان، باب: الذكر بعد الصلاة ٢/ ٣٢٥ (٨٤٤) وانظر (٦٣٣٠، ٦٤٧٣، ٦٦١٥، ٧٢٩٢)، ومسلم ـ واللفظ له ـ فى كتاب: المساجد، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ١/ ٤١٤ ـ ٤١٥ (٥٩٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨)، وأبو داود فى كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا سلم ٢/ ٨٢ (١٥٠٥)، والنسائى فى كتاب: السهو، باب: نوع آخر من القول عند انقضاء الصلاة ٣/ ٧٠، وأحمد ٤/ ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٤، والحميدى ٢/ ٣٣٧ (٧٦٢) وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» صـ٦١ (١١٥)، والخطيب فى الكفاية صـ٥٤٠.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ ٣/ ٣٤٠ (١٤٧٧).

آداب الصحابة فى تحمُّل بعضهم عن بعض:

كان الصحابة رضوان الله علهيم شديدى الحرص على جمع السنة وحفظها، وتحلَّوْا فى سبيل ذلك بالآداب الكريمة التى تحقق لهم هذا الغرض العظيم، وهاكَ بعض هذه الآداب.

١ ـ التأدُّب والترفُّق مع مَنْ يسمعون منه العلم: وهذا واضح تمام الوضوح فى فعل عبد الله بن عباس الذى كان لا يوقظ الرجلَ القائلَ ليسمع منه، وينتظر على بابه حتى يخرج للصلاة، فيمشى معه، ويسأله، ويسمع منه.

بل كان ابن عباس رضى الله عنهما يفعل ما هو أكثر من ذلك فى التواضع لشيوخه من الصحابة رضوان الله عليهم، حتى ليمسك بركاب بعضهم، توقيراً واحتراما:

١٩٢ـ فعن أبى سلمة، عن ابن عباسٍ رضى الله عنهما: «أنه أخذ لزيد بن ثابت بالرِّكاب، فقال: تَنَحَّ يا ابن عم رسولِ الله ﷺ. فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا»[(١)].

١٩٣ـ وعن الشعبى قال: «أمسك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت، فقال: أتمسك لى، وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟ قال: إنا هكذا نصنع بالعلماء»[(٢)].

١٩٤ـ وفى رواية قال: «صلى زيد بن ثابت على جنازةٍ، ثم قُرِّبَتْ له بغلةٌ ليركبها، فجاء ابن عباس، فأخذ بركابه، فقال له زيد: خَلِّ عنه يا بن عمِّ رسول الله ﷺ. فقال ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء».

قال ابن عبد البر: «وزاد بعضهم فى هذا الحديث: إن زيد بن ثابت كافأ ابن عباس على أخذه بركابه أن قبَّل يده، وقال: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

وهذه الزيادة من أهلِ العلم من ينكرها، والجنازة كانت جنازة أم زيد بن ثابت، صلَّى عليها زيدٌ وكبَّر أربعاً، وأخذ ابن عباسٍ بركابه يومئذ»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن سعد ـ بإسناد حسن ـ فى الطبقات الكبرى ٢/ ٣٦٠، وصححه الحاكم ٣/ ٤٢٣، ووافقه الذهبى، وأورده ابن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٤٥١، ٤٥٢)، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٧.

(٢) أخرجه ابن سعد ـ بإسناد صحيح ـ فى السابق ٢/ ٣٦٠، والخطيب فى الجامع ١/ ٢٨٣ (٣١٠) واللفظ له و (٣١١)، وفى الفقيه والمتفقه ٢/ ٩٩.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥١٤ (٨٣٢).

١٩٥ـ وعن الحسن قال: «أتى ابنُ عباسٍ يأخذ بركاب أُبَيِّ بن كعب، فقيل له: أنت ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، تأخذ بركاب رجلٍ من الأنصار؟! فقال: إنه ينبغى للحَبْرِ أن يُعظَّم ويُشَرَف»[١].

٢ ـ التثبُّت والاحتياط فى التحمُّل: لا يعنى تواضع الصحابة وتأدُّبهم فى سماع بعضهم من بعض؛ أنهم كانوا يحملون ما يسمعون من غير تثبُّت وتأكُّد، بل كانوا شديدى الحرص على ذلك؛ خشية أن يحدث خطأ أو غلط، واحتياطاً لسنة النبي ﷺ، وتعليما لمن بعدهم بضرورة التثُّبت عند التحمل وعند الأداء.

قال الإمام الذهبى رحمه الله: «كان (أبو بكر رضى الله عنه) أول من احتاط فى قبول الأخبار:

١٩٦ـ فروى ابن شهاب، عن قَبِيصة بن ذُؤيب: أن الجدةَ جاءتْ إلى أبى بكر تلتمس أن تُوَرَّث، فقال: «ما أجدُ لكِ فى كتاب الله شيئاً، وما علمتُ أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً»، ثم سأل الناس، فقام المغيرة (بن شعبة) فقال: حضرتُ رسول الله ﷺ يعطيها السدس. فقال له: هل معك أحدٌ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضى الله عنه»[٢].

وهذا من الصديق رضوان الله عليه من باب التثبت والتحرى فى الأخبار، وليس سداً لباب الرواية. قاله الذهبى[٣].

وقال رحمه الله فى ترجمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «وهو الذى سنَّ للمحدِّثين التثبتَ فى النقل، وربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب»[٤].

١٩٧ـ واستدل لذلك بما رواه أبو سعيد الخدريُّ رضى الله عنه قال: «كنتُ فى مجلسٍ من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى (الأشعرى رضى الله عنه) كأنه مذعور[٥]، فقال: أستأذنتُ على عمر ثلاثاً، فلم يُؤْذَن لى، فرجعتُ فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنتُ ثلاثاً فلم يؤذن لى، فرجعتُ، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا**

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ١/ ٢٨٤ (٣١٢).

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٢، والحديث أخرجه أبو داود فى كتاب: الفرائض، باب: فى الجدة ٣/ ١٢١ (٢٨٩٤)، والترمذى فى كتاب: الفرائض، باب: ما جاء فى ميراث الجدة ٤/ ٤١٩ ـ ٤٢٠ (٢١٠٠ ـ ٢١٠١)، وابن ماجه فى كتاب: الفرائض باب: ميراث الجدة ٢/ ٩٠٩ ـ ٩١٠ (٢٧٢٤)، ومالك فى الموطأ فى كتاب: الفرائض، باب: ميراث الجدة صـ٤٠٧ (٤)، والحاكم فى معرفة علوم الحديث صـ١٥، والخطيب فى الكفاية صـ٢٦.

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣.

(٤) السابق ١/ ٦.

(٥) مذعور: فزع وخائف، والذَّعْر: الفزع. (انظر: النهاية ٢/ ١٦١).

استأذن أحدُكم ثلاثاً فلم يُؤْذَن له فليرجع». فقال: والله لتقيمن عليه ببينة - وفي رواية: أقمْ عليه البينة، وإلاّ أوجعْتُك - أمنْكُم أحدٌ سمعه من النبى ﷺ؟ فقال أُبَىُّ ابن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغرُ القوم. فكنتُ أصغرَ القوم، فقمتُ معه، فأخبرتُ عمر أن النبىَّ ﷺ قال ذلك».

زاد فى رواية: «فقال عمر لأبى موسى: أما إنى لم أتَّهِمْك، ولكن خَشِيتُ أن يتقوَّل الناسُ على رسول الله ﷺ»[1].

وقال رحمه الله تعالى فى ترجمة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: «كان إماماً عالماً متحرياً فى الأخذ، بحيث إنه يستحلف من يحدِّثه بالحديث»[2].

١٩٨- وهو يشير بذلك إلى ما رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: كنتُ رجلاً إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثًا نفعنى الله منه بما شاء أن ينفعنى، وإذا حدَّثنى أحدٌ من أصحابه استحلفتُه، فإذا حلف لى صدقتُه. قال: وحدثنى أبو بكر، وصدق أبو بكر رضى الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يذنب ذنباً، فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غُفر له» ثم قرأ هذه الآية ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾[3] الآية [آل عمران: ١٣٥].

١٩٩- ومن ذلك: ما رواه أبو أمامة الباهلىُّ رضى الله عنه قال: قال عمرو بن عَبْسةَ السُّلَمى رضى الله عنه: «كنتُ - وأنا فى الجاهلية - أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شىء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعتُ برجلٍ بمكة يخبر أخباراً، فقعدتُ على راحلتى، فقدمتُ عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جُرآء -

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً ١١/ ٢٦ - ٢٧ (٦٢٤٥)، ومسلم فى كتاب: البر والصلة والآداب، باب: الاستئذان ٣/ ١٦٩٤ - ١٦٩٦ (٢١٥٣/ ٣٣: ٣٦) وأبو داود فى كتاب: الأدب، باب: كم مرة يسلِّم الرجل ٤/ ٣٤٥: ٣٤٧ (٥١٨٠: ٥١٨٤)، والترمذى فى كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء فى الاستئذان ثلاثا ٥/ ٥٣ - ٥٤ (٢٦٩٠)، وابن ماجه فى كتاب: الأدب، باب: الاستئذان ٢/ ١٢٢١ (٣٧٠٦)، والدارمى فى كتاب: الاستئذان، باب: الاستئذان ثلاثاً ٢/ ٣٥٥ (٢٦٢٩)، وأحمد ٤/ ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤١٠، ٤١٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ١٠. وانظر: معرفة علوم الحديث للحاكم صـ١٥.

(٣) أخرجه أحمد - بإسناد صحيح - ١/ ١٠، وأبو داود - واللفظ له - فى كتاب: الصلاة، باب: فى الاستغفار ٢/ ٨٦ (١٥٢١)، والترمذى فى كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فى الصلاة عند التوبة ٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨ (٤٠٦)، وفى كتاب: التفسير، باب: ومن سورة آل عمران ٥/ ٢٢٨ (٣٠٠٦)، وابن ماجه فى كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء أن الصلاة كفارة ١/ ٤٤٦ (١٣٩٥)، والطيالسى صـ٢ (١)، وابن المبارك فى الزهد ص ٣٨٥ (١٠٨٨) وصححه ابن حبان ٢/ ٤٠٩ (٦٤٣)، وأخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٦٨، وحسنه الذهبى فى تذكرة الحفاظ ١/ ١١.

وفى رواية: حِرَاء[١] ـ عليه قومُه، فتلطَّفْتُ حتى دخلتُ عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «نبى». فقلت: وما نبى؟ قال: «أرسلنى الله». فقلت: وبأى شيء أرسلك؟ قال: «أرسلنى بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحَّد اللهُ لا يُشْرَك به شيء» فذكر الحديث فى إسلامه، ثم قدومه على النبى ﷺ فى المدينة بعد ذلك، وإخباره عن مواقيت الصلاة، وعن فضيلة الوضوء، إلى أن قال:

«فحدَّث عمرُو بنُ عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحبَ رسول الله ﷺ، فقال له أبو أمامة: يا عَمْرَو بنَ عبسة، انظر ما تقول. فى مقامٍ واحد يُعْطَى هذا الرجلُ؟ فقال عمرو: يا أبا أمامة، لقد كبرتْ سنىٍّ، ورقَّ عظمىِ، واقترب أجلى، وما بى حاجة أن أكذب على الله، ولا على رسول الله ـ لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلاَّ مرَّةً أو مرَّتين أو ثلاثاً (حتى عدّ سبع مرات) ما حدَّثْتُ به أبداً، ولكنى سمعتُه أكثرَ من ذلك»[٢].

١٩٩ـ ومن ذلك أيضا ما روى عمرو بن أبى سفيان بن أسيد الثقفى أن أبا هريرة قال لكعب الأحبار: إن نبى الله ﷺ قال: «**لكل نبى دعوة يدعوها، فأنا أريد إن شاء الله أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة**». فقال كعب لأبى هريرة: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال أبو هريرة: «نعم»[٣].

وهكذا كان الخلفاء وسائر الصحابة يتثبتون فى الأخذ، ويحتاطون فى التحمل، احتياطاً للدين، وحفاظاً على السنة[٤].

---

(١) جرآء: جمع جرىء من الجراءة وهى الإقدام والتسلط. و«حِرَاء» بالحاء المهملة المكسورة، ومعناه: غضاب، ذوو غم، قد عِيلَ صبرهم به، حتى أثر فى أجسامهم، من قولهم «حَرَى جسمُه يَحْرِى» كضرب يَضرب، إذا نقص من ألم وغيره. والصحيح أنه بالجيم (انظر: شرح النووى ٦/ ٣٦٣، والنهاية ١/ ٢٥٣، ٣٧٥).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: صلاة المسافرين، باب: إسلام عمرو بن عبسة ١/ ٥٦٩ ـ ٥٧١ (٨٣٢/ ٢٩٤)، وأحمد ٤/ ١٢٢، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٤/ ٢١٥، ٢١٧.

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: الإيمان، باب لكل نبى دعوة يدعوها ١/ ١٨٩ (١٩٨/ ٣٣٧)، وأخرج القصة عن القاسم بن محمد: أحمد ٢/ ٢٧٥، وابن منده فى الإيمان (٩٠٠).

وقد روى أبو هريرة الحديث من غير حواره مع كعب فى نفس الموضع (١٩٨/ ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦) و (١٩٩/ ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠)، وأخرجه البخارى فى كتاب: الدعوات، باب: لكل نبى دعوة مستجابة ١١/ ٩٦ (٦٣٠٤)، وفى كتاب: التوحيد، باب: فى المشيئة والإرادة ١٣/ ٤٤٧ (٧٤٧٤)، والترمذى فى كتاب: الدعوات، باب: فصل لا حول ولا قوة إلا بالله ٥/ ٥٨٠ (٣٦٠٢)، ومالك فى كتاب: القرآن، باب: ما جاء فى الدعاء ١/ ٨٦ (٢٦)، وأحمد ٢/ ٢٧٥، ٣١٣، ٣٨١، ٣٩٦، ٤٠٩، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٨٦، والدارمى فى كتاب: الرقاق، باب: إن لكل نبى دعوة ٢/ ٤٢٢ (٢٨٠٦).

(٤) انظر ما كتبه الدكتور محمد عجاج الخطيب فى «السنة قبل التدوين» صـ٩٢ وما بعدها تحت عنوان: «احتياط الصحابة والتابعين فى رواية الحديث»، فهو فصل مهم نفيس.

٣ ـ سؤال أهل العلم قبل تحمُّل ما لم يسمعوه: فكان الصحابة رضى الله عنهم إذا سمع أحدهم من الآخر حديثاً لم يسمعه هو من رسول الله ﷺ مع توفر الدواعى لسماعه ومعرفته، كأن يكون الحديث فى مسألة شائعة أو أمر عام؛ فإنهم كانوا يتثبتون بسؤال مَنْ يُظنّ أنه عنده من ذلك علماً، ولم يكونوا يفعلون ذلك لشك بعضهم فى صدق بعض، كلا، بل لتمام التثبت والتأكد والضبط.

٢٠١ ـ من ذلك ما رواه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه «أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إذا طلع خَبَّابٌ صاحب المقصورة[١]، فقال: يا عبد الله بن عمر، ألا تسمع ما يقول أبو هريرة، إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«من خرج مع جنازة من بيتها، وصلى عليها، ثم اتبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر، كلُّ قيراطٍ مثلُ أُحُد، ومَنْ صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثلُ أحد»؟!**

فأرسل ابنُ عمر خبَّاباً إلى عائشة رضى الله عنها يسألها عن قول أبى هريرة، ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت، وأخذ ابن عمر قبضةً من حصباء المسجد يقلِّبُها فى يده، حتى رجع إليه الرسول، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة.

فضرب ابنُ عمر بالحصى الذى كان فى يده الأرضَ، ثم قال: لقد فَرَّطْنا فى قراريط كثيرة»[٢].

٢٠٢ـ زاد فى رواية أخرى للقصة: «فقال أبو هريرة: إنه لم يكن يشغلنا عن رسول الله ﷺ غَرْسٌ ولا صَفْقٌ[٣] بالأسواق، إنما كنت أطلبُ من رسول الله ﷺ كلمةً يُعَلِّمنيها، أو أكْلة[٤] يطعمنيها. فقال ابنُ عمر: يا أبا هريرة، كنتَ ألزمَنا لرسول الله ﷺ، وأعلمَنا بحديثه»[٥].

---

(١) خَبَّاب هذا هو ابن السائب.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الجنائز، باب: فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ٢/ ٦٥٣ ـ ٦٥٤ (٥٦/٩٤٥).

(٣) الصَّفْق: البيع والشراء، وأصله: من الضرب باليد، لأن المتبايعين يضرب كل منهما يده على يد الآخر. (انظر مادة «صفق» فى الصحاح ٤/ ١٥٠٧).

(٤) الأُكْلة: اللقمة، وبالفتح: المرة من الأكل (انظر: النهاية ١/ ٥٧، ٥٨).

(٥) صححه الحاكم ٣/ ٥١٠ ـ ٥١١، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ٢/ ٣٦٣.

وروى الترمذى كلام ابن عمر فى آخر الحديث فقط فى كتاب المناقب: باب: مناقب لأبى هريرة رضى الله عنه ٥/ ٦٨٤ (٣٨٣٦) وقال: حديث حسن».

وأصل القصة فى البخارى فى كتاب: الجنائز، باب: فضل اتباع الجنائز ٣/ ١٩٢ (١٣٢٣ ، ١٣٢٤).

الفصل السادس

كتابة الصحابة الحديث عن النبى ﷺ

كانت كتابةالسنة إحدى وسائل الحفظ لها عند الصحابة رضى الله عنهم، وإن لم تكن هى الأساس، بل كان الاعتماد الأساسيُّ على الحفظ والذاكرة، ولم تكن الكتابة للسنة شائعةً بمثل شيوع كتابة القرآن، لكنها ثابتة ثبوتًا متواتراً يقطع بحدوثها فى عهد النبى ﷺ بعلمه، وبإذنه، وبأمره، كما سنرى.

وقد جاء عن رسول الله ما يفيد النهى عن الكتابة، فحمل جماعة من الصحابة ثم من التابعين النهى على ظاهره، وكرهوا أن يُكْتَب شىءٌ من الحديث وغيره فى الصحف، وشدَّدوا فى ذلك.

وأجاز أكثر الصحابة والتابعين، ثم أجمع سائر العلماء بعد ذلك على الكتابة.

٢٠٣ ـ فأما ما استدلَّ به المانعون فأصح حديث مرفوع فى ذلك حديثُ أبى سعيد الخُدْرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكتبوا عنِّى شيئاً غير القرآن، ومن كتب عنى شيئاً غير القرآن فلْيَمْحُه**»(١).

وهناك أحاديث أخرى ضعيفة، عن أبى سعيد الخدرى، وزيد بن ثابت، وأبى هريرة، رضى الله عنهم(٢).

وأما الموقوفات فى ذلك فمنها الصحيح وغيره، وهى منسوبة إلى أبى سعيد

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الزهد، باب: التثبت فى الحديث ٤/٢٢٩٨ ـ ٢٢٩٩ (٣٠٠٤/ ٧٢)، والنسائى فى فضائل القرآن (٣٣)، وأحمد ٣/ ١٢، ٢١، ٣٩، ٥٦،والدارمى فى المقدمة، باب: من لم ير كتابة الحديث ١/ ١٣٠ ـ ١٣١ (٤٥٠)، وابن حبان ١/ ٢٦٥ (٦٤)، والحاكم ١/ ١٢٦ ـ ١٢٧، وأحمد ٣/ ١٢، ٢١، ٣٩، ٥٦ وأبو يعلى فى مسنده ٢/ ٤٦٦ (١٢٨٨)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٢٦٨ (٣٣٥)، والخطيب فى «تقييد العلم» صـ٢٩: ٣٢.

(٢) حديث أبى سعيد أخرجه الدارمى فى الموضع السابق (٤٥١)، وأحمد ٣/ ٢١، ٣٩ (انظر مجمع الزوائد ١/ ١٥١)، والخطيب فى «تقييد العلم» صـ٣٢، ٣٣.

وحديث زيد بن ثابت أخرجه أبو داود فى كتاب: العلم، باب: فى كتاب العلم ٣/ ٣١٨ ـ ٣١٩ (٣٦٤٧)، وأحمد ٥/ ١٨٢، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٢٧١ (٢٣٦)، والخطيب فى «تقييد العلم» صـ٣٥.

وحديث أبى هريرة أخرجه البزار (كشف الأستار) ١/ ١٠٨ ـ ١٠٩ (١٩٤) (انظر: مجمع الزوائد ١/ ١٥١)، والخطيب فى «تقييد العلم» صـ٣٣، ٣٤.

الخدرى، وعبد الله بن مسعود، وأبى موسى الأشعرى، وأبى هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعلى بن أبى طالب، وعمر بن الخطاب، رضى الله[١] عنهم.

وأما الأحاديث الدالة على الإباحة فكثيرة أورد البخارى منها فى كتاب العلم[٢] أربعة على الترتيب التالى:

٢٠٤ ـ عن أبى جُحَيْفة قال: قلت لعَلِىٍّ: هل عندكم كتابٌ؟ قال: «لا، إلاَّ كتابُ الله، أو فَهْمٌ أعطيه رجلٌ مسلمٌ، أو ما فى هذه الصحيفة». قال: قلت: فما هذه الصحيفة؟ قال: «العقلُ[٣]، وفِكَاكُ الأسير، ولا يُقْتَل مسلمٌ بكافر»[٤].

٢٠٥ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه: أن خزاعة قتلوا رجلاً من بنى ليثٍ عام فتح مكة بقتيلٍ منهم قتلوه، فأُخْبِر بذلك النبى ﷺ، فركب راحلتَه، فخطب، فقال: «**إنَّ الله حبس عن مكة القتل** ـ أو الفيل. شك أبو عبد الله ـ **وسلَّط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنين، ألا وإنها لم تحلَّ لأحد قبلى، ولم تحلَّ لأحد بعدى، ألا وإنها حَلَّتْ لى ساعةً من نهار، ألا وإنها ساعتى هذه حرام؛ لا يُخْتَلَى شوكُها[٥]، ولا يُعْضَد شجرها[٦]، ولا تُلتَقط ساقطتها إلا لُمنْشِد[٧]، فمَنْ قُتِل فهو بخير**

---

(١) انظر: الدارمى (٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٧) وجامع بيان العلم (٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨)، و«تقييد العلم» صـ٣٦: ٤٤.

وانظر ما ذكر عن كراهة بعض التابعين للكتابة في نفس المواضع.

(٢) باب: كتابة العلم ١/ ٢٠٤: ٢٠٨ (١١١: ١١٤).

(٣) العقل: الدية، وإنما سُمِّيت به لأنهم كانوا يعقلون فيها الإبل، ويربطونها بفناء دار المقتول بالعقال وهو الحبل. (فتح البارى ١/ ٢٠٥).

(٤) أخرجه البخارى أيضاً (١٨٧٠، ٣٠٤٧، ٣١٧٢، ٣١٧٩، ٦٧٥٥، ٦٩٠٣، ٦٩١٥، ٧٣٠٠)، والنسائى فى كتاب: القسامة، باب: سقوط القود من المسلم بالكافر ٨/ ٢٣ ـ ٢٤، والترمذى فى كتاب: الديات، باب: ما جاء لا يقتل مسلم بكافر ٤/ ٢٤ ـ ٢٥ (١٤١٢)، وأحمد ١/ ٧٩، والحميدى ١/ ٢٣ ـ ٢٤ (٤٠)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٠١ (٣٩٠).

(٥) لا يُخْتَلى شوكها: لا يُقْطَع ولا يُحْصد، وذكر الشوك دالٌّ على منع قطع غيره من باب أولى (فتح البارى ١/ ٢٠٦).

(٦) لا يُعْضَد شجرها: لا يُقْطَع، من عَضَده يعضده، يعنى قطعه (انظر: القاموس المحيط صـ٣٨٢).

(٧) ساقطتها: اللقطة الساقطة فيها، والمنشِد: المعرِّف، أى لا يحل التقاط لقطتها إلاَّ لمن يلتقطها ليعرِّف بها، والله أعلم.

النَّظَرَيْن: إمَّا أن يُعْقَلَ[١]، وإمَّا أن يُقاد أهلُ القتيل».

فجاء رجلٌ من اليمن (في رواية: يقال له: أبو شاه) فقال: اكتب لي يا رسول الله. فقال: «**اكتبوا لأبي فلان**» (في روايةٍ: لأبي شاه)، فقال رجلٌ من قريش: إلاَّ الإِذْخرَ يا رسول الله، فإنّا نجعله في بيوتنا وقبورنا. فقال النبي ﷺ: «**إلاَّ الإِذْخر**».

قال أبو عبد الله (البخاري): يقال: يُقَاد، بالقاف. فقيل لأبي عبد الله: أي شيءٍ كُتِبَ له؟ قال: كتب له هذه الخطبة[٢].

٢٠٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما من أصحاب النبيِّ ﷺ أحدٌ أكثرَ حديثاً عنه منِّي، إلا ما كان من عبد الله بن عمروٍ، فإنه كان يكتب ولا أكتب»[٣].

٢٠٧ ـ وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «لما اشتدَّ بالنبيِّ ﷺ وَجَعُه قال: «**ائتوني بكتابٍ أكتبْ لكم كتاباً لا تَضلُّوا بعده**». قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوَجَعُ، وعندنا كتابُ الله حسبُنا. فاختلفوا، وكثر اللَّغَط. قال: «**قوموا عنِّي، ولا ينبغي عندي التنازع**». فخرج ابنُ عباسٍ يقول: «إن الرَّزِيَّةَ[٤] كلَّ الرَّزِيَّة ما

---

(١) من العقل، وهو الدية.

(٢) أخرجه البخاري أيضا (٢٤٣٤، ٦٨٨٠)، ومسلم في كتاب: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها ٢/ ٩٨٨ ـ ٩٨٩ (١٣٥٥/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨)، وأبو داود في كتاب: المناسك، باب: تحريم حرم مكة ٢/ ٢١٢ (٢٠١٧) وفي كتاب: العلم، باب العلم ٣/ ٣١٩ (٣٦٤٩ ـ ٣٦٥٠)، والترمذي في كتاب: العلم، باب: ما جاء في الرخصة فيه (كتابة العلم) ٥/ ٣٩ (٢٦٦٧)، وأحمد ٢/ ٢٤٨، والخطيب في «تقييد العلم» صـ٨٦.

وأخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل صـ٣٦٣ (٣١٤) وفي كثير من روايات الحديث: قال الوليد بن مسلم: قلت للأوزاعي: ما قوله «**اكتبوا لأبي شاه؟**» قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي ـ وقال: حسن صحيح في كتاب: العلم، باب: ما جاء في الرخصه فيه (كتابة العلم) ٥/ ٤٠ (٢٦٦٨)، وفي كتاب: المناقب، باب: مناقب لأبي هريرة رضي الله عنه ٥/ ٦٨٦ (٣٨٤١)، والدارمي في المقدمة، باب: من رخص في كتابة العلم ١/ ١٣٦ (٤٨٣)، وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ٢٥٩ (٢٠٤٨٩)،وابن حبان ١٦/ ١٠٣ (٧١٥٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٢٩٩ (٣٨٧)، والخطيب في «تقييد العلم» صـ٨٢، وأحمد ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩، وابن عدي في مقدمة الكامل صـ٤٥ ـ ٤٦.

(٤) الرزيّة، ويقال: الرزيئة، بفتح الراء وكسر الزاي بعدها ياء ثم همزة: المصيبة (فتح الباري ١/ ٢٠٩).

حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه»[١].

ويضاف إلى أربعة البخارى رحمه الله حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، فى إذن رسول الله ﷺ له فى الكتابة:

٢٠٨ ـ فعنه رضى الله عنه قال: كنتُ أكتبُ كلَّ شىءٍ أسمعه من رسول الله ﷺ أُريدُ حفظَه، فنَهَتْنى قريشٌ وقالوا: أتكتب كلَّ شىءٍ تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلم فى الغضب والرضا؟ فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: «**اكتب، فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق**»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله فى التعليق على ترتيب البخارى لأحاديثه الأربعة: «قدَّم حديث علىٍّ: أنه كتب عن النبى ﷺ، ويطرقه احتمالُ أن يكون إنما كتب ذلك بعد النبى ﷺ ولم يبلغه النهى.

وثنَّى بحديث أبى هريرة، وفيه الأمرُ بالكتابة وهو بعد النهى فيكون ناسخاً.

وثلَّث بحديث عبد الله بن عمرو، وقد بيَّنْتُ أن فى بعض طرقه إذنَ النبى ﷺ له فى ذلك، فهو أقوى فى الاستدلال للجواز من الأمر أن يكتبوا لأبى شاهٍ؛ لاحتمال اختصاص ذلك بمن يكون أمِّياً أو أعمى.

وختم بحديث ابن عباسٍ الدَّالِّ على أنه ﷺ همَّ أن يكتب لأمته كتاباً يحصل معه الأمن من الاختلاف، وهو لا يهمُّ إلا بحق»[٣].

وأما الموقوفات فى ذلك فمنها الصحيح وغير الصحيح، وهى منسوبة إلى سائر من ذُكر عنهم المنع وعن غيرهم[٤].

(١) أخرجه البخارى أيضاً (٣٠٥٣، ٣١٦٨، ٤٤٣١، ٤٤٣٢، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦)، ومسلم فى كتاب: الوصية، باب: ترك الوصية لمن ليس له شىء يوصى فيه ٣/١٢٥٩ (١٦٣٧/ ٢١ ـ ٢٢)، وأحمد ١/ ٣٢٥، ٣٣٦، وعبد الرزاق فى المصنف ٥/٤٣٨ ـ٤٣٩ (٩٧٥٧)، وابن حبان ١٤/ ٥٦٢ (٦٥٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: العلم، باب: فى كتاب العلم ٣/٣١٨ (٣٦٤٦)، وابن أبى شيبة فى المصنف ٩/ ٤٩ (٦٤٧٩)، والدارمى فى المقدمة، باب: من رخّص فى كتابة العلم ١/ ١٣٦ (٤٨٤)، والحاكم ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦، وأحمد ٢/ ١٦٢، ١٩٢، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٠٠ (٣٨٩)، والخطيب فى «تقييد العلم» صـ٨٠ ـ ٨١ وإسناد الحديث صحيح.

(٣) فتح البارى ١/ ٢١٠.

(٤) انظر: مقدمة سنن الدارمى باب: من رخص فى كتابة العلم صـ١٣٦ وما بعدها، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ٣٠٩: ٣١٩ (٣٩٦: ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٩: ٤١٢)، والخطيب فى «تقييد العلم» صـ٨٧: ٩٨.

التوفيق بين أحاديث النهى وأحاديث الإباحة:

ذهب العلماء مذاهب شتى فى التوفيق بين الأحاديث المتعارضة فى كتابة العلم.

فقال ابن حبان: «زجرُه ﷺ عن الكتْبة عنه سوى القرآن أراد به الحثَّ على حفظ السنن، دون الاتكال على كِتْبتها وترك حفظها والتفقه فيها»(١).

أما الخطيب البغدادى فذكر أن النهى كان لثلاثة أسباب:

الأول: خوفُ الانكباب على درس غير القرآن، واستدل على ذلك بعُدُول عمر بن الخطاب عن كَتْب السنن، ثم قال: «فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول إنما هى لئلا يُضَاهى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه...»(٢).

الثانى: خوف الاتّكال على الكتاب وترك الحفظ، كما ذكر ابن حبان.

الثالث: خوف صَيَران العلم إلى غير أهله(٣).

٢٠٩ ـ وبعد أن ذكر حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «ما كنا نكتب شيئاً غير القرآن والتشهد»(٤) قال:

«وأبو سعيد هو الذى رُوى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عنى سوى القرآن، ومَنْ كتب عنى غير القرآن فلْيَمْحُه»، ثم هو يخبر أنهم كانوا يكتبون القرآن والتشهد، وفى ذلك دليل أن النهى عن كَتْب ما سوى القرآن إنما كان على الوجه الذى بيَّنَّاه: من أن يُضَاهَى بكتاب الله تعالى غيره، وأن يُشتغَل عن القرآن بسواه، فلمَّا أُمِن ذلك، ودَعَت الحاجةُ إلى كَتْب العلم لم يُكْرَه كَتْبُه، كما لم تكره الصحابة كَتْبَ التشهد، ولا فرق بين التشهد وبين غيره من العلوم فى أن الجميع ليس بقرآنٍ، ولن يكون كتب الصحابة ما كتبوه من العلم، وأمروا بكتبه إلاَّ

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٢) هذا هو رأى الإمام الحافظ الذهبى رحمه الله فى المسألة، فإنه قال فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٨١: «والظاهر أن النهى كان أولاً؛ لتتوفَّر هممُهم على القرآن وحده، وليمتاز القرآن بالكتابة عما سواه من السنن النبوية، فيؤمن اللَّبْس، فلما زال المحذور واللَّبْسُ، ووضح أن القرآن لا يشتبه بكلام الناس أُذِن فى كتابة العلم والله أعلم».

(٣) انظر: تقييد العلم، صـ٤٩ : ٦٣.

(٤) أخرجه من طريقين فى «تقييد العلم» صـ٩٣.

احتياطاً، كما كان كراهتهم لكَتْبه احتياطاً، والله أعلم»(١).

وقال ابن حجر: «الجمع بينهما: أن النهى خاصٌ بوقت نزول القرآن؛ خشية التباسه بغيره، والإذن فى غير ذلك.

أو أن النهى خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن فى شىءٍ واحد، والإذن فى تفريقهما.

أو النهى متقدم والإذن ناسخٌ له عند الأمن من الالتباس، وهو أقربها مع أنه لا ينافيها»(٢).

قلت: القول بالنسخ(٣)، وإن كان أقرب فعلاً، حيث إن أبا هريرة روى كتابة عبد الله بن عمرو للسنة دونه، وأبو هريرة متأخر الإسلام سنة سبع، وكذلك الأمر بالكتابة لأبى شاه كان فى فتح مكة سنة ثمان، ثم إن همَّه ﷺ بالكتابة فى مرض وفاته قاطع بالإباحة فى آخر عمره؛ إلا أنه مع ذلك يمكن أن تكون كل تلك التعليلات صحيحة، بل ويمكن أن يكون النهى فى البداية عاماً مع الإذن لمن لا تتحقق فيه العلة بالكتابة، أو أن يكون النهى غير عام وكذا الإباحة غير عامة فى أول الإسلام، ثم زال النهى تماماً بالإباحة العامة والمطلقة للكتابة، وكان ذلك آخر الأمرين منه ﷺ(٤).

وقد تواتر عن الصحابة الكتابة، سواءً فى عهد النبى ﷺ، أو فيما بعد وفاته ﷺ، ثم اجتمعت كلمة العلماء على الإباحة، بل على الوجوب فى بعض الأحيان، والله أعلم.

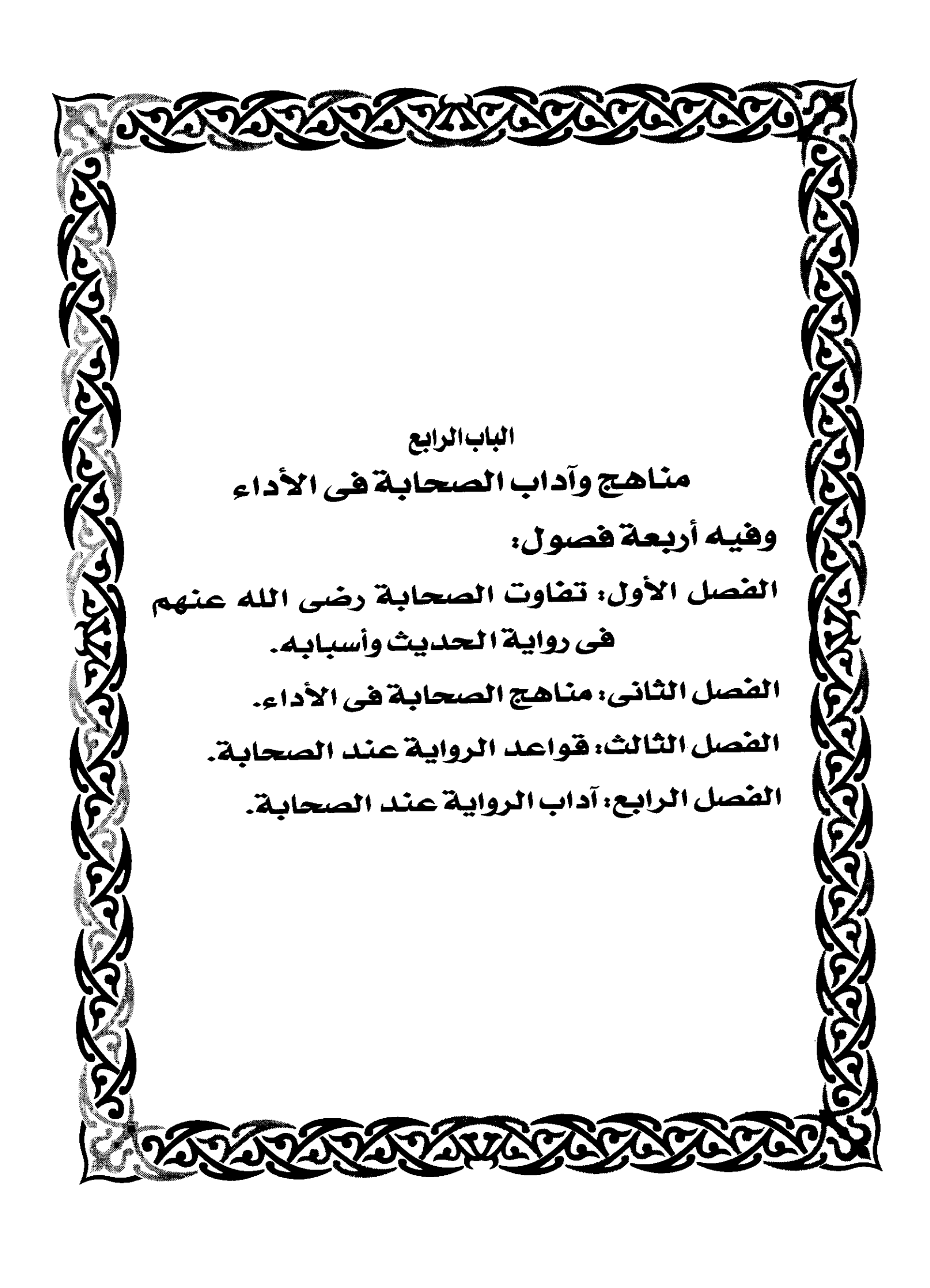
---

(١) السابق صـ٩٣ ـ ٩٤.

(٢) فتح البارى ١/ ٢٠٨.

(٣) ممن قال بالنسخ ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث صـ٣٦٥، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٣٦٣ وما بعدها، وابن القيم فى «تهذيب السنن» ٥/ ٢٤٥، والأستاذ محمد عبد العزيز الخولى فى «تاريخ فنون الحديث» صـ٣١، والأستاذ الشيخ المحدث أحمد شاكر فى «الباعث الحثيث» صـ١٢٨.

(٤) انظر: السنة قبل التدوين صـ٣٠٨ ـ ٣٠٩، ودراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه للدكتور محمد مصطفى الأعظمى صـ٧٩.



الباب الرابع

مناهج وآداب الصحابة فى الأداء

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: تفاوت الصحابة رضى الله عنهم فى رواية الحديث وأسبابه.

الفصل الثانى: مناهج الصحابة فى الأداء.

الفصل الثالث: قواعد الرواية عند الصحابة.

الفصل الرابع: آداب الرواية عند الصحابة.



الفصل الأول
تفاوت الصحابة رضى الله عنهم فى رواية الأحاديث وأسبابه

ذكرت فيما سبق أنه ليس كل الصحابة رووا الحديث، أو بالأدق: لم يصلنا عن جميع الصحابة روايات، وأن عدد الرواة من الصحابة كان دون الألفين(١).

وهؤلاء الذين وصلت إلينا مروياتهم تفاوت عدد ما روى عنهم من الأحاديث، وسوادهم الأعظم ممن روى ما دون عشرة أحاديث، وما يقرب من نصف الأحاديث روى عن عددٍ قليل لا يتجاوز العشرة، إذ أن الرواة الذين تجاوزت مروياتهم الألف حديث هم سبعة فقط، والذين تجاوزت مروياتهم المائتى حديث هم أحد عشر فقط، أما أصحاب المائة فكانوا واحداً وعشرين صحابياً، وذلك على حسب مسند بقىِّ بن مخلد رحمه الله(٢).

المكثرون من الصحابة:

أعنى بالمكثرين الذين تجاوزت مروياتهم الألف حديث وهم سبعة على النحو التالى:

١ - أبو هريرة رضى الله عنه، روى عنه (٥٣٧٤) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً، حسب مسند بقى بن مخلد، وله فى مسند أحمد (٣٨٤٨)، واتفق الشيخان له على (٣٢٦) وانفرد البخارى برواية (٩٣)، ومسلم برواية (٩٨) حديثاً.

٢ - عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، روى عنه (٢٦٣٠) ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثاً، وله فى مسند أحمد (٢٠١٩)، واتفق الشيخان له على (١٦٨) وانفرد البخارى برواية (٨١)، ومسلم، برواية (٣١) حديثا.

---

(١) انظر ما سبق فى الفصل الأول من الباب الأول صـ ٢٠، ٢١

(٢) انظر فى ذلك: أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد، لابن حزم الأندلسى، وتلقيح فهوم أهل الأثر، لابن الجوزى ص٣٦٣ وما بعدها وبحوث فى تاريخ السنة للدكتور أكرم ضياء العمرى صـ٣٩٠: ٣٩٢.

٣ ـ أنس بن مالك رضى الله عنه، روى عنه (٢٢٨٦) ألفان ومئتان وستة وثمانون حديثاً، وله فى مسند أحمد (٢١٩٢)، واتفق الشيخان له على (١٨٠)، وانفرد البخارى برواية (٨٠) ومسلم برواية (٩٠) حديثا.

٤ ـ أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، روى عنها (٢٢١٠) ألفان ومئتان وعشرة أحاديث، ولها فى مسند أحمد (١٣٤٠)، واتفق الشيخان لها على (١٧٤)، وانفرد البخارى برواية (٥٤)، ومسلم برواية (٦٩) حديثا.

٥ ـ عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما، روى عنه (١٦٦٠) ألف وستمائة وستون حديثا، وله فى مسند أحمد (١٦٩٦)، واتفق الشيخان له على (٧٥)، وانفرد البخارى برواية (١٢٠)، ومسلم برواية (٩) أحاديث.

٦ ـ جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، روى عنه (١٥٤٠) ألف وخمسمائة وأربعون حديثاً، وله فى مسند أحمد (١٢٠٦)، واتفق الشيخان له على (٥٨)، وانفرد البخارى برواية (٢٦)، ومسلم برواية (١٢٦) حديثاً.

٧ ـ أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله عنهما، روى عنه (١١٧٠) ألف ومائة وسبعون حديثاً، وله فى مسند أحمد (٩٥٨)، واتفق الشيخان له على (٤٣)، وانفرد البخارى برواية (١٦)، ومسلم برواية (٥٢) حديثاً.

٨ ـ ويلى هؤلاء المكثرين السبعة: عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وله فى مسند بقىٍّ (٨٤٨) ثمانمائة وثمان وأربعون حديثا، وفى مسند أحمد(٨٩٢)، واتفق الشيخان له على (٦٤)، وانفرد البخارى برواية (٢١)، ومسلم برواية(٣٥) حديثا.

٩ ـ ثم عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، وله فى مسند بقى (٧٠٠) سبعمائة حديث وفى مسند أحمد (٦٢٧)، واتفق الشيخان له على (٧)، وانفرد البخارى برواية (٨)، ومسلم برواية (٢٠) حديثاً[1].

وربما بَدَا أن ثمة تعارضاً بين هذا الذى روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وبين حديث أبى هريرة السابق برقم (٢٠٤): «ما من أصحاب النبى ﷺ أحدٌ أكثر حديثاً عنه منىِّ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب، ولا أكتب»؛ فأبو هريرة رضى الله عنه يجزم فى هذا الحديث بأنه ليس

(١) انظر المصادر السابقة، وتراجم التسعة فى سير أعلام النبلاء للذهبى، والباعث الحثيث صـ١٨٠: ١٨٣، وتدريب الراوى ٢/ ٢١٧.

أحد فى الصحابة أكثر حديثاً عن النبى ﷺ منه إلا عبد الله بن عمرو، فى حين أن المروى عن أبى هريرة أضعاف أضعاف المروى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

وقد أجاب العلماء عن ذلك بعدة أجوبة[١]:

- فقيل: الاستثناء منقطع، والتقدير: لكن الذى كان من عبد الله وهو الكتابة لم يكن منى، ولا يلزم من ذلك أنه كان أكثر حديثاً من أبى هريرة.

- وقيل: الاستثناء متصل، وعبد الله بن عمرو أكثر حديثاً وتحمُّلاً من أبى هريرة، ولكن أبا هريرة كان أكثر رواية منه للأسباب الآتية:

١ - أن عبد الله بن عمرو كان مشتغلاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلَّت الرواية عنه.

٢ - أن عبد الله بن عمرو كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو بالطائف، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم فى ذلك العصر كالرحلة إلى المدينة، حيث كان أبو هريرة متصدِّياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا من كثرة من حمل العلم عن أبى هريرة، فقد قال البخارى: «روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ والتابعين وغيرهم»[٢]. ولم يقع هذا لغير أبى هريرة رضى الله عنه.

٣ - ما اختُص به أبو هريرة رضى الله عنه من دعوة النبى ﷺ له بأن لا ينسى ما يحدثه به.

٢١٠ - فعنه رضى الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، إنى أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: «ابسط رداءَك» فبسطتُه. قال: فغرف بيديه، ثم قال: «**ضُمُّه**». فضممتُه، فما نسيتُ شيئاً بعده»[٣].

---

(١) انظر فى ذلك: فتح البارى ١/ ٢٠٧.

(٢) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٧٧، وانظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٨٦.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: حفظ العلم ١/ ٢١٥ (١١٩)، وفى كتاب: البيوع، باب: ما جاء فى قول الله تعالى **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض﴾** ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ (٢٠٤٧)، وفى كتاب: الأنبياء، باب: علامات النبوة ٦/ ٦٣٣ (٣٦٤٨)، وفى كتاب: التوحيد، باب: الحجة على من قال إن أحكام النبى كانت ظاهرة ١٣/ ٣٢١ (٧٣٥٤)، ومسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبى هريرة ٤ / ١٩٣٩ (٢٤٩٢ / ١٥٩) والترمذى فى كتاب: المناقب، باب: مناقب لأبى هريرة =

فهذا الحديث يدل على أن أبا هريرة لم ينس شيئاً سمعه، ولم يثبت ذلك لأحدٍ غيره من الصحابة.

٤ ـ أن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما كان قد ظفر فى الشام بحمل جملٍ من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها، ويحدِّث منها، فتجنَّب كثير من التابعين الأخذ عنه لهذا السبب.

أسباب تفاوت الصحابة فى الرواية:

يرجع التفاوت الكبير بين الصحابة فى عدد ما أُثر من الرواية عنهم عن النبى ﷺ إلى جملة من الأسباب أوجزها فيما يلى:

١ ـ التفاوت الطبيعى فى قوة الذاكرة والحفظ، فطبيعة الناس أن يكون فيهم الحافظ وغير الحافظ، فإذا حدَّثهم النبى ﷺ حفظ البعض ونسى البعض.

٢١١ ـ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «قام فينا النبىُّ ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهلُ الجنة منازلهم وأهلُ النار منازلهم، حفظ ذلك مَنْ حفظه، ونسيه مَنْ نسيه»[(١)].

٢١٢ ـ وعن أبى زيدٍ عمرو بن أخطب الأنصارى رضى الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا، حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمُنا أحفظُنا»[(٢)].

٢١٣ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر بنهار، ثم قام خطيباً، فلم يَدَعْ شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا

= رضى الله عنه ٥/ ٦٨٤ (٣٨٣٥)، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٢/ ٣٦٢، وأحمد ٢/ ٢٤٠، ٢٧٤، وابن حبان ١٦/ ١٠٤ ـ ١٠٥ (٧١٥٣)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ١٩ (١١)، وابن عدى فى مقدمة الكامل صـ٤٥.

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء فى قول الله تعالى ﴿وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ ٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ (٣١٩٢) تعليقاً.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الفتن، باب: إخبار النبى ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ٤/ ٢٢١٧ (٢٥/٢٨٩٢) وأحمد ٥/ ٣٤١.

أخبرنا به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه. . .» الحديث[١].

٢١٤ ـ وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيتُه، فأراه، فأذكره كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجلِ إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه»[٢].

فهذه الأحاديث تدلُّ على أن النبيَّ ﷺ قام فيهم مقامات متعددة، يذكر فيها الفتن وما هو كائن، وأن منهم من حفظ، ومنهم من نسى، ولا شك أن المكثرين كانوا أحفظ من غيرهم وأوعى لما سمعوا، فكثرت مروياتهم.

٢ ـ تفرغ الصحابى لمجالسة النبى ﷺ وملازمته أو عدم تفرغه لذلك، فالذى تفرغ لهذا الأمر لابد أنه حمل علماً أكثر وحديثاً أوفر ممن شغلته تجارته أو زراعته أو حرفته أو غير ذلك، وقد ذكر أبو هريرة رضى الله عنه أن فراغه وملازمته للنبى ﷺ كانت سبباً مباشراً لكثرة حفظه:

٢١٥ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة. ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدَّثت حديثاً، ثم يتلو ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ـ إلى قوله ـ الرحيم**﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون»[٣].

وقد شهد له بذلك كبار الصحابة رضى الله عنهم، فقد سبق عن ابن عمر

---

(١) أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح فى كتاب: الفتن، باب: ما جاء ما أخبر النبى ﷺ أصحابه بما هو كائن ٤/ ٤٨٣ (٢١٩١)، وصححه الحاكم ٤/ ٥٠٥، ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى ١/ ٤٤٢.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: القدر، باب: وكان أمر الله قدراً مقدوراً ١١/ ٤٩٤ (٦٦٠٤)، ومسلم ـ واللفظ له ـ فى كتاب: الفتن، باب: إخبار النبى ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ٤/ ٢٢١٧ (٢٨٩١/ ٢٣)، وأبو داود فى كتاب: الفتن، باب: ذكر الفتن ودلائلها ٤/ ٩٤ (٤٢٢٠)، وأحمد ٥/ ٣٨٥، ٣٨٩، ٤٠١.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: حفظ العلم ١/ ٢١٣ ـ ٢١٤ (١١٨)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٤٠٩ (٥٩٣)، وانظر تخريج الحديث السابق قبل قليل برقم (١٠) فى دعاء النبى ﷺ بالحفظ، فإنه جزء منه.

رضى الله عنهما قوله: «يا أبا هريرة، كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ، وأعلمنا بحديثه»[(١)].

٢١٦ ـ وعن مالك بن أبى عامر الأصبحى قال: جاء رجلٌ إلى طلحة بن عُبَيْد الله رضى الله عنه، فقال: يا أبا محمد أرأيتَ هذا اليمانى ـ يعنى أبا هريرة ـ هو أعلم بحديث رسول الله ﷺ منكم؟ نسمع منه ما لا نسمع منكم؟ قال: «أما أن يكون سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع فلا أشك إلا أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، وذاك أنه كان مسكيناً لا شىء له، ضيفاً لرسول الله ﷺ، يده مع يد رسول الله ﷺ، وكُنَّا نحن أهل بيوتات وغنى، وكنا نأتى رسول الله ﷺ طرفى النهار، فلا نشك إلا أنه سمع ما لا نسمع، ولا تجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟»[(٢)].

وهكذا ترى أن التفرغ لملازمة النبى ﷺ كان له أثر كبيرٌ فى زيادة تحمل الملازم عمن سواه.

٣ ـ تقدم وفاة الصحابى أو تأخرها، ومدى حاجة الناس إلى ما عنده من العلم، فمن تقدمت وفاتهم كانوا ـ غالباً ـ أقل روايةً ممن تأخرت وفاتهم، واحتاج الناس إلى سؤالهم ومعرفة ما عندهم من العلم، فى الحوادث التى تكثر وتتجدد، وبخاصة مع اتساع نطاق الفتوح الإسلامية، وكثرة الداخلين فى الإسلام، ولذلك تجد أن المكثرين جميعاً كانوا من أحداث الصحابة، فباستثناء عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود اللذين كانا فى نحو الأربعين عند وفاة النبى ﷺ كان سائر المكثرين دون الثلاثين، فكان جابر وأبو هريرة فى نحو السابعة والعشرين، وابن عمر فى نحو الحادية والعشرين، وأنس وأبو سعيد الخدرى فى العشرين، وعائشة فى الثمانى عشرة وابن عباس فى الثالثة عشرة، فتهيأ لهم أن يحملوا عن النبى ﷺ وعن أكابر الصحابة، وتأخرت وفاتهم حتى احتاج الناس إلى ما جمعوا من العلم، فكثرت مروياتهم.

---

(١) سبق برقم (٢٠٢) فى آخر الفصل الخامس من الباب الثالث.

(٢) أخرجه الترمذى ـ وقال: حديث حسن غريب ـ فى كتاب: المناقب، باب: مناقب لأبى هريرة رضى الله عنه ٥/ ٦٨٤ (٣٨٣٧)، وصححه الحاكم ٣/ ٥١١ ـ ٥١٢، ووافقه الذهبى.

«قال محمد بن عمر الأسلميّ: إنّما قلّت الروايةُ عن الأكابر من أصحاب رسول الله، ﷺ، لأنّهم هلكوا قبلَ أنْ يُحتاج إليهم، وإنّما كثرتْ عن عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبى طالب لأنّهما وَلِيَا فسُئلا وقَضيَا بين الناس. وكلّ أصحاب رسول الله، ﷺ، كانوا أئمّةً يُقتَدَى بهم ويُحفظ عليهم ما كانوا يفعلون ويُستَفتَوْن فيُفْتُون، وسمعوا أحاديث فأدّوها، فكان الأكابرُ من أصحاب رسول الله ﷺ أقلّ حديثاً عَنْه من غيرهم مثل أبى بكر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة بن الجرّاح وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل وأُبىّ بن كعب وسعد بن عبادة وعبادة بن الصامت وأُسَيد بن الحُضير ومُعاذ بن جبل ونُظَرائهم. فلم يأتِ عنهم مِن كثرة الحديث مثلُ ما جاء عن الأحداث من أصحاب رسول الله ﷺ، مثل جابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدريّ وأبى هريرة وعبد الله بن عمر بن الخطّاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن العبّاس ورافع بن خَديج وأنس بن مالك والبَراء بن عازب ونُظَرائهم، وكلّ هؤلاء كان يُعَدّ من فُقهاء أصحاب رسول الله، ﷺ ، وكانوا يَلزمون رسول الله، ﷺ، مع غيرهم من نُظرائهم، وأحْدَثُ منْهم مثلُ عُقبة بن عامر الجُهنىّ وزيد بن خالد الجهنىّ وعمران بن الحُصين والنّعمان بن بشير ومعاوية بن أبى سفيان وسهل بن سعد الساعدىّ وعبد الله بن يزيد الخَطْمىّ ومَسلمة بن مخَلّد الزُّرَقىّ وربيعة بن كعب الأسلمىّ وهند وأسماء ابنَىْ حارثة الأسلميّيْن، وكانا يَخدمان رسولَ الله، ﷺ، ويَلزمانه، فكَان أكثرُ الرواية والعلمِ فى هؤلاء ونُظرائهم من أصحاب رسول الله، ﷺ، لأنّهم بَقُوا وطالت أعْمارُهم واحتاج الناسُ إليهم. ومضى كثيرٌ من أصحاب رسول الله، ﷺ، قبله وبعده بعلمه، لم يؤثر عنه بشىءٍ، ولم يُحتَج إليه؛ لكثرة أصحاب رسول الله ﷺ»[1].

٤ ـ تحرُّج بعض الصحابة وتهيُّبهم من الرواية عن رسول الله ﷺ، حذراً من الخطأ أو الزيادة أو النقصان، ونحو ذلك. وسيأتى بيان ذلك عند الحديث عن ضوابط الرواية إن شاء الله.

قال محمد بن عمر الواقدى: «ومنهم ـ أى الصحابة ـ من تأخر موته بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهم أكثر، فمنهم من حُفِظ عنه ما حدَّث به عن رسول الله ﷺ،

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

ومنهم من أفتى برأيه، ومنهم من لم يحدِّث عن رسول الله ﷺ شيئاً، ولعله أكثر صحبةً ومجالسةً وسماعاً من الذى حدَّث عنه، ولكنا حملنا الأمر فى ذلك منهم على التوقى فى الحديث، أو على أنه لم يُحْتج إليه؛ لكثرة أصحاب رسول الله ﷺ»(١).

٥ ـ وقوع الفتنة وظهور الكذب والوضع من الفرق التى انحرفت عن جادة الصواب، كالخوارج والشيعة، جعل المرويات التى ينقلونها عن بعض الصحابة مردودة ومرفوضة من الصحابة والتابعين، فأفسدوا بذلك مرويات كثيرة.

٢١٧ ـ فعن طاووس قال: «أُتِى ابن عباس بكتابٍ فيه قضاء علىٍّ رضى الله عنه، فمحاه إلا قَدْرَ» وأشار سفيان بن عيينة بذراعه.

٢١٨ ـ وعن أبى إسحاق السبيعى قال: «لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علىٍّ رضى الله عنه قال رجل من أصحاب علىٍّ: قاتلهم الله، أىَّ علم أفسدوا».

٢١٩ ـ وقال المغيرة بن مقسم الضبِّى: «لم يكن يصدق(٢) على علىٍّ رضى الله عنه فى الحديث عنه إلا من أصحاب عبد الله بن مسعود»(٣).

فكان من أثر رواية الكذابين من الشيعة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن أُهْملت كثير من مروياته، والله أعلم.

٦ ـ اشتغال عدد كبير من الصحابة بالعبادة أو الجهاد فى سبيل الله وفتوح الأمصار، شغلهم عن التحديث بكل ما سمعوا من رسول الله ﷺ، فقلّت مروياتهم، بينما كان لغيرهم من المكثرين مجالس للتحديث يجتمع فيها طلبة العلم، فيحدثونهم، ويؤدون إليهم كل ما سمعوه من الحديث، ومن ثم كثرت الروايات عنهم.

تلك كانت باختصار أهم أسباب تفاوت الصحابة فى الرواية، والله أعلم(٤).

---

(١) السابق ٢/ ٣٧٧.

(٢) ضبطت هذه اللفظة على وجهين: «يَصْدُق» بفتح الياء وإسكان الصاد وضم الدال، و«يُصَدَّق» بضم الياء وفتح الصاد والدال المشددة (شرح النووى ١/ ٧٥).

(٣) أخرج هذه الثلاثة مسلم فى المقدمة، باب: النهى عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط فى تحملها ١/ ١٤.

(٤) انظر: الحديث والمحدثون للشيخ محمد أبى زهو صـ١٤٧ ـ ١٤٨، والفكر المنهجى عند المحدثين للدكتور همام سعيد صـ٣٥ ـ ٣٦.

الفصل الثانى

مناهج الصحابة فى الأداء

علم الصحابة رضوان الله عليهم أن من أهم واجباتهم أداء أمانة العلم الذى حُمِّلوه، وأنهم لا نجاة لهم من المأثم إلا بتبليغه وروايته، ومن ثَم نشط كثير منهم لتوريث من وراءهم هذا العلم وتحميلهم هذه الأمانة.

٢٢٠ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «**تَسمَعون، ويُسْمَع منكم، ويُسْمَع ممن يَسْمَع منكم**»[١].

وهذا الحديث خبر بمعنى الأمر، أى لتسمعوا منى الحديث، ولتبلغوه عنى، ولْيسمعه منكم مَنْ بعدى، وهكذا، أداء للأمانة.

قال ابن عبد البر: «فى هذا الحديث دليل على تبليغ العلم ونشره»[٢].

٢٢١ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل علمٍ لا يُنتفع به كمثل كنزٍ لا يُنْفَق منه فى سبيل الله**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح فى كتاب: العلم، باب: فضل نشر العلم ٣/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ (٣٦٥٩)، وأحمد ١/ ٣٢١، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٢٠٧ (٩٢)، والبيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٥٣٩، وفى شعب الإيمان ٢/ ٢٧٥ (١٧٤٠)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ١٩١ (٢٠٣)، و ٢/ ١٠١٣ (١٩٣٢)، والخطيب فى شرف أصحاب الحديث (٧٠)، وصححه ابن حبان ١/ ٢٦٣ (٦٢)، والحاكم ١/ ٩٥، ووافقه الذهبي، وأخرجه في معرفة علوم الحديث صـ ٢٧، والقاضي عياض في الإلماع صـ ١٠.

وله شاهد بلفظه عن ثابت بن قيس، أخرجه البزار (كشف الأستار) ١/ ٨٧ ـ ٨٨ (١٤٦)، والطبراني فى الكبير ٢/ ٧١ (١٣٢١)، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٢٠٦ (٩١)، والحاكم فى معرفة علوم الحديث صـ٦٠، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١٠١٢ (١٩٣١)، والخطيب فى شرف أصحاب الحديث (٦٩)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٣٧: «عبد الرحمن بن أبى ليلى لم يسمع من ثابت بن قيس» يعنى فالإسناد منقطع.

(٢) جامع بيان العلم ١/ ١٩١.

(٣) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ١/ ١٤٨ (٥٥٦)، وأحمد ٢/ ٤٩٩، وفيه إبراهيم بن مسلم الهجرى، وهو ضعيف.

وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (٦٩٣)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٤٨٩ (٧٧٤) وفى الإسناد ابن لهيعة، والراوى عنه عبد الله بن وهب، وأخرجه أبو خيثمة فى كتاب العلم صـ٣٦ ـ ٣٧ (١٦٢) وفيه ابن لهيعة، والراوى عنه الحسن بن موسى. وابن عبد البر (٧٧٧) والراوى عنه إسحاق بن الفرات والإسناد بطريقيه حسن إن شاء الله. =

وإذا كان الكنز محرَّماً، فإن جمع العلم وتخزينه وعدم التحديث به كذلك يكون محرماً.

ومن ثَم اتجهت همة الصحابة رضوان الله عليهم إلى الرواية والتبليغ.

وقد اتخذ أداء الصحابة صوراً متعددة، فكانوا يعقدون المجالس للتحديث، ويتعرضون للإجابة على الأسئلة والإفتاء فى القضايا، ويخطبون فى الجمع والأعياد والمناسبات المختلفة:

١ ـ مجالس التحديث:

كان بعض الصحابة يعقد مجلساً لرواية الحديث عن النبى ﷺ، ويتواعد مع تلامذته على ذلك، فيفدون إليه متهيئين للسماع والحفظ، ومن هؤلاء راوية الإسلام أبو هريرة رضى الله عنه، وابن مسعود رضى الله عنه، وعمران بن حصين رضى الله عنه، وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما، وغيرهم.

٢٢٢ ـ عن مكحول قال: «تواعد الناسُ ليلةً إلى قُبَّة من قباب معاوية، فاجتمعوا فيها، فقام فيهم أبو هريرة يحدثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبح»(١).

٢٢٣ ـ وعن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة، أنه كان يقوم كل خميس فيحدثهم(٢).

٢٢٤ ـ وعن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: «رأيت أبا هريرة يخرج يوم الجمعة، فيقبض على رمانتى المنبر قائماً، ويقول: حدثنا أبو القاسم ﷺ الصادق المصدوق، فلا يزال يحدث حتى يسمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام فيجلس»(٣).

= وله شاهد مرفوع عن ابن عمر، أخرجه ابن عبد البر (٧٧٨)، وعن ابن مسعود، أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب (٢٦٣)، وروى موقوفاً عن سلمان الفارسى، أخرجه أبو خيثمة فى كتاب العلم صـ٨ (١٢) والدارمى فى الموضع نفسه (٥٥٥)، وعن أبى هريرة، أخرجه ابن عبد البر (١٠٨٢)، وإسناد أبى خيثمة عن سلمان إسناد حسن.

(١) أخرجه أبو خيثمة فى كتاب العلم صـ١٤ (٤٣)، ومن طريقه الخطيب فى الجامع ٢/ ٦٧ (١١٩٠)، والسمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٣٩، ورجال الإسناد ثقات، إلا أن رواية مكحول عن أبى هريرة مرسلة، فإنه لم يسمع منه، وذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٩٩.

(٢) أخرجه الخطيب فى الجامع ٢/ ٦٤ (١١٨١).

(٣) صححه الحاكم ٣/ ٥١٢ ووافقه الذهبى، وأورده فى سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٢٣.

٢٢٥ ـ وعن محمد بن عُمارة بن عمرو بن حزم، أنه قعد فى مجلسٍ فيه أبو هريرة، وفيه مشيخة من أصحاب النبى ﷺ، بضعة عشر رجلاً، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبى ﷺ فلا يعرفه بعضهم، ثم يتراجعون فيه، فيعرفه بعضهم، ثم يحدثهم، فلا يعرفه بعضُهم، ثم يعرفه بعض، حتى فعل ذلك مراراً.

فعرفت يومئذٍ أنه أحفظ الناس عن رسول الله ﷺ[١].

وقد سبق فى أول الكتاب أنه كان يأتى المسجد النبوى، فيجلس بجوار حجرة عائشة ويأخذ فى التحديث، يُسْمِعها ذلك.

وكذلك كان ابن مسعود رضى الله عنه يجلس يحدث أصحابه، ويضرب لهم المواعيد على ذلك.

٢٢٦ ـ فعن أبى وائل شقيق بن سلمة قال: «كان عبد الله يذكِّرنا كل يوم خميس»[٢].

وقد سبق ذكر طرفٍ من ذلك فى أول الكتاب، وتمنِّى أصحابه أن يجلس إليهم فيحدثهم فى كل يوم.

وكذلك كان عمران بن حصين رضى الله عنه يقعد للناس فى مسجد البصرة فيحدثهم:

٢٢٧ـ فعن هلال بن يِسَاف، قال: «قدمت البصرة، فدخلت المسجد، فإذا أنا بشيخ أبيضِ الرأس واللحية، مستند إلى أسطوانة، فى حلقةٍ يحدثهم، فسألتُ: من هذا؟ قالوا: عمران بن حصين رضى الله عنهما»[٣].

وكان عمران رضى الله عنه قد بعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم.

وكان أبو أمامة صُدَى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه يحض جلساءه على حفظ ما يلقى إليهم فى مجلسه، وتبليغه لمن وراءهم.

٢٢٨ ـ فعن مكحول قال: دخلت أنا وابن أبى زكريا، وسليمان بن حبيب،

---

(١) أخرجه البخارى فى تاريخه الكبير ١/١٨٦ ـ ١٨٧، ومحمد بن عمارة لم يذكر فيه البخارى جرحاً ولا تعديلا، وكذلك لم يذكر فيه أبو حاتم جرحاً ولا تعديلا (انظر: الجرح والتعديل ٨/ ٤٥)، وعزاه ابن حجر فى الفتح ١/ ٢١٤ للبيهقى فى المدخل.

(٢) أخرجه الخطيب فى الجامع ٢/٦٣ ـ ٦٤ (١١٨٠)، وهو جزء من الحديث الذى سبق برقم (٣٧).

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ٤ /٢١٨.

على أبى أمامة رضى الله عنه بحمص، فسلَّمْنا عليه، فقال: «إن مجلسكم هذا من إبلاغ الله لكم، واحتجاجه عليكم، وإن رسول الله ﷺ قد بلَّغ، فبلِّغوا»[١].

٢٢٩ ـ وعن سُلَيم بن عامر قال: كان أبو أمامة إذا قعدنا إليه يجيئنا من الحديث بأمر عظيم (فى رواية: كنا نجلس إلى أبى أمامة فيحدثنا حديثا كثيراً) ويقول للناس: «اسمعوا واعقلوا، وبلِّغوا عنا ما تسمعون، وفى رواية «بلِّغوا عنا فقد بلَّغناكم» يرى أن حقاً عليه أن يحدث بكل ما سمع[٢].

وكذلك كان عبد الله بن سلام رضى الله عنه يحدِّث الناس فى مسجد النبى ﷺ:

٢٣٠ ـ فعن خَرَشة بن الحُرِّ، قال: «كنت جالساً فى حلقة فى مسجد المدينة. قال: وفيها شيخ حسن الهيئة، وهو عبد الله بن سَلام، قال: فجعل يحدثهم حديثاً حسناً. قال: فلما قام قال القوم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا. . .» فذكر الحديث فى سؤاله عن قولهم ورؤيا عبد الله بن سلام رضى الله عنه وتأويل النبى ﷺ إياها[٣].

أما البحر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، فمجالسه أكثر وأشهر من غيره، وكان يحضرها أصحاب الفنون المختلفة من حديث، وتفسير، وشعر، ومغازى، وغيرها.

وقد كان التابعون رحمهم الله إذا سمعوا برجلٍ من الصحابة نزل ببلدهم اجتمعوا إليه، وسألوه أن يحدثهم بحديث رسول الله ﷺ.

٢٣١ ـ فعن أبى السليل القيسى قال: «قدم علينا رجلٌ من أصحاب النبى ﷺ، فكانوا يجتمعون عليه، فإذا كثروا صعد أعلى ظهر بيت، فحدَّثهم»[٤].

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨/ ١٣٥ (٧٦١٤) وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٤٠: «سنده حسن».

(٢) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ١/ ١٤٦ (٥٤٤)، والطبرانى فى الكبير ٨/ ١٦٠ (٧٦٧٣)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٤٩٥ (٧٨٦)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٤٠ عنه وعن سابقه: «إسنادهما حسن».

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن سلام رضى الله عنه ٣/ ١٩٣١ (٢٤٨٤/ ١٥٠)، وابن ماجه فى كتاب: تعبير الرؤيا، باب: تعبير الرؤيا ٢/ ١٢٩١ (٣٩٢٠)، وأحمد ٥/ ٤٥٢، ٤٥٣، والحاكم ٣/ ٤١٤.

(٤) أخرجه السمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٥٠، وأبو خيثمة فى كتاب العلم صـ٢٨ (١١٧).

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن تعيين يومٍ للجلوس والتحديث مما يساعد على حسن الأخذ والتحمل؛ وذلك لئلا ينقطع الطلاب عن أشغالهم، وليستعدوا لإتيانه، ويعدّ بعضهم بعضاً به، وأن الأصل في تعيين يومٍ أو ساعةٍ للتحديث فعلُ النبي ﷺ.

٢٣٢ ـ وذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**احشدوا**[١] ـ زاد في رواية: **غداً ـ فإني سأقرأ عليكم ثُلث القرآن**» فحَشَد مَنْ حَشَد، ثم خرج نبيُّ الله ﷺ، فقرأ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ثم دخل، فقال بعضُنا لبعض: إني أُرَى هذا خَبَرٌ جاءه من السماء، فذاك الذي أدخله، فخرج نبيُّ الله ﷺ فقال: «**إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثُلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن**»[٢].

وغنيٌّ عن البيان أنهم كانوا يحرصون أن تكون أكثر تلك المجالس في المساجد؛ لما للجلوس في المسجد من الفضل والشرف[٣].

٢ ـ الفتيا وإجابة الأسئلة:

كان الصحابة رضوان الله عليهم شديدي الحرص على اتباع سنة النبي ﷺ، ولذلك كانوا إذا سئلوا أو استفتوا حرصوا على أن يبينوا مأخذ فتواهم، وأن يذكروا دليل إجابتهم، بل ربما كان الجواب على السؤال مجرد رواية الحديث فقط.

ولا شك أن كثرة الحاجات التي جدَّتْ للناس ألجأتهم إلى سؤال واستفتاء أصحاب رسول الله ﷺ، فانفتح بذلك بابٌ واسعٌ للرواية والتبليغ والأداء.

وكان الصحابة يحثون تلامذتهم على السؤال، باعتباره مفتاح خزائن العلم، كما ذكر ابن شهاب الزهري رحمه الله[٤].

---

(١) احشُدوا: اجتِمعوا، يقال: حشد القومُ: أي خَفُّوا في التعاون، أو دُعُوا فأجابوا، أو اجتمعوا لأمرٍ واحد. (القاموس المحيط صـ٣٥٣) وقال ابن الأثير في النهاية ١/ ٣٨٨: «احشدوا: أي اجتِمعوا، واستحضِروا الناس».

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ١/ ٥٥٧ (٨١٢/ ٢٦١)، والترمذي في كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في سورة الإخلاص ٥/ ١٦٩ (٢٩٠٠) والخطيب في الجامع ٢/ ٦٩ (١١٩٤)، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء صـ٣٨.

(٣) انظر: قطوف من الأدب النبوي للدكتور عبد الرحمن البر صـ٧٩: ٨١، و صـ١٣١: ١٣٣.

(٤) روى ذلك عنه الدارمي في المقدمة، باب: البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ١/ ١٤٧ (٥٤٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٣٧٤ (٥٢٤)، و ٣٧٩ (٥٣٤: ٥٣٦).

٢٣٣ ـ فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «زيادة العلم الابتغاء، ودرك العلم السؤال، فتعلَّم ما جهلتَ، واعمل بما علمتَ»(١).

٢٣٤ ـ وعن عكرمة قال: قال لى علىٌّ رضى الله عنه: «خمسٌ احفظوهن، لو ركبتم الإبل لأنْضيْتُموهن(٢) من قبل أن تصيبوهن: لا يخاف عبدٌ إلاَّ ذنبَه، ولا يرجو إلاَّ ربَّه، ولا يستحى جاهلٌ أن يسأل، ولا يستحى عالم إن لم يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير فى جسدٍ لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له»(٣).

وكان التابعون حريصين على السؤال؛ لاستخراج العلم من الصحابة رضوان الله عليهم.

٢٣٥ ـ فعن إبراهيم النَّخَعى قال: «كان عَبيدة (ابن عمرو السَّلْمانى) يأتى عبدَ الله (ابنَ مسعود) كلَّ خميسٍ، فيسأله عن أشياء غاب عنها، فكان عامة ما يحفظ عن عبد الله مما يسأله عبيدة عنه»(٤).

وهاك بعضَ الأمثلة من إجابات بعض الصحابة وفتاواهم بذكر مروياتهم عن رسول الله ﷺ فى المسألة المطروحة أو القضية محل الفتوى:

٢٣٦ ـ عن ابن عمر، أن رجلاً سأله: أرأيت الوتر، أسنةٌ هو؟ قال: «ما سنة؟ أوتر رسول الله ﷺ، وأوتر المسلمون»، فقال الرجل: أسنة هو؟ فقال: «مَهْ، أتعقل؟ أوتر رسول الله ﷺ، وأوتر المسلمون»(٥).

٢٣٧ ـ وعنه أيضاً أن رجلاً سأله عن الأضحية، أواجبة هي؟ فقال: «ضحَّى رسول الله ﷺ والمسلمون»، فأعادها عليه، فقال: «أتعقل؟ ضَحَّى رسول الله ﷺ والمسلمون»(٦).

---

(١) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٧٤ (٥٢٣).

(٢) أنضيتموهن: أهزلتموهن، والنِّضْو من الإبل وغيرها: المهزول، وأنضاه: هَزَلَه (انظر: القاموس المحيط صـ١٧٢٦).

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٨٣ (٥٤٧) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ١/ ١٤٦ ـ ١٤٧ (٥٤٧).

(٥) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩، وابن أبى شيبة فى المصنف ٢/ ٢٩٥، و ١٤/ ٢٣٦ (١٨٢٠٩) بإسناد صحيح، وأخرجه مالك فى الموطأ بلاغاً فى كتاب: صلاة الليل، باب: الأمر بالوتر ١/ ١٢٤ (١٧).

(٦) أخرجه الترمذى ـ وقال: حديث حسن صحيح ـ فى كتاب الأضاحى، باب: الدليل على أن الأضحية سنة ٤/ ٩٤ (١٥٠٦)، وابن ماجه فى كتاب: الضحايا، باب: الأضاحى واجبة هى أم لا ٢/ ١٠٤٤ (٣١٢٤).

٢٣٨ ـ وعن زيد بن جبير قال: سمعت رجلاً سأل ابن عمر عن بيع الثمرة؟ فقال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها»[١].

٢٣٩ ـ وعن أنس بن سيرين قال: سألت ابنَ عمر، قلت: أرأيت الركعتين قبل صلاة الغداة، أأطيل فيهما القراءة؟ قال: «كان رسول الله ﷺ يصلى من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة» قال: قلت: إنى لست عن هذا أسألك. قال: «إنك لضخم، ألا تَدَعنى أستقرىء لك الحديث؟ كان رسول الله ﷺ يصلى من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة، ويصلى ركعتين قبل الغداة كأن الأذان بأذنيه»[٢].

والوصف بالضخامة إشارة إلى الغباوة والبلادة وسوء الأدب، قالوا: لأن هذا الوصف يكون للضخم. وإنما قال ابن عمر له ذلك لأنه قطع عليه الكلام، وأعجله قبل تمام حديثه، وقوله: «كأن الأذان بأذنيه» إشارة إلى تخفيفها بالنسبة لسائر صلاته، والمراد بالأذان: الإقامة[٣].

والأمثلة عن ابن عمر فى هذا المضمار كثيرة جداً.

٢٤٠ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، أنه سئل عن كسب الحجام، فلم يقل فيه حلالاً ولا حراماً، قال: «قد احتجم رسول الله ﷺ، حجمه أبو طيبة، فأمر له بصاعين من طعام، وكلَّم رسول الله ﷺ ـ يعنى أهلَه ـ فخفَّفوا عنه من غَلَّته، أو من ضريبته، وقال: «**خيرُ ما تداويتم به الحجامةُ، والقُسْطُ البحرى**[٤]. **ولا تعذبوا صبيانكم بالغَمْز**»[٥].

---

(١) أخرجه أبو يعلى بإسناد صحيح ١٠/ ٨٢ (٥٧١٩) وبإسناد حسن ٩/ ٤٦٣ (٥٦١١)، وأخرجه عبد الله ابن أحمد وجادة فى كتاب أبيه، فى المسند ٢/ ٤٦.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل مثنى مثنى ١/ ٥١٩ (٧٤٩/ ١٥٧ ـ ١٥٨)، وأبو يعلى ١٠/ ١٤٦ ـ ١٤٧ (٥٧٦٩)، وانظر: مسند أحمد ٢/ ٤٩، وصحيح البخارى فى كتاب: الوتر، باب: ساعات الوتر ٢/ ٤٨٦ (٩٩٥)، والترمذى فى كتاب: الوتر، باب: ما جاء فى الوتر بركعة ٢/ ٥٥٥ (٤٦٠).

(٣) انظر: شرح النووى على مسلم ٢/ ٤٠٤ طبعة الشعب.

(٤) القُسْط، بضم القاف: عود هندى، وعربى، معروف فى الأدوية، طيب الريح، تبخَّر به النفساء والأطفال، وهو مُدِرٌّ نافع للكبد والمغص والدود وحُمَّى الرِّبْع شربا، وللزكام والنزلات والوباء بخوراً، وللبهق والكلف طلاءً. (انظر: النهاية فى غريب الحديث ٤/ ٦٠، والقاموس المحيط صـ٨٨١).

(٥) الغَمْز: العصر والكبس باليد (النهاية ٣/ ٣٨٥) والحديث أخرجه أبو يعلى ٦/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ (٣٧٥٨) بإسناد صحيح.

٢٤١ ـ وعن سعيد بن أبى الحسن البصرى قال: كنت عند ابن عباس رضى الله عنهما، إذ أتاه رجلٌ، فقال يا ابن عباس، إنما أنا رجل إنما معيشتى من صنعة يدى، وإنى أصنع هذه التصاوير؟ فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله ﷺ، سمعته يقول: **«من صوَّر صورةً فإن الله معذِّبُه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبدا»** قال: فَرَبَا الرجلُ رَبْوةً[1] شديدة، واصفرَّ وجهه، فقال له ابن عباس: «ويحك! إن أبيْت إلاَّ أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكلِّ شيءٍ ليس فيه روح»[2].

٢٤٢ ـ وعن زَهْدَم بن مُضَرِّب الجَرْمى قال: كُنَّا عند أبى موسى، فأتى ذكر دجاجة (فى رواية: فأُتى بلحم دجاج) وعنده رجلٌ من بنى تَيْم الله أحمرُ، كأنه من الموالى، فدعاه للطعام، فقال: إنى رأيتُه يأكل شيئاً، فقَذِرتُه، فحلفت أن لا آكل. فقال: هلم فلأحدِّثْكم عن ذلك: إنى أتيتُ رسولَ الله ﷺ فى نفرٍ من الأشعريين، نستحمله، فقال: **«والله لا أحملكم، وما عندى ما أحملكم»**، وأُتى رسول الله ﷺ بنَهْب إبل[3]، فسأل عنَّا، فقال: **«أين النفر الأشعريون؟»** فأمر لنا بخمس ذود غرِّ الذرى[4]، فلما انطلقنا قلنا: ما صنعنا؟ لا يُبَارَك لنا. فرجعنا إليه، فقلنا: إنا سألناك أن تحملنا، فحلفتَ أن لا تحملنا، أفنسيت؟ قال: **«لستُ أنا حملتُكم، ولكنَّ الله حملكم، وإنى ـ والله ـ لا أحلف على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيتُ الذى هو خير وتحلَّلْتُها»**[5].

---

(١) ربا الرجل: أصابه نفس فى جوفه، وهو الربو والربوة. وقيل: معناه: ذُعِر وامتلأ خوفا. (فتح البارى ٤/ ٤١٦).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: البيوع، باب: بيع التصاوير التى ليس بها روح ٤/ ٤١٦ (٢٢٢٥)، ومسلم فى كتاب: اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان ٣/ ١٦٧١ (٢١١٠/ ٩٩)، والنسائى فى كتاب: الزينة، باب: ذكر ما يكلَّف أصحاب الصور يوم القيامة ٨/ ٢١٥، وأحمد ١/ ٢٤١، ٣٠٨، ٣٥٠، وأبو يعلى ٥/ ٨٧ ـ ٨٨ (٢٦٩١)، والذهبى فى السير ١٩/ ٤٥١. وأخرج المرفوع منه البخارى فى كتاب: اللباس، باب: من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ١٠/ ٣٩٣ (٥٩٦٣)، ومسلم فى الموضع نفسه (٢١١٠/ ١٠٠).

(٣) نَهْب إبل: أى غنيمة إبل، والنَّهْب: الغنيمة (القاموس المحيط صـ١٧٩).

(٤) الذَّوْد من الإبل: ما بين الثنتين إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاث إلى العشر، واللفظة مؤنثة، ولا واحد لها من لفظها كالنَّعَم (النهاية ٢/ ١٧١).

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب: فرض الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ٦/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ (٣١٣٣) وانظر أيضا (٤٣٨٥، ٤٤١٥، ٥٥١٧، ٥٥١٨، ٦٦٢٣، ٦٦٤٩، ٦٦٧٨، ٦٦٨٠، ٦٧١٨، ٦٧١٩، ٦٧٢١، ٧٥٥٥).

وربما سئل أحدُهم عن مسألة لا يحفظ فيها حديثاً، فتوقف ولم يفت:

٢٤٣ ـ ومن هؤلاء أنس بن مالك رضى الله عنه، فقد سأله قتادة عن النبيذ؟ فقال: «ما سمعتُ من رسول الله ﷺ فيه شيئاً»(١).

٣ ـ خطب الجمعة والعيدين:

لا شك أن الخطب الجامعة فى الجمعة والعيدين من أكثر صور رواية الصحابة للحديث انتشاراً، ومن البدهى أن يستدل الصحابى فى خطبته بالقرآن والحديث، ويسمع منه الجمع الكثير الذى يحضر للصلاة:

٢٤٤ ـ فمن ذلك ما رواه علقمة بن وقاص الليثىُّ قال: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرتُه إلى ما هَاجر إليه**»(٢).

٢٤٥ ـ وعن خالد بن عُمَير العدوى قال: خطبنا عتبة بن غزوان رضى الله عنه، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ فإن الدنيا قد آذنت بصُرْمٍ(٣)،

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٧٧، ٢٧٩، وأبو يعلى ـ بإسنادٍ صحيح ـ ٥/ ٤٤٢ (٣١٤٥)، و ٦/ ١٧ (٣٢٤١)، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٦١: «رجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه البخارى فى أول الصحيح كتاب بدء الوحى: ١/ ٩ (١) وفى مواضع متعددة: أنظر أرقام (٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣) ومسلم فى كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»، ٣/ ١٥١٥، (١٩٠٧/ ١٥٥) وأبو داود فى كتاب الطلاق، باب: فيما عنى به الطلاق والنيات ٢/ ٢٦٩ (٢٢٠١)، والترمذى فى كتاب الجهاد، باب: ما جاء يقاتل رياءً وللدنيا ٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤ (١٦٤٧) والنسائى فى كتاب الطهارة، باب: النية فى الوضوء١/ ٥٨ ـ ٥٩، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: النية٢/ ١٤١٣ (٤٢٢٧)، وأحمد ١/ ٢٥، ٤٣، والحميدى فى المسند (٢٨)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار ٣/ ٩٦، وابن خزيمة فى صحيحه (١٤٢، ٤٥٥) والدارقطنى فى سننه ١/ ٥٥، والقضاعى فى مسند الشهاب (١١٧٣)، والبيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٤١، ٢١٥، ٢٩٨ وفى شعب الإيمان ٥/ ٣٣٦ (٦٨٣٧)، وأبو نعيم فى الحلية ٦/ ٣٤٢ و ٨/ ٤٢، والخطيب فى تاريخ بغداد ٤/ ٢٤٤، و ٦/ ١٥٣، و ٩/ ٣٢٦.

والحديث تفرد بروايته يحيى بن سعيد الأنصارى، عن محمد بن إبراهيم التيمى، عن علقمة بن وقاص الليثى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ورواه عن يحيى أكثر من مائتى إنسان أكثرهم أئمة من أمثال مالك بن أنس، وسفيان الثورى، وعبد الرحمن الأوزاعى، وعبد الله بن المبارك، والليث بن سعد، وحماد بن زيد، وشعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، وغيرهم. وقد ذكرهم جميعا الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٧٦: ٤٨١، وانظر ما ذكره ابن حجر فى الفتح ١/ ١٣.

(٣) آذنت بصُرْمٍ: أعلمت بانقطاع وذهاب.

وولَّت حذَّاء[١]، ولم يبق منها إلا صُبَابة كصُبابة الإناء[٢]، يتصابُّها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكر لنا: **«أن الحجر يُلْقَى من شَفة جهنم، فيهوى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، ووالله لَتُمْلأَن»**، أفعجبتم؟ ولقد ذُكر لنا: **«أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنةً، وليأتينَّ عليها يومٌ وهو كظيظ[٣] من الزحام»**. ولقد رأيتنى سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قَرِحت أشداقنا[٤]، فالتقطتُ بردةً فشققتُها بينى وبين سعد بن مالك، فاتَّزرتُ بنصفها، واتَّزر سعدٌ بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحدٌ إلاَّ أصبح أميراً على مصرٍ من الأمصار، وإنى أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيماً، وعند الله صغيراً، وإنها لم تكن نبوةٌ قطُّ إلا تناسختْ، حتى يكون آخر عاقبتها مُلْكاً، فستَخْبُرون وتجرِّبون الأمراء بعدنا»[٥].

ففى هذه الخطبة ذكر عتبة رضى الله عنه عدة أحاديث.

٢٤٦ ـ وعن أوسط بن إسماعيل ـ ويقال: ابن عامر ـ البجلى قال: خطبنا أبو بكر رضى الله عنه (فى رواية بعدما قبُض النبى ﷺ بسنة) فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا عام الأول وبكى أبو بكر فقال: **«سَلُوا الله المعافاة** ـ أو قال: **العافية ـ فلم يُؤْتَ أحدٌ قط بعد اليقين أفضل من العافية ـ أو المعافاة ـ عليكم بالصدق؛ فإنه مع البرِّ، وهما فى الجنة، وإياكم والكذبَ؛ فإنه مع الفجور، وهما فى النار، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا إخوانا كما أمركم الله»**[٦].

---

(١) حذَّاء: مسرعة الانقطاع.

(٢) الصُبابة، بضم الصاد المهملة: البقية من الماء أو من اللبن، ويتصابُّها: يشربها (انظر: القاموس المحيط صـ١٣٣). (٣) كظيظ: ممتلىء.

(٤) قَرِحت: خرجت بها القروح، وذلك لخشونة الأوراق (انظر: القاموس المحيط صـ٣٠١) وانظر فى تفسير الألفاظ السابقة: هامش صحيح مسلم ٤/٢٢٧٨ ـ ٢٢٧٩.

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب: الزهد والرقائق، باب: الزهد والرقائق ٤/٢٢٧٨ ـ ٢٢٧٩ (٢٩٦٧/١٤)، وابن ماجه فى كتاب: الزهد، باب: معيشة أصحاب النبى ﷺ ٢/١٣٩٢ (٤١٥٦)، وأحمد ٤/١٧٤، و٥/٦١ وابن المبارك فى الزهد صـ ١٨٨ ـ ١٨٩ (٥٣٤) وعبد الرزاق ١١/٤٢١ ـ ٤٢٢ (٢٠٨٩١) من رواية رجل عن عتبة به..

وأخرجه الترمذى من رواية الحسن عن عتبة فى كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء فى صفة قعر جهنم ٤/٧٠٢ (٢٥٧٥).

(٦) أخرجه أحمد١/٣، ٧، بإسناد صحيح، والطيالسى صـ٣ (٥)، والحميدى ١/٣، ٦ (٢، ٧)، وابن أبى =

٢٤٧ ـ وعن سعيد بن المسيب قال: سمعت عثمان يخطب على المنبر، وهو يقول: كنت أبتاع التمر من بطن من اليهود يُقال لهم بنو قينقاع، فأبيعه بربح، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: «**يا عثمانُ، إذا اشتريتَ فاكْتَلْ، وإذاَ بعْتَ فكِلْ**»[١].

٢٤٨ ـ وعن رِبْعى بن حِراشٍ، أنه سمع عليّاً رضي الله عنه يخطبُ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكذبوا علىَّ، فإنه من يكذبْ علىَّ يَلج النار**»[٢].

٢٤٩ ـ وعن حُمَيد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبى ﷺ يقول: «**مَنْ يُرد اللهُ به خيراً يُفقِّهه فى الدين، وإنما أنا قاسمٌ، واللهُ يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمةً على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمرُ الله**»[٣].

وخُطب الصحابة رضوان الله عليهم التى ضمَّنوها رواياتهم عن رسول الله ﷺ كثيرة جداً، وانظر فى ذلك الباب السادس عشر من كتاب «حياة الصحابة» للكاندهلوى، بعنوان: باب خطب الصحابة، فقد أورد من ذلك شيئاً كثيراً.

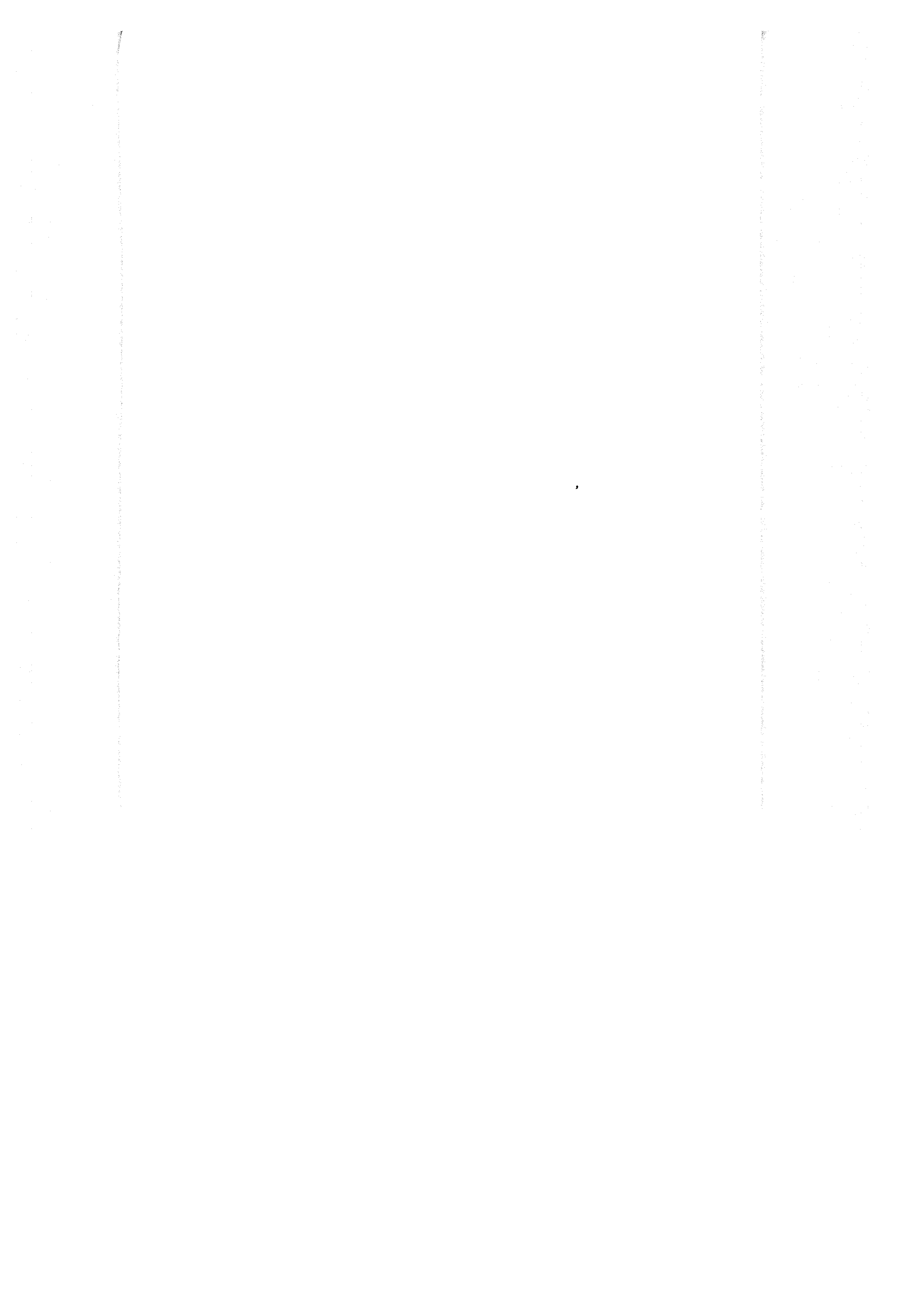
= شيبة فى المصنف ٨/ ٥٣٠، وابن ماجه فى كتاب: الدعاء، باب: الدعاء بالعفو والعافية ٢/ ١٢٦٥ (٣٨٤٩)، والبخارى فى الأدب المفرد صـ ٢١٦ ـ ٢١٧ (٧٢٤)، وأبو يعلى ١/ ١١٢ (١٢١ : ١٢٤)، وصححه ابن حبان ١٣/ ٤٣ (٥٧٣٤)، والحاكم ١/ ٥٢٩ ووافقه الذهبى، وأخرجه المزى فى تهذيب الكمال ٣/ ٣٩٥.

وأخرجه الترمذى فى كتاب: الدعوات، باب رقم (١٠٦) بدون ٥/ ٥٥٧ (٣٥٥٨)، وأحمد ١/ ٣ من طريق معاذ بن رفاعة عن أبيه قال: قام أبو بكر. فذكره.

(١) أخرجه أحمد ١/ ٦٢، ٧٥، وعبد بن حميد فى المنتخب (٥٢)، وابن ماجه فى كتاب: التجارات، باب: بيع المجازفة ٢/ ٧٥٠ (٢٢٣٠)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار ٤/ ١٧، والبيهقى فى الكبرى ٥/ ٣١٥.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٨٣, ١٢٣، ١٥٠ والطيالسى صـ١٧ (١٠٧)، والبخارى فى كتاب: العلم، باب إثم من كذب على رسول الله ، ١/ ١٩٩ (١٠٦)، والترمذى فى كتاب: العلم، باب: ما جاء فى تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ ٥/ ٣٥ (٢٦٦٠)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: التغليظ فى تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ١٣ (٣٠)، وأبو يعلى ١/ ٣٩٤ (٥١٣)، و ٤٦١ (٦٢٧).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان، باب من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ١/ ١٦٤ (٧١)، وانظر (٣١١٦، ٣٦٤١، ٧٣١٢، ٧٤٦٠)، ومسلم فى كتاب: الزكاة، باب: النهى عن المسألة ٢/ ٧١٩ (١٠٣٧/ ١٠٠)، وأحمد ٤/ ١٠١، والطبرانى فى الكبير ١٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ (٧٥٥، ٧٥٦)، والدارمى فى المقدمة، باب: الاقتداء بالعلماء ١/ ٨٥ (٢٢٤، ٢٢٦)، وابن حبان ١/ ٢٩١ (٨٩)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٢٩١ (٨٩)، والخطيب فى «الفقيه والمتفقه» ١/ ٧.



الفصل الثالث

قواعد الرواية عند الصحابة

وضع الصحابة رضوان الله عليهم من قواعد الرواية ما يضمن سلامة النقل للسنة المباركة، وعدم الوهم فيها، أو الزيادة عليها، أو النقص منها، مدفوعين إلى ذلك بحبهم العميق لهذا الدين، وإيمانهم الصادق بهذه الرسالة، وإحساسهم العظيم بدورهم ورسالتهم، باعتبارهم حملة الدين إلى الدنيا.

وسأتناول فيما يلى أهم قواعد الرواية عند الصحابة رضى الله عنهم:

١ ـ التقليل من الرواية ما أمكن: كان كثير من الصحابة يقلِّل فى الرواية عن رسول الله ﷺ،ويتدافعون الرواية والفتوى فيما بينهم، يود كلٌّ منهم أن يكفيه أخوه، ويرفع عنه إثم الكتم وعبء الرواية:

٢٥٠ ـ فعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: «أدركت عشرين ومائةً من أصحاب النبى ﷺ ـ أُرَاه قال: فى هذا المسجد ـ فما كان منهم محدِّثٌ إلاَّ ودَّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مُفْتٍ إلا وَدَّ أن أخاه كفاه الفتيا»(١).

٢٥١ ـ وعن مَعْن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: قال عبد الله ابن مسعود: «إن استطعتَ أن تكون أنت المحدَّث فافعل»(٢).

٢٥٢ ـ وعن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال: «صحبتُ سعد بن مالك

---

(١) أخرجه عبد الله بن المبارك فى «الزهد» صـ١٩ (٥٨) عن الثورى، عن عطاء بن السائب عن ابن أبى ليلى، وإسناده صحيح؛ لأن سفيان سمع من عطاء قبل الاختلاط، ومن طريق ابن المبارك أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١١٢٠ (٢١٩٩)، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٦/ ١١٠، وأخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: من هاب الفتيا وكره التنطع ١/ ٦٥ (١٣٥) عن أبى نعيم عن سفيان. وأخرجه أبو خيثمة فى كتاب العلم صـ١٠ (٢١) عن جرير عن عطاء، ومن طريقه ابن عبد البر (٢٢٠١ ـ ٢٢٠٢) وأخرجه ابن سعد ٦/ ١١٠ و الآجرى فى «أخلاق العلماء» صـ١٠٢ من طريق شعبة عن عطاء.

(٢) أخرجه وكيع فى الزهد (٥١١) عن مسعر بن كدام عن معن، ورجاله ثقات، غير أنه منقطع بين مَعْن وجده عبد الله بن مسعود، ومن طريق وكيع أخرجه أبو خيثمة فى كتاب العلم صـ٩ (١٨)، وأحمد بن حنبل فى الزهد (١٩٨).

وله شاهد عن ابن شبرمة قال: قال ابن مسعود رضى الله عنه لتميم بن حذلم. فذكره، أخرجه ابن المبارك فى الزهد صـ٨ (٥٣) وهو منقطع أيضا بين ابن شبرمة وابن مسعود، ومن طريق ابن المبارك أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١١٢١ (٢٢٠٠).

(هو ابن أبى وقاص) من المدينة إلى مكة، فما سمعتُه يحدِّث عن رسول الله ﷺ، بحديثٍ واحد»[١].

٢٥٣ ـ وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: «كان عبدُ الله (يعنى ابن مسعود) يمكث السنة لا يقول: قال رسول الله ﷺ، فإذا قال: قال رسول الله ﷺ أخذته الرِّعدة، ويقول: هكذا، أو نحوه، أو شبهه»[٢].

٢٥٤ ـ وعن عامر بن شراحيل الشعبى قال: «جالستُ ابنَ عمر سنةً، فلم أسمعه يذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ»[٣].

أما أسباب هذا التقليل فيمكن إجمالها فيما يلى:

أ ـ الخوف من الوقوع فى الخطأ وشبهة الكذب بسبب كثرة التحديث، فإن الإكثار قد يجرُّ المحدِّث إلى رواية ما لم يتقن حفظه، فيقع فى الخطأ، ثم إن ضبط قليل الرواية أكثر من ضبط كثيرها، وأبعد من السهو والغلط، ولذا جاء النهى عن أن يحدث الإنسان بكل ما سمع:

٢٥٥ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع**»[٤].

٢٥٦ ـ وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «بحسب المرء من الكذب أن يحدِّث بكلِّ ما سمع»[٥].

قال النووى: «فيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع فى العادة الصدق والكذب، فإذا حدّث بكل ما سمع فقد كذب، لإخباره بما لم يكن وقد تقدم أن مذهب أهل الحق أن الكذب: الإخبارُ عن الشىء بخلاف ما هو، ولا

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة، باب: التوقى فى الحديث عن رسول الله ﷺ ١/ ١٢ (٢٩)، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٥٧ (٧٥٢).

(٢) أخرجه الرامهرمزى فى المحدِّث الفاصل صـ٥٤٩ (٧٣٣)، وأحمد ١/ ٤٢٣.

(٣) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب من هاب الفتيا مخافة السقط ١/ ٩٦ (٢٧٣)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: التوقى فى الحديث عن رسول الله ﷺ ١/ ١٠ (٢٦)، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٥١ (٧٣٩)، والبيهقى ١/ ١١.

(٤) أخرجه مسلم فى مقدمة الصحيح، باب: النهى عن الحديث بكل ما سمع ١/ ١٠ (٥).

(٥) مسلم فى السابق ١/ ١١.

يشترط فيه التعمد، لكن التعمد شرطٌ فى كونه إثماً، والله أعلم»[١].

ولهذا السبب أيضاً جاء التحذير من كثرة الحديث:

٢٥٧ ـ فعن أبى قتادة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «**يا أيها الناس، إياكم وكثرة الحديث عنى، فمن قال علىَّ فلا يقلْ إلا حقاً ـ أو صدقا ـ ومن قال علىَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**»[٢].

وهذا السبب ـ خوف الخطأ ـ هو الذى منع أنس بن مالك من التحديث ببعض ما سمعه من النبى ﷺ:

٢٥٨ ـ فعن عَتَّاب مولى هرمز أو ابن هرمز، قال: سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: «لولا أنى أخشى أن أخطىء لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله ﷺ ـ أو قالها رسول الله ﷺ، وذاك أنى سمعته ﷺ يقول: «من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٣].

٢٥٩ ـ وعن عبد العزيز بن صهيب قال: قال أنس: إنه ليمنعنى أن أحدِّثكم كثيراً أن النبى ﷺ قال: «**من تعمَّد علىَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار**»[٤].

٢٦٠ ـ وعن ثابت البُنانى أن بنى أنس بن مالك رضى الله عنه قالو لأبيهم: يا أبانا، ألا تحدثنا كما تحدث الغرباء؟ قال: «أى بَنِىَّ، إنه من يُكْثِر يُهْجِر»[٥].

---

(١) شرح النووى ١/ ٦٩.

(٢) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: اتقاء الحديث عن النبى ﷺ والتثبت فيه ١/ ٨٩ (٢٣٧)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: التغليظ فى تعمد الكذب على رسول الله ١/ ١٤ (٣٥)، وابن أبى شيبة ٨/ ٥٧٣، وأحمد ٥/ ٢٩٧، والطحاوى فى مشكل الآثار ١/ ١٧٢، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٥٨ (٧٥٤)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١٠١٣ (١٩٣٣)، وصححه الحاكم على شرط مسلم ١/ ١١١، ووافقه الذهبى.

وأخرجه ابن عدى فى مقدمة «الكامل» صـ٧٠ عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: قلت لأبى قتادة: حدثنى بشىء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إنى أخشى أن تزل لسانى بشىء لم يقله رسول الله ﷺ . . . وذكر الحديث.

(٣) أخرجه الدارمى بإسناد صحيح فى المقدمة، باب: اتقاء الحديث عن النبى ﷺ والتثبت فيه ١/ ٨٨ (٢٣٥). وابن عدى فى مقدمة الكامل صـ٧٠.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: إثم من كذبَ على النبى ﷺ ١/ ٢٠١ (١٠٨). قال ابن حجر فى الفتح ١/ ٢٠١: «ومع ذلك فأنس من المكثرين؛ لأنه تأخرت وفاته، فاحتيج إليه، ولم يمكنه الكتمان. ويجمع: بأنه لو حدَّث بجميع ما عنده لكان أضعاف ما حدَّث به».

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢ من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت به، وهذا إسناد =

كما أن الخوف من الخطأ هو الذى منع حوارىَّ رسول الله ﷺ من كثير من الحديث:

٢٦١ ـ فعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال: قلت للزبير: إنى لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدِّث فلانٌ وفلان. قال: أمَا إنى لم أفارقه، ولكن سمعته يقول «**من كذب علىَّ** (زاد فى بعض الروايات: **متعمداً**) **فليتبوَّأ مقعده من النار**»[١].

قال الحافظ ابن حجر: «فى تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه من اختيار قلة التحديث دليل للأصح فى أن الكذب هو الإخبار بالشىء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمداً أم خطأً، والمخطىء، وإن كان غير مأثوم بالإجماع؛ لكن الزبير خشى من الإكثار أن يقع فى الخطأ وهو لا يشعر، لأنه، وإن لم يأثم بالخطأ؛ لكن قد يأثم بالإكثار، إذ الإكثار مظنَّة الخطأ، والثقة إذا حدث بالخطأ فحُمل عنه وهو لا يشعر أنه أخطأ يُعْمَلُ به عَلى الدوام؛ للوثوق بنقله، فيكون سبباً للعمل بما لم يقله الشارع.

فمن خشىِ من الإكثار الوقوعَ فى الخطأ لا يُؤْمَنُ عليه الإثم إذا تعمد الإكثار. فمن ثَمَّ توقف الزبير وغيره من الصحابة عن الإكثار من التحديث، وأما مَنْ أكثر منهم فمحمولٌ على أنهم كانوا واثقين من أنفسهم بالتثبت، أو طالت أعمارهم فاحتيج إلى ما عندهم، فسئلوا فلم يمكنهم الكتمان رضى الله عنهم»[٢].

ب ـ وجود من يكفيهم مؤونة الرواية وعبء التحديث:

٢٦٢ ـ فعن سعد بن مسعودٍ قال: قيل لرجلٍ من أصحاب النبى ﷺ: مالك لا تحدِّث كما يحدث فلان وفلان؟ فقال: «ما بى أن لا أكون سمعتُ مثل ما سمعوا، أو حضرت مثل ما حضروا، ولكنِ لم يَدْرُس الأمر بعدُ، والناس متماسكون، فأنا أجد من يكفينى، وأكره التزيُّد والنقصان فى حديث رسول الله ﷺ»[٣].

= صحيح، و«يهجر» من الهُجر ـ بالضم ـ وهو التخليط والهذيان فى الكلام.

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: إثم من كذب على النبى ﷺ ١/ ٢٠٠ (١٠٧)، وأبو داود فى كتاب: العلم، باب: التشديد فى الكذب على رسول الله ﷺ ٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠ (٣٦٥١)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: التغليظ فى تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ٣٢ (٣٦)، وأحمد ١/ ١٦٥، ١٦٧.

(٢) فتح البارى ١/ ٢٠١.

(٣) أخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٢٦٦.

٢٦٣ ـ وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: «ما يمنعنى أن أحدِّث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون أوعى أصحابه عنه، لكن أشهد لسمعته يقول: «**من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**»[١].

جـ ـ **الخوف من مخالفة غيره من الرواة**، إذ أن ذلك مدعاة للشك فى ضبط الحديث، وحفظه، وممن امتنع من رواية بعض الحديث لذلك عمران بن حصين رضى الله عنه:

٢٦٤ ـ فعنه رضى الله عنه قال: «سمعت من رسول الله ﷺ أحاديث، سمعتُها وحفظتُها، ما يمنعنى أن أحدِّث بها إلا أنَّ أصحابى يخالفونى فيها»[٢].

٢٦٥ ـ وفى رواية عن مُطَرِّف قال: قال لى عمران بن الحُصَين: «أى مُطَرِّف، والله إن كنتُ لأرى أنى لو شئتُ حدَّثتُ عن رسول الله ﷺ يومين متتابعين لا أعيد حديثاً، ثم لقد زادنى بُطْأً عن ذلك وكراهيةً له: أن رجالاً من أصحاب محمد ﷺ ـ أو بعض أصحاب محمد ﷺ ـ شهدتُ كما شهدوا، وسمعتُ كما سمعوا، يحدثون أحاديث ما هى كما يقولون، ولقد علمتُ أنهم لا يَأْلُون عن الخير، فأخاف أن يُشَبَّه لى كما شُبِّه لهم».

فكان أحياناً يقول: لو حدثتكم أنى سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول كذا وكذا رأيتُ أنى قد صدقتُ. وأحياناً يعزم يقول: سمعت نبيَّ الله ﷺ يقول كذا وكذا»[٣].

د ـ **خوف شغل الناس بالسنة عن القرآن**، وبخاصة إذا كانوا من المسلمين الجدد، لما قد يجره ذلك من إقبالهم على السنة قبل تمام حفظهم للقرآن الكريم، أو قد يجر إلى بعض الخلافات نتيجة عدم الفهم الصحيح للسنة، وهذا هو السبب فى دعوة عمر رضى الله عنه الصحابة إلى الإقلال من الرواية:

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٦٥، والبزار (كشف الأستار) ١/ ١١٣ (٢٠٥)، وزاد الهيثمى فى المجمع ١/ ١٤٣ عزوه لأبى يعلى (ولعله فى مسنده الكبير فإن المسند الموجود ليس فيه مسند لعثمان) وقال: «رجاله رجال الصحيح، وفيه عبد الرحمن بن أبى الزناد، وهو ضعيف وقد وثق»، وأخرجه ابن عدى فى مقدمة الكامل صـ ٧٠.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٨/ ١٠٥ (١٩٥)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٤١: «رجاله موثقون».

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٤٣٣، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٤١: «فيه أبو هارون الغنوى، لم أر من ترجمه».
قلت: ترجمه ابن حجر فى «تعجيل المنفعة» ٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٤ (١٤١٢) وهو مجمع على توثيقه. وانظر مصادر ترجمته الأخرى فى هامش التعجيل.

٢٦٦ ـ فعن قرظة بن كعب رضى الله عنه قال: «خرجنا نريد العراق، فمشى عمر رضى الله عنه معنا إلى صِرَار[١]، فتوضأ فغسل اثنتين، ثم قال: «أتدرون لم مشيتُ معكم؟» قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله ﷺ مشيتَ معنا. قال: «إنكم تأتون أهلَ قريةٍ لهم دَوِيٌّ بالقرآن كدَوِيِّ النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جرِّدوا القرآن[٢]، وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ، امضوا وأنا وشريككم».

فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا. قال: نهانا عمر بن الخطاب»[٣].

قال الدارمى بعد رواية الحديث: «معناه عندى الحديث عن أيام رسول الله ﷺ، ليس الفرائض والسنن».

قال الحافظ ابن عبد البر: «إن وجه قول عمر هذا إنما كان لقومٍ لم يكونوا أحصوا القرآن، فخشى عليهم الاشتغال بغيره عنه؛ إذ هو الأصل لكل علم هذا معنى قول أبى عبيد»[٤].

وقال الحافظ الذهبى: «وقد كان عمر من وجله أن يخطىء الصاحب على رسول الله ﷺ يأمرهم أن يُقلّوا الرواية عن نبيهم، ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن»، ثم ذكر القصة[٥].

أى أنه لم يكن قصد أمير المؤمنين رضى الله عنه ـ كما فهم بعض الطاعنين فى السنة ـ الزهد فى رواية الأحاديث، أو الطعن على أهلها ورواتها. حاشاه من

(١) صِرار بئر قديمة على ثلاثة أميال من طريق العراق، وقيل: موضع على طريق الكوفة ،قال الدرامى فى السنن ٢/ ٩٧: «ماء فى طريق المدينة».

(٢) يعنى لا تخلطوه بغيره.

(٣) أخرجه الحاكم ١/ ١٠٢ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، له طرق تجمع ويذاكر بها»، ووافقه الذهبى، وابن عبد البر ـ واللفظ له ـ فى جامع بيان العلم ٢/ ٩٩٩ ـ ١٠٠٠ (١٩٠٦)، و٩٩٨ (١٩٠٤)، والدارمى فى المقدمة، باب: من هاب الفتيا مخافة السقط ١/ ٩٧ (٢٧٩، ٢٨٠)، والخطيب فى شرف أصحاب الحديث صـ٨٨.

وأخرجه ابن ماجه فى المقدمة، باب: التوقى لحديث رسول الله ﷺ ١/ ١٢ (٢٨) وفى إسناده مجالد بن سعيد ضعيف، وقد تابعه بيان بن بشر عند الحاكم وابن عبد البر والخطيب، وهو ثقة جليل.

وأخرج آخره «أقلوا... الخ» الرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٥٣ (٧٤٤)، وابن عبد البر (١٩٠٥).

(٤) جامع بيان العلم ٢/ ١٠٠٤.

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٦ ـ ٧.

ذلك؛ إذ «لو كره الرواية وذمَّها لنهى عن الإقلال منها والإكثار»، فإنه «لا يخلو الحديث عن رسول الله ﷺ من أن يكون خيراً أو شراً، فإن كان خيراً ـ ولا شك فيه أنه خير ـ فالإكثار من الخير أفضل، وإن كان شراً فلا يجوز أن يُتوهم أن عمر رضى الله عنه يوصيهم بالإقلال من الشر، وهذا يدلك على أنه إنما أمرهم بذلك؛ خوف مواقعة الكذب على رسول الله ﷺ، وخوف الاشتغال عن تدبر السنن والقرآن؛ لأن المكثر لا تكاد تراه إلا غير متدبر ولا متفقه»[(١)].

ومما يدل لذلك أيضاً أن عمر ـ مع قرب موته من النبى ﷺ، فإنه روى حديثًا كثيراً عن النبى ﷺ، فله فى مسند بقى بن مخلد (٥٣٧) خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا، وفى مسند أحمد (٣١٠) ثلاثمائة وعشرة أحاديث، ولا يسبقه فى عدد مروياته إلا عشرة من الصحابة، رضى الله عنهم أجمعين[(٢)].

وأما ما رُوِى عنه من حبسه لبعض الصحابة بالمدينة لإكثارهم من الحديث، فضعيف لا تقومِ به حجة[(٣)].

هـ ـ امتنع بعض الصحابة من التحديث بسبب كبر سنهم، وخوفهم من الغلط الناشىء عن ضعف الذهن ووهن الذاكرة بسبب الكبر، كما فعل زيد بن أرقم:

٢٦٧ ـ فعن ابن أبى ليلى قال: كنا إذا أتينا زيد بن أرقم، فنقول له: حدثنا عن رسول الله ﷺ، يقول: «إنا كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله ﷺ شديد»[(٤)].

٢ ـ التثبت والاحتياط فى الأداء:

مثلما كان الصحابة رضوان الله عليهم يحتاطون ويتثبتون عند تحمل بعضهم

---

(١) انظر: جامع بيان العلم، باب: «ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه» ٢/ ٩٩٨: ١٠٣٦، ففيه كلام طيب سديد.

(٢) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزى صـ٣٦٣، وأسماء الصحابة لابن حزم صـ٣٣، وبحوث فى تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم العمرى صـ٣٩١.

(٣) انظر: مجمع الزوائد للهيثمى ١/ ١٤٩. وانظر ما كتبه الدكتور محمد عجاج الخطيب حول هذه الرواية فى «السنة قبل التدوين» صـ١٠٦ : ١١٠، ففيه مناقشة جيدة مفيدة لهذه المسألة.

(٤) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة: باب: التوقى فى الحديث عن رسول الله ﷺ ١/ ١١ (٢٥) والطيالسى ـ بإسناد صحيح ـ ٩٣ (٦٧٦)، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٥٠ (٧٣٧) ـ واللفظ له ـ وابن عدى فى مقدمة الكامل صـ٤٠، والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ١١، والخطيب فى الكفاية صـ٢٦٥.

عن بعض، فإنهم كانوا يحتاطون ويتثبتون عند أدائهم للحديث، حذراً من الغلط، وخوفاً من الوقوع فى شبهة الكذب، فيروى أحدهم ما لا يرتاب فى حفظه، ويتوقف عما عارضه الشك فيه، وقد رأيتَ ـ فيما سبق ـ كيف كان ذلك يدفعهم للامتناع من التحديث أو الإقلال منه، والتحديث بما لا يشك فى حفظه.

٢٦٨ ـ عن يحيى بن ميمون الحضرمى أن أبا موسى (مالك بن عبادة) الغافقى رضى الله عنه سمع عقبة بن عامرٍ الجهنى يحدث على المنبر، عن رسول الله ﷺ أحاديث، فقال أبو موسى: إن صاحبكم هذا لحافظٌ أو هالك، إن رسول الله ﷺ كان آخر ما عهد إلينا أن قال: «**عليكم بكتاب الله، وسترجعون إلى قومٍ يحبون الحديث عنِّى، فمن قال علىَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار، ومَنْ حفظ شيئاً فليُحدِّثْ به**»[١].

وكذلك كان عمر بن الخطاب يوصى بعدم التحديث عنه إلا لمن حفظ ما يرويه وعقله، وإلا فلا يحدِّث بما يشك فى حفظه:

٢٦٩ ـ فعن ابن عباس رضى الله عنهما، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «أما بعد، فإنى أريد أن أقول مقالةً قد قُدِّر أن أقولها، لا أدرى لعلها بين يدى أجلى، فمن وعاها وعقلها وحفظها فليحدِّث بها حيث تنتهى به راحلته، ومَنْ خشى أن لا يَعيَها فإنى لا أُحلُّ لأحدٍ أن يكذب علىَّ»[٢].

وكان أبو هريرة رضى الله عنه يبدأ مجلس التحديث بذكر حديث التحذير من الكذب، إشارة إلى تثبته فيما يرويه؛ لئلا يعرِّض نفسه للعذاب:

٢٧٠ ـ فعن كليب بن شهاب الجَرْمى قال: سمعت أبا هريرة رضى الله عنه

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٣٤، والبزار (مختصراً فى كشف الأستار) ١/ ١١٧ (٢١٦)، والطبرانى فى الكبير ١٩/ ٢٩٥ (٦٥٧)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٤٤: «رجاله ثقات»، وأخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٢٥٧، وابن عدى فى مقدمة الكامل صـ٣٣.

(٢) أخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٢٥٧ بإسناد صحيح، وعلّقه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١٠٠٥ (١٩١٥).

وهو فى الأصل جزء من حديث السقيفة الذى ذكر فيه عمر رضى الله عنه فريضة الرجم للزانى ردّا على من يظن أنها ليست مشروعة، لأنها ليست فى القرآن وقد روى هذا الحديث مختصراً ومطولاً. انظر: البخارى (٢٤٦٢، ٣٤٤٥، ٣٩٢٨، ٤٠٢١، ٦٨٢٩، ٦٨٣٠، ٧٣٢٣) ومسلم (١٦٩١)، وأبا داود (٤٤١٨)، والترمذى (١٤٣٢)، وابن ماجه (٢٥٥٣)، وأحمد ١/ ٥٥ ـ ٥٦.

يقول، وكان يبتدىء حديثه بأن يقول: قال رسول الله ﷺ أبو القاسم الصادق المصدوق: «**من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[١].

كما كان بعض الصحابة يرتعد عند رواية الحديث، فَرَقاً أن لا يكون متثبتاً مما يروى، ومن اللفظ الذى يرويه، وخوفاً من أن يكون الوهم قد دخل عليه.

٢٧١ ـ فعن الشعبى عن مسروق، عن عبد الله (ابن مسعود) أنه حدث يوماً بحديثٍ، فقال: «سمعت رسول الله ﷺ»، ثم أرْعِد، وأُرْعِدت ثيابُه، وقال: «أو نحو هذا، أو شبه هذا»[٢].

٢٧٢ ـ وروى عمرو بن ميمون عنه نحو ذلك فقال: «... فما سمعتُه قط يقول: قال رسول الله ﷺ إلا مرةً، فنكس رأسه، فرفع رأسه، فرأيته قد حلَّ إزاره، وانتفخت أوداجه، واغرورقت عيناه، قال: أو فوق ذاك، أو قريباً من ذاك، أو شبيهاً بذاك».

وفى رواية: «إلا أنه جرى على لسانه يوماً، فقال: قال رسول الله ﷺ، فعلاه كرب حتى جعل يعرق، ثم قال: إن شاء الله ذا، أو دون ذا، أو نحو ذا»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد ـ بإسناد حسن ـ ٢/ ٤١٣، والدارمى فى المقدمة، باب: تأويل حديث رسول الله ﷺ ١/ ١٥٤ (٥٩٣).

والحديث المرفوع عن أبى هريرة صحيح. انظر: البخارى (١١٠، ٣٥٣٩، ٦١٨٨، ٦١٩٧، ٦٩٩٣)، ومسلم فى المقدمة (٣)، وأبو داود (٣٦٥٧)، وأحمد ٢/ ٣٢١، ٤١٠.

(٢) أخرجه ابن عبد البر بسندٍ صحيح فى جامع بيان العلم ١/ ٣٤٣ (٤٦٢)، والخطيب فى الكفاية صـ٣١٠.. وأخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: من هاب الفتيا مخافة السقط ١/ ٩٧ (٢٨١) عن الشعبى عن علقمة بنحوه.

وأخرجه الخطيب فى الجامع ١/ ٦٥٨ (١٠٢٠) و ٢/ ٢٦ (١١١٣) عن الشعبى عن عبد الله بن مسعود، لم يذكر مسروقاً ولا علقمة.

(٣) انظر القصة فى سنن ابن ماجه فى المقدمة، باب: التوقى فى الحديث عن رسول الله ﷺ ١/ ١٠ ـ ١١ (٢٣)، ـ وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح ـ وسنن الدارمى فى المقدمة، باب: من هاب الفتيا مخافة السقط ١/ ٩٥ (٢٧٠)، والمستدرك للحاكم ١/ ١١١، وصححه ووافقه الذهبى، والمحدث الفاصل للرامهرمزى صـ٥٤٩ (٧٣٤) وابن عدى فى مقدمة الكامل صـ٤٣، والجامع للخطيب ١/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩ (١٠٢١)، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ٣٤٤ (٤٦٣).

وروى مثل ذلك عن أنس، وعن أبى الدرداء[١]، وغيرهم رضى الله عنهم.

٣ ـ توثيق الرواية وبخاصة عند الحاجة:

كان الصحابة رضوان الله عليهم مع تمام صدقهم وعدالتهم ـ حريصين على توثيق رواياتهم، وبخاصة إذا دعت إلى ذلك حاجة، كأن سئلوا عن سماعهم، أو شعروا بتشكك من يحدثونهم، أو نحو ذلك.

وكان هذا التوثيق يأخذ أشكالاً متنوعة، كذكر عدد مرات سماعه للحديث من النبى ﷺ، أو ذكر تاريخ الحديث، أو وصف حالة النبى ﷺ عند إلقاء الحديث والمكان الذى كان فيه، والظروف المصاحبة لذلك، أو وصف قربه من النبى ﷺ عند إلقاء الحديث، أو التأكيد بسماع الأذن وبصر العين، أو الحلف على سماع الحديث من النبى ﷺ أو نحو ذلك، وهناك أمثلة تدل على ذلك:

٢٧٢ ـ عن أبى غالب ـ واسمه حَزَوَّر، أو سعيد بن حَزَوَّر ـ قال: رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبةً على دَرَج مسجد دمشق، فقال أبو أمامة: «**كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خيرُ قَتْلى: مَن قتلوه**» ثم قرأ ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ إلى آخر الآية [آل عمران: ١٠٦].

قلت لأبى أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: «لو لم أسمعه إلا مرةً أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً ـ حتى عدَّ سبعاً ـ ما حدثتكموه»[٢].

وقد سبق حديث أبى أمامة عن عمرو بن عبسة السلمى فى قصة إسلامه، وفى آخره قول عمرو: «لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرةً أو مرتين أو ثلاثا ـ حتى عدَّ سبع مرات ـ ما حدثت به أبداً، ولكنى سمعتُه أكثر من ذلك»[٣].

---

(١) أما روى عن أنس فأخرجه ابن ماجه فى الموضع السابق (٢٤)، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٥٠ (٧٣٦)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣ (٤٦١)، والخطيب فى الكفاية صـ٣١١، وفى الجامع ٢/ ٢٧ ـ ٢٨ (١١١٦ ـ ١١١٧).

وأما ما روى عن أبى الدرداء، فأخرجه أبو خيثمة فى كتاب العلم صـ٢٦ (١٠٥)، والدارمى فى المقدمة، باب: من هاب الفتيا مخافة السقط ١/ ٩٥ (٢٦٨ ـ ٢٦٩)، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٧/ ٣٩٢، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٥٠ (٧٣٥)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ (٤٥٩ ـ ٤٦٠)، والخطيب فى الكفاية صـ٣١٠، وفى الجامع ٢/ ٢٧ (١١١٤ ـ ١١١٥)، وعزاه الهيثمى فى المجمع ١/ ١٤١ للطبرانى فى الكبير، وقال: «رجاله ثقات».

(٢) المقصود بالقتلى: الخوارج، والحديث أخرجه الترمذى وقال: حسن ـ فى كتاب: التفسير، تفسير سورة آل عمران ٥/ ٢٢٦ (٣٠٠٠).

(٣) سبق برقم (١٩٨).

وفى حديث الوليد بن عبادة بن الوليد عن أبى اليسر كعب بن عمرو الأنصارى؛ قال أبو اليسر: «أشهد بَصُر عينىَّ هاتين، وسمع أذنىّ هاتين، ووعاه قلبى»[١].

٢٧٤ ـ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت رِدْف النبى ﷺ، ليس بينى وبينه إلا مُؤْخِرَة الرَّحْل[٢]، فقال: «**يا معاذُ بنَ جبل**». قلت: لبَّيْك رسول الله وسعديك... الحديث فى حق الله على العباد وحق العباد على الله[٣].

قال النووى فى التعليق على قوله «ليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرحل»: «أراد المبالغة فى شدة قربه؛ ليكون أوقع فى نفس سامعه؛ لكونه أضبط»[٤].

٢٧٥ ـ ومن ذلك قول أنس بن مالك رضى الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ، والحلاَّقُ يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرةٌ إلا فى يد رجل»[٥].

فقد وصف أنس الحالة والهيئة التى كان عليها النبى ﷺ والناس من حوله حين جلس للحلاق.

٢٧٦ ـ ومن الحلف ما رواه المقداد بن الأسود قال: أيم الله، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن السعيد لَمَنْ جُنِّب الفتن، إن السعيد لَمَنْ جُنِّب الفتن، إن السعيد لَمَنْ جُنِّب الفتن، ولَمَنْ ابتُلى فصبر، فواهًا**»[*].

٤ ـ الرواية باللفظ ما أمكن:

كان الصحابة رضى الله عنهم حريصين على أداء الأحاديث بلفظها الذى سمعوه ما أمكنهم ذلك، من غير تغيير ولا تقديم ولا تأخير، وممن عظمت عنايته بذلك: عبد الله بن عمر رضى الله عنهما:

(١) سبق تخريجه فى الفصل الخامس من الباب الثالث برقم (١٨٠).

(٢) الرِّدْف ـ بكسر الراء ـ والرديف: الراكب خلف الراكب، و«مؤخرة الرحل»: بضم الميم وسكون الهمزة وكسر الخاء تسهيلها، وفيه لغة أخرى بفتح الهمزة وتشديد الخاء، وهى: العود الذى يكون خلف الراكب. (انظر: شرح النووى على مسلم ١/ ١٨٦).

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١/ ٥٨ (٣٠/ ٤٨)، وقد سبق تخريج الحديث برقم (٤٥).

(٤) شرح النووى ١/ ١٨٦.

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب: الفضائل، باب: قرب النبى ﷺ من الناس وتبركهم ٤/ ١٨١٢ (٢٣٢٥/ ٧٥). والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٧/ ٤١٧.

(*) أخرجه أبو داود ـ بإسناد صحيح ـ فى كتاب: الفتن، باب: فى النهى عن السعى فى الفتنة ٤/ ١٠٢ (٤٢٦٣)، وإسناده صحيح.

٢٧٧ ـ فعن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم قال: «لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ إذا سمع من رسول الله ﷺ، لا يزيد فيه، ولا ينقص، ولا، ولا، مثل عبد الله بن عمر».

وفى رواية: «كان ابن عمر إذا سمع الحديث لم يزد فيه، ولم ينقص منه، ولم يجاوزه، ولم يقصر عنه»[١].

ويتضح ذلك فى المثال التالى:

٢٧٨ ـ عن سعد بن عبيدة، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ قال: «**بنى الإسلام على خمسة: على أن يُوَحَّد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج**». فقال رجلٌ: الحج وصيام رمضان؟ قال: «لا، صيام رمضان والحج، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ»[٢].

وربما سمع ابن عمر الرجل يبدل لفظاً بلفظ آخر فى معناه، فيرد عليه روايته ويذكر له اللفظ على ما سمعه من رسول الله ﷺ:

٢٧٩ ـ فعن أبى جعفر محمد بن على قال: «كان عبد الله بن عمر رضى الله عنه إذا سمع من النبى ﷺ شيئاً، أو شهد معه مشهداً لم يَقْصُر دونه أو يعدوه. قال: فبينما هو جالس وعُبَيْد بن عمير (ابن قتادة الليثى رضى الله عنه) يقص على أهل مكة، إذ قال عُبيد بن عُمير: «**مثل المنافق كمثل الشاة بين الغنمين، إن أقبلتْ إلى هذه الغنم نطحتها، وإن أقبلتْ إلى هذه نطحتها**». فقال عبد الله بن عمر: ليس هكذا. فغضب عبيد بن عمير، وفى المجلس عبد الله بن صفوان، فقال: يا أبا عبد الرحمن، كيف قال؟ رحمك الله. فقال: «**مثل المنافق مثلَ الشاة بين الربيضين**[٣]**، إن أقبلت إلى ذا الربيض نطحتها، وإن أقبلت إلى ذا الربيض نطحتها**»[٤] فقال له: رحمك الله، هما واحد. قال: «كذا سمعت»[٥].

---

(١) أخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٢٦٥.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب: الإيمان، باب: أركان الرسلام ودعائمه العظام ١/ ٤٥ (١٦/ ١٩)، وانظر تسمية الرجل وطرق الحديث المختلفة فى «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» بتحقيقى، الخبر (٥).

(٣) مثنى الربيض، وهو: الغنم برعاتها المجتمعة فى مرابضها (القاموس المحيط صـ٨٢٩).

(٤) فى أصل طبعة المسند الميمنية تحريف، والتصحيح من طبعة الشيخ أحمد شاكر ٧/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ (٥٥٤٦).

(٥) أخرجه أحمد ـ واللفظ له ـ بإسناد صحيح ٢/ ٨٢، و ٣٢، ٦٨، ٨٨، والطيالسى صـ٢٤٨ (١٨٠٢)، والدارمى فى المقدمة، باب: من رخص فى الحديث إذا أصاب المعنى ١/ ١٠٥ (٣١٨)، وعبد الرزاق =

ومن كان يفعل ذلك أيضا: أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه:

٢٨٠ ـ فعن حبيب بن عبيد الرحبى قال: «إن كان أبو أمامة ليحدثنا الحديث كالرجل الذى عليه أن يؤدى ما سمع»(١).

وقد كان عمر رضى الله عنه يوصى بذلك ويحض عليه.

٢٨١ ـ فعنه رضى الله عنه قال: «من سمع حديثاً فأدَّاه كما سمع فقد سَلِم»(٢).

وهذا هو مقتضى الحديث الشريف: **«نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً، فبلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مبلغٍ أوعى له من سامع»**(٣).

٥ ـ الرواية بالمعنى إذا صح المعنى: فإذا ما استصعب الإتيان باللفظ قام الصحابى برواية الحديث بالمعنى، وهم أعلم الناس باللغة وبمقاصد الشريعة، وأعرف الناس بنبيهم ومعانى كلامه الكريم، ومواقع خطابه ﷺ، والمحتمل من معانيه وغير المحتمل، وممن قال بذلك واثلةُ بن الأسقع رضى الله عنه:

٢٨٢ ـ فعن مكحول قال: دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع رضى الله عنه، فقلنا: يا أبا الأسقع، حدِّثْنا بحديث سمعتَه من رسول الله ﷺ، ليس فيه وهمٌ ولا زيادة ولا نقصان. قال: «هل قرأ أحدٌ منكم من القرآن هذه الليلة شيئا؟» قال: فقلنا: نعم، وما نحن له بحافظين، حتى إنا لنزيد الواو والألف، وننقص. قال: «فهذا القران مذ كذا بين أظهركم، لا تألون حفظه، وإنكم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ، عسى أن

= ١١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ (٢٠٩٣٤)، وصححه الحاكم ٣/ ٥٦١، وأخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٢٦٨ بنحوه والحديث المرفوع فى هذا عن ابن عمر من غير قصة المراجعة أخرجه مسلم فى كتاب: صفات المنافقين ٤/ ٢١٤٦ (٢٧٨٤/ ١٧)، والنسائى فى كتاب الإيمان، باب: مثل المنافق ٨/ ١٢٤، وأحمد ٢/ ٤٧، ١٠٢، ١٤٣، والطبرانى فى المعجم الصغير ١/ ٢١١، والقضاعى فى مسند الشهاب صـ٢٨٥ (١٣٧١: ١٣٧٤) والقصة رواها على نسق آخر ولكن بنفس المعنى المقصود هنا: عبد الله بن عبيد بن عمير أخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(١) أخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٢٦٦.

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١٠٠٨ (١٩١٩)، والخطيب فى الكفاية صـ٢٦٧، وفى الإسناد الردينى بن أبى مجلز، ذكره البخارى وابن أبى حاتم ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلا.

(٣) سبق تخريجه برقم (٢٥).

لا نكون سمعناها منه إلا مرة واحدة؟ حسبكم إذا حدثتكم بالحديث على المعنى»[١].

وممن قال بذلك عائشة رضى الله عنها:

٢٨٣ ـ فعن عروة بن الزبير قال: قالت لى عائشة رضى الله عنها: «يا بنى، إنه يبلغنى أنك تكتب عنى الحديث، ثم تعود فتكتبه». فقلت لها: أسمعه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره. فقالت: «هل تسمع فى المعنى خلافاً؟» قلت: لا. قالت: «لا بأس بذلك»[٢].

وكذلك فعل عدد كثير من الصحابة رضوان الله عليهم.

٢٨٤ ـ فعن زرارة بن أبى أوفى قال: «لقيتُ عدةً من أصحاب النبى ﷺ، فاختلفوا فى اللفظ، واجتمعوا فى المعنى»[٣].

٢٨٥ ـ وعن محمد بن سيرين قال: «كنت أسمع الحديث من عشرةٍ، اللفظ مختلف، والمعنى واحد»[٤].

٢٨٦ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «كنا نجلس إلى النبى ﷺ، عسى أن نكون عشرة نفرٍ، نسمع الحديث، فما منا اثنان يؤديانه، غير أن المعنى واحد»[٥].

٦ ـ الحض على عدم الأخذ إلا عن ثقة:

علم الصحابة رضوان الله عليهم أهمية السنة ومنزلتها، وأدركوا أنه لا بد أن

---

(١) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/٣٤٨ (٤٧١)، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٣٣ (٦٨٥)، والخطيب فى الكفاية صـ٣٠٨، وفى الجامع ٢/ ٢٠ ـ ٢١ (١٠٩٨). كما أخرجه الجزء الأخير منه فقط «حسبكم...» الدارمى فى المقدمة، باب: من رخص فى الحديث إذا أصاب المعنى ١/ ١٠٤ ـ ١٠٥ (٣١٥) وأبو خيثمة فى كتاب العلم صـ٢٦ (١٠٤)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٤١ (٤٥٨)، والخطيب فى الكفاية صـ٣٠٩ وإسناد الأثر إسناد حسن.

(٢) أخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٣) أخرجه الرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ ٥٣١.

(٤) أخرجه الرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٣٤ (٦٩٠)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٣٤٤ (٤٦٤ ـ ٤٦٥)، والخطيب فى الكفاية صـ٣١١، وإسناد الأثر صحيح.

(٥) أخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٣٠٩.

وروى الرامهرمزى نحوه عن أبى نضرة (الراوى عن أبى سعيد) قال: «إن كان الخمسة أو الستة لتحدث بالحديث، ليس منهم أحدٌ إلا يقدم ويؤخر، إلا أن المعنى واحد» (المحدث الفاصل صـ٥٤١ رقم ٧١١).

تحدث محاولات من بعض ضعاف النفوس وضعاف الإيمان، ممن يدخلون فى الإسلام حديثاً، ومن بعض الكائدين للدين، وذلك بالتساهل فى رواية كل ما يُعرض عليهم، أو حتى اختراع ووضع بعض النصوص، ونسبتها إلى النبى ﷺ، أو إلى بعض أصحابه، ولذلك وضعوا قاعدة عدم الأخذ إلا عن ثقة، وأوصوا تلامذتهم وبنيهم بذلك.

٢٨٧ ـ فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه، أنه لما حضرتْه الوفاةُ قال: «يا بَنِىَّ، إنى أنهاكم عن ثلاث، فاحتفظوا بها: لا تقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا عن ثقة، ولا تَدِينوا[١] وإن لبستم العَبَاء، ولا تكتبوا شعراً تشغلوا به قلوبكم عن القرآن»[٢].

ومن ثَمَّ بدأ الصحابة فى التفتيش والتدقيق قبل قبول الرواية، وفى تمييز المقبول من المردود، وبخاصة بعد أن حدثت الفتنة الكبرى، وظهرت بوادر الوضع فى الحديث:

٢٨٨ ـ قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «إن الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل، فيأتى القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب، فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه، ولا أدرى ما اسمه، يحدث»[٣].

٢٨٩ ـ وعن طاوس قال: جاء هذا إلى ابن عباس (يعنى بُشَير بن كعب) فجعل يحدثه، فقال له ابن عباس: «عُدْ لحديث كذا وكذا». فعاد له، ثم حدثه، فقال له: «عُدْ لحديث كذا وكذا». فعاد له، فقال له: ما أدرى، أعرفتَ حديثى كله، وأنكرتَ هذا؟ أم أنكرتَ حديثى كله، وعرفتَ هذا؟ فقال له ابن عباس «إنا كنا نحدِّث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يُكذَب عليه، فلما ركب الناس الصَّعْبَ والذَّلول تركنا الحديث عنه»[٤].

---

(١) لا تدينوا: أى لا تستدينوا، أى تأخذوا الدَّيْن.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٧/٢٦٨ (٧٣٧)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٤٠: «فى إسناده ابن لهيعة، ويحتمل فى هذا على ضعفه» وأخرجه الخطيب فى الكفاية صـ٧٢، وسماه «عقبة بن نافع القرشى».

(٣، ٤) أخرجها جميعا مسلم فى المقدمة، باب: النهى عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط فى تحملها ١/ ١٢ ـ ١٣. والصعب من الإبل: العَسِر غير المرغوب فيه، والذلول: السهل الطيب المرغوب فيه، فالمعنى: سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم (هامش صحيح مسلم ١/ ١٣) وانظر: الدارمى فى المقدمة، باب: فى الحديث عن الثقات ١/ ١٢٥ (٤٢٦، ٤٢٧)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: التوقى فى الحديث عن رسول الله ﷺ ١/ ١٢ (٢٧) وابن عدى فى مقدمة الكامل صـ٨٤ ـ ٨٥.

٢٩٠ ـ وعن طاوس، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إنما كنا نحفظ الحديث، والحديث يُحفَظ عن رسول الله ﷺ، فأمَّا إذْ ركبتم كل صعبٍ وذلولٍ، فهيهات»[١].

٢٩١ ـ وعن مجاهد قال: جاء بُشيرٌ العدوىُّ إلى ابن عباسٍ، فجعل يحدِّث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ. فجعل ابن عباس لا يَأْذَن (أى لا يستمع ولا يُصغى) لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباسُ ما لى لا أراك تسمع لحديثى؟ أحدِّثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: «إنا كنا مرَّةً إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرتْه أبصارُنا، وأصغيْنا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلاَّ ما نعرف»[٢].

٢٩٢ ـ وعن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم. فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثُهم، ويُنظَر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثُهم»[٣].

والمقصود بالفتنة: الفتنة الكبرى التى حدثت بمقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه، وانقسام الأمة إلى شِيَعٍ وفرقٍ وأحزاب.

٧ ـ نقد المتن:

لم يكن أحد من الصحابة يشك فى صدق أخيه وعدالته؛ فإنهم كانوا لا يكذبون ولا يعرفون ما الكذب، وما كان تثبُّت بعضهم من رواية بعضاً غمزاً ولا تكذيباً، وإنما كان احتياطاً للدين، لكنهم يعلمون ـ مع ذلك ـ أن السمع قد يخطىء، وأن العقل قد يفلت منه الشىء بعد الشىء لا يضبطه ولا يُحْكِمه، فينساه، أو يخطىء فى روايته، ولذلك اهتم الصحابة بنقد المتن، وذلك بعرضه على ما حفظوه وما علموه من نصوص وقواعد الشريعة، وخطَّأ بعضهم رواية بعض فيما اختلفوا فيه؛ لا من جهة الشك فى العدالة، بل من جهة ظن عدم الضبط.

وقد نبغ فى ذلك عمر وعائشة وابن عباس وغيرهم رضى الله عنهم.

(١، ٢) مسلم فى الموضع السابق

(٣) أخرجه مسلم فى المقدمة، باب: بيان أن الإسناد من الدين ١/ ١٥.

٢٩٣ - فمن ذلك حديث فاطمة بنت قيسٍ رضى الله عنها فى قصة طلاقها:
قالت: «طلَّقنى زوجى ثلاثاً فلم يجعل لى رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة»[1].

فهذا الحديث حين سمعه عمر وعائشة رضى الله عنهما انتقدا متنه:

٢٩٤ - فأما عمر: فروى أبو إسحاق السَّبِيعىُّ قال: كنت مع الأسود بن يزيد جالساً فى المسجد الأعظم، ومعنا الشعبىُّ، فحدَّث الشعبىُّ بحديث فاطمة بنت قيس: «أن رسول الله ﷺ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة». ثم أخذ الأسود كفًّا من حصىً، فَحصبَهَ به، فقال: ويلك! تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: «لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة، لا ندرى، لعلها حفظتْ أو نسيتْ، لها السكنى والنفقة. قال الله عز وجل ﴿ **لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ** ﴾[2] [الطلاق: ١].

٢٩٥ - وأما عائشة: فقالت - حين ذُكر الحديث - للقاسم بن محمد بن أبى بكر: «لا يضرك أن لا تذكر حديث فاطمة»[3].

٢٩٦ - وقالت لعروة بن الزبير: «أما إنه ليس لها خير فى ذكر هذا الحديث»[4].

٢٩٧ - وقالت كذلك: «ما لفاطمة؟ ألا تتقى الله؟» يعنى فى قولها «لا نفقة ولا سكنى»[5].

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الطلاق، باب: المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ٢/ ١١٢٠ (١٤٨٠/ ٥١)، وله طرق وروايات كثيرة، انظرها مع بيان اسم مطلِّقها فى الأخبار رقم (٤٠٥ : ٤٠٧) من كتاب «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» بتحقيقى.

(٢) أخرجه مسلم فى الموضع السابق (١٤٨٠/ ٤٦)، والترمذى فى كتاب: الطلاق، باب: المطلقة ثلاثاً لاسكنى لها ولا نفقة ٤/ ٣٥١ (١١٩١)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار ٣/ ٦٧، ٦٨، وابن حبان ١٠/ ٥١ (٤٢٤٠)، والبيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ٤٣١. وانظر: سنن أبى داود، كتاب: الطلاق، باب: من أنكر ذلك على فاطمة ٢/ ٢٨٨ (٢٢٩١).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الطلاق، باب: قصة فاطمة بنت قيس ٩/ ٤٧٧ (٥٣٢١)، (٥٣٢٢).

(٤) أخرجه البخارى فى نفس الموضع (٥٣٢٥، ٥٣٢٦)، ومسلم فى الموضع السابق (١٤٨١/ ٥٤)، وأبو داود فى الموضع السابق (٢٢٩٣).

(٥) أخرجه البخارى فى الموضع السابق (٥٣٢٣)، (٥٣٢٤).

٢٩٨ ـ وقال عروة: «عابت عائشةُ أشدَّ العيب، وقالت: إن فاطمة كانت فى مكان وحشٍ، فخِيف على ناحيتها، فلذلك أرخص لها النبى ﷺ»[١].

فعمر وعائشة رضى الله عنهما لم يقبلا حديث فاطمة، وتوقفا فى العمل به، أما عمر فلاحتمال خطئها ونسيانها، وأما عائشة فلاعتبار ذلك خاصّاً بها، خوفاً عليها من المكان الوحش، فلا يصح أن يروى على كونه عاماً فى كل بائنة بينونة كبرى، وقد أيدا نقدهما بالآية الكريمة التى تنهى عن إخراج المطلقات من البيوت، ما لم يأتين بفاحشة مبينة.

٢٩٩ ـ ولعلَّ مما يؤيد نقدهما ما رواه عروة عن فاطمة قالت: «قلت: يا رسول الله زوجى طلَّقنى ثلاثاً، وأخافُ أن يُقْتَحَم علىَّ». قال عروة: فأمرها، فتحوَّلت[٢].

وقد جمع الزركشى ـ وتبعه السيوطى ـ ما استدركته عائشة على الصحابة، وكله داخل فى نقد المتن، فلا نطيل بذكره هنا.

---

(١) أخرجه البخارى فى الموضع السابق (٥٣٢٧، ٥٣٢٨)، وأبو داود فى الموضع السابق (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم فى الموضع السابق (١٤٨٢/ ٥٣)، والنسائى فى كتاب: الطلاق، باب: الرخصة فى خروج المبتوتة من بيتها فى عدتها لسكناها ٦/ ٢٠٨، وابن ماجه فى كتاب: الطلاق، باب: هل تخرج المرأة فى عدتها ١/ ٦٥٦ (٢٠٣٣).

وانظر فى هذه المسألة: الأم للشافعى ٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨، وسنن الترمذى ٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣، وشرح النووى على مسلم (طبعة الشعب) ٣/ ٦٩١ ـ ٦٩٢، وفتح البارى ٩/ ٤٢٣، وعين الإصابة للسيوطى صـ٦٤: ٦٦ (٣٤: ٣٧).

وانظر فى باب نقد الصحابة لمروايات بعضهم البعض: ما ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ٩١٣ وما بعدها تحت عنوان: «ذكر الدليل من أقاويل السلف أن الاختلاف خطأ وصواب يلزم طالب الحجة عنده، وذكر بعض ما خطَّأ فيه بعضهم بعضاً، وأنكره بعضهم على بعض عند اختلافهم».

الفصل الرابع

آداب الرواية عند الصحابة

لا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم تأثروا أعظم التأثر بطريقة النبى ﷺ فى التعليم، وبوسائله التربوية الرفيعة فى الإلقاء، وبتوجيهاته الرائعة الرائدة فى أصول التبليغ والتوجيه، وأفادوا من كل ذلك أيما إفادة، فكانوا على المستوى اللائق بتلاميذ أعظم معلِّم ظهر فى حياة الناس على الإطلاق ﷺ، فكانت لهم آدابهم العالية فى تعليم من بعدهم، وفى أداء الأمانة التى حملوها.

وسأورد أهم تلك الآداب إن شاء الله تعالى فيما يلى:

١ ـ الترحيب بطلاب العلم: كان الصحابة رضوان الله عليهم يرحبون بالشباب طلاب العلم، وبخاصة الذين يأتون إليهم من الأقطار المختلفة حبّاً فى العلم، والصحابة فى ذلك يعملون بوصية النبى ﷺ إياهم بطلاب العلم.

٣٠٠ ـ عن أبى نضرة، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أنه كان إذا رأى الشباب قال: «مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، أمرنا أن نحفِّظكم الحديث، ونُوَسِّع لكم فى المجالس»[(١)].

٣٠١ ـ وعن عبد الله بن أبى العيزار قال: «كان ابن مسعود إذا رأى الشباب يطلبون العلم قال: مرحباً بكم ينابيع الحكمة، ومصابيح الظلمة، خُلْقان[(٢)] الثياب، جدد القلوب»[(٣)].

٢ ـ عدم التقدم على الأكابر فى التحديث: وهذا من توقير الكبار الذى أمرت

---

(١) أخرجه الرامهرمزى فى المحدِّث الفاصل صـ١٧٥ (٢٠، ٢١)، وابن أبى حاتم فى مقدمة الجرح والتعديل ٢/ ١٢، وصححه الحاكم على شرط مسلم ١/ ٨٨ وقال: لا أعلم له علة، ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى الشعب ٢/ ٢٧٥ (١٧٤١).

وروى بأطول من ذلك حيث ذكر أبو سعيد الحديث المرفوع فى الوصية بطلاب العلم، أخرجه الترمذى فى كتاب: العلم، باب: ما جاء فى الاستيصاء بمن يطلب العلم ٥ / ٣٠ (٢٦٥٠، ٢٦٥١)، وابن ماجه فى المقدمة، باب: الوصاة بطلبة العلم ١/ ٩٠ ـ ٩١ (٢٤٧، ٢٤٩)، وعبد الرزاق ١١/ ٢٥٢ (٢٠٤٦٦)، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل (٢٢)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٥٧٨ (٩٩١)، والخطيب فى الجامع ١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦ (٣٦٠) والقاضى عياض فى الإلماع صـ٣٥ ـ ٣٦، بأسانيد فيها ضعف، لكنها تتقوى بالطريق الأولى، والله أعلم.

(٢) خُلْقان، بضم الخاء المعجمة: جمع خَلَق، وهو البالى من الثياب (انظر: القاموس المحيط صـ١١٣٧).

(٣) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٢/ ٢٧١ (١٧٢٩) وأخرجه الديلمى (٦٥٠١) عن ابن مسعود مرفوعا.

به الشريعة، وحض عليه النبى ﷺ، ومن إنزال الناس منازلهم، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس اتباعاً لهذا الأدب وقياماً به.

٣٠٢ ـ عن أبى سعيد سَمُرة بن جندب رضى الله عنه قال: «لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنتُ أحفظ عنه، فما يمنعنى من القول إلاَّ أن هاهنا رجالاً هم أسنٍّ منى، قد صليت مع رسول الله ﷺ على امرأة ماتت فى نفاسها، فقام عليها رسول الله ﷺ فى الصلاة وسطها»[١].

٣ ـ تكرير الكلام وإعادة الحديث: وذلك تأسِّياً بالنبى ﷺ:

٣٠٣ ـ فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «إذا أراد أحدُكم أن يروى حديثاً فليردِّدْه ثلاثا»[٢].

٣٠٤ ـ وعن علىّ بن مُدْرك، سمع رجلاً يحدِّث عن أبى هريرة «أنه كان إذا حدَّث حديثاً أعاده ثلاث مرات»[٣].

٣٠٥ ـ وعن الأسود بن يزيد قال: «كان عبد الله (يعنى ابن مسعود) يعلمنا التَّشَهُّد كما يعلمنا السورة من القرآن، فيأخذ علينا فى الألف والواو»[٤].

٤ ـ عدم الإملال ومراعاةُ أوقات النشاط: وهذا مما تأسَّوْا فيه بالنبى المصطفى ﷺ، فقد تعلَّموا أن من أطال الحديث وأكثر القول فقد عرَّض أصحابه للملال وسوء الاستماع، وأن المعلِّم إن ترك فضلةً من حديثه ثم عاد إليها بعد ذلك كان أفضل وأصلح من أن يلقى على الطلاب ما يلزمهم استماعه من غير رغبة فيه ولا نشاط له.

وقد رأينا فيما سبق كيف تأسَّى ابن مسعود بذلك، فكان يحدِّث أصحابه كل

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الجنائز، باب: أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه ٢/ ٦٦٤ (٩٦٤/ ٨٨)، وأبو زرعة الدمشقى فى تاريخه.

والحديث مرفوع من غير ذكر موطن الشاهد، أخرجه البخارى فى كتاب: الحيض، باب: الصلاة على النفساء وسنتها ١/ ٤٢٩ (٣٣٢)، وفى كتاب: الجنائز، باب: الصلاة على النفساء إذا ماتت فى نفاسها، وباب أين يقوم من المرأة والرجل ٣/ ٢٠١ (١٣٣١، ١٣٣٣٢)، ومسلم فى الموضع السابق (٩٦٤/ ٨٧).

(٢) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: مذاكرة العلم ١/ ١٥٦ ـ ١٥٧ (٦٠٩) بإسنادٍ حسن، فيه حنين بن أبى حكيم، صدوق، وأخرجه الخطيب فى الجامع ١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ (٤٦٠).

(٣) أخرجه الخطيب فى الجامع ١/ ٣٥٩ (٤٥٩)، وهو ضعيف لجهالة الرجل المحدث عن أبى هريرة.

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف، كتاب: الصلاة، باب: من كان يعلم التشهد ويأمر بتعليمه ١/ ٣٢٨، وعزاه السيوطى لابن النجار (انظر كنز العمال ٨/ ١٥٤ رقم ٢٢٣٥٥).

خميس، مع علمه بانتظارهم إياه، وشغفهم بحديثه وتمنيهم أن يحدثهم كل يوم، فقال لهم: «أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أُمِلَّكم»(١).

وكان يوصى أصحابه بذلك:

٣٠٦ ـ فعن أبى الأحوص، عن عبد الله قال: «لا تُمِلُّوا الناس»(٢).

٣٠٧ ـ وعن كُرْدوس الثعلبى، عن عبد الله قال: «إن للقلوب نشاطاً وإقبالاً، وإن لها توليةً وإدباراً، فحدِّثوا الناس ما أقبلوا عليكم»(٣).

٣٠٨ ـ وعنه رضى الله عنه قال: «حدِّث القومَ ما حدَّقوك بأبصارهم، فإذا غضُّوا فأمْسِك»(٤).

وبذلك أوصى ابن عباس رضى الله عنهما مولاه عكرمة رحمه الله:

٣٠٩ ـ فعن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «حدِّث الناس كلَّ جمعة مرةً، فإن أبيْتَ فمرتين، فإن أبيْتَ فثلاثَ مرات، ولا تُمِلَّ الناسَ هذا القرآنَ، ولا ألفينَّك تأتى القومَ وهم فى حديث من حديثهم، فتقصَّ عليهم، فتقطعَ عليهم حديثهم، فتُمِلَّهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدِّثْهم وهم يشتهونه، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإنى عهدتُ رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»(٥).

ويبدو أن ذلك كان شائعاً بين سائر الصحابة رضى الله عنهم:

٣١٠ ـ فعن الحسن البصرى رحمه الله قال: «كان يقال: حدِّث القومَ ما أقبلوا عليك بوجوههم، فإذا التفتوا فاعلم أن لهم حاجات»(٦).

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٧).

(٢) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: من كره أن يمل الناس ١/ ١٣٠ (٤٤٧) وإسناده صحيح، وأبو خيثمة فى كتاب العلم صـ٢٥ (٩٩)، ومن طريقه السمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٦٧.

(٣) أخرجه الدارمى فى السابق (٤٤٨) وكردوس وثقه ابن حبان، وقال ابن أبى حاتم: «فيه نظر»، وقال ابن حجر: «مقبول»، وباقى رجال السند ثقات.

(٤) أخرجه الرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٩١ (٨٤١).

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب: الدعوات، باب: ما يكره من السجع فى الدعاء ١١/ ١٣٨ (٦٣٣٧) والسمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٦٧.

(٦) أخرجه الدارمى فى المقدمة، باب: من كره أن يمل الناس ١/ ١٣٠ (٤٤٩) عن سليمان بن حرب عن أبى هلال عن الحسن، وأبو هلال محمد بن سليم الراسبى صدوق فيه لين.

فقوله «كان يقال» يدل على شيوع هذه المقالة فيما بينهم عن الصحابة، والله أعلم.

٥ ـ تشجيع الطلاب على السؤال وعدم التهيب:

وقد بينت فى الفصل السابق كيف أن السؤال والإجابة عليه من مناهج الصحابة فى الأداء، وكيف أنهم كانوا يحثون تلامذتهم على ذلك.

كما كانوا يطلبون من تلامذتهم عدم التهيُّب منهم أو التردد فى سؤالهم، متى علموا أن عند مَنْ يسألونه علماً عما يسألونه عنه:

٣١١ ـ فعن سعيد بن المسيب، قال: قلت لسعد بن مالك (هو ابن أبى وقاص رضى الله عنه): إنى أريد أن أسألك عن شىء، وإنى أهابك. قال: «لا تهبْنى يا ابن أخى، إذا علمتَ أن عندى علماً فسَلْنى عنه» قال: قلت: قول رسول الله ﷺ لعلىٍّ فى غزوة تبوك حين خلفه؟ فقال سعد: «قال رسول الله ﷺ: **يا على، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى**»[(١)].

٦ ـ تفويض العلم إلى الله فيما لا علم لهم به: وهم فى ذلك أيضا مؤتسون بالنبى ﷺ الذى كان يكل علم ما لا يعلم إلا الله. ولا ريب أن تفويض العلم إلى الله فيما لا علم للإنسان به هو من كمال الفتوة والأدب وتمام الورع، وهذا ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم، وأوصوا به تلامذتهم:

٣١٢ ـ فعن مسروق قال: بينما رجلٌ يحدِّث فى كندة، فقال: يجىء دخانٌ يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام. ففزعنا، فأتيت ابن مسعود، وكان متكئاً، فغضب، فجلس، فقال: «مَنْ علم فليقلْ، ومَنْ لم يعلم فليقلْ: الله أعلم؛ فإنَّ من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيه **﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾** [ص: ٨٦]، وإن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبى ﷺ. . .» فذكر الحديث

(١) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/٤٥٧ (٧١٨)، وفى سنده ضعف؛ لأن فيه علىَّ بن زيد بن جُدْعان، وهو ضعيف الحديث. لكن الحديث روى عن سعيد عن عامر بن سعد عن أبيه، عند مسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه ٤/ ١٨٧٠ (٢٤٠٤/ ٣٠)، كما رواه غير سعيد عن سعد من طرق صحاح.

فى تفسير قوله تعالى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[١] [الدخان: ١٠].

٣١٣ ـ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: «وابَرْدَها على الكبد (فى رواية: ثلاث مرات) إذا سئلتُ عما لا أعلم أن أقول: لا أعلم»[٢].

٣١٤ ـ وعن عروة بن الزبير، عن ابن عمر رضى الله عنهما «أن رجلاً سأله عن مسألة، فقال: لا علم لى بها. فلما أدبر الرجل قال: نعم ما قال ابنُ عمر، سئل عما لا يعلم، فقال: لا علم لى به»[٣].

وروى نافع عن ابن عمر نحوه[٤].

٧ ـ تمثيل فعل النبى ﷺ عند تعليم غيرهم: وهذا من أمثل وسائل التعليم، وأفضل وسائل التربية والتوجيه؛ أن يقوم الصحابى بأداء الفعل بمثل ما رأى النبى ﷺ يفعله، فيكون ذلك أوقع فى نفس المتعلِّم، وألصق بذهنه:

٣١٥ ـ فمن ذلك: ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال: «أخذ عمر رضى الله عنه بيدى، فعلَّمنى التشهد، وزعم أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، فعلَّمه التشهد: التحيات لله، والصلوات الطيبات المباركات لله»[٥].

٣١٦ ـ ومن ذلك ما رواه حُمْران مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه، أنه رأى عثمان دَعَا بَوضوء، فأفرغ على يديه من إنائه، فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه فى الوضوء، ثم تمضمض، واستنشق، واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل كل رجلٍ ثلاثاً، ثم قال: رأيت النبى ﷺ يتوضأ نحو وضوئى هذا، وقال: «**من توضأ نحو وضوئى هذا، ثم**

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: التفسير، باب: سورة الروم ٨/ ٥١١ (٤٧٧٤)، (وانظر أرقام: ١٠٠٧، ١٠٢٠، ٤٦٩٣، ٤٧٦٧، ٤٨٠٩، ٤٨٢١، ٤٨٢٢، ٤٨٢٣، ٤٨٢٤، ٤٨٢٥)، وأخرجه مسلم فى كتاب: صفات المنافقين باب: الدخان ٤/ ٢١٥٥ ـ ٢١٥٨ (٢٧٩٨/ ٣٩: ٤٢)، والدارمى فى المقدمة، باب: فى الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتى ١/ ٧٣ (١٧٣)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ٨٣١ ـ ٨٣٢ (١٥٥٦ ـ ١٥٥٧).

(٢) أخرجه الدارمي من عدة طرق عنه فى المقدمة، باب: فى الذى يفتى الناس فى كل ما يُسْتَفْتَى ١/ ٧٤ (١٧٥: ١٧٨).

(٣) أخرجه الدارمى فى الموضع السابق (١٧٩) بسند صحيح، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ٨٣٥ (١٥٦٥)، والخطيب فى الفقيه والمتفقه ٢/ ١٧٣.

(٤) أخرجه الدارمى فى السابق (١٨١)، وابن عبد البر (١٥٦٣)، وفى إسناده عبد الله بن عمر العمرى، وهو ضعيف، ولكن الإسناد يصح لغيره بالإسناد السابق عن عروة، والله أعلم.

(٥) أخرجه الدارقطنى ـ وحسَّنه ـ فى السنن ١/ ٣٥١.

صلى ركعتين، لا يحدِّث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه»(١).

٣١٧ ـ وفعل مثل ذَلك ابنُ عباسٍ رضى الله عنهما، ثم قال: «هكذا رأيتُ رسول الله ﷺ يتوضأ»(٢).

٣١٨ ـ وعن يحيى المازنى، أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد: أتستطيع أن ترينى كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ قال: نعم...» الحديث فى قيامه بتمثيل وضوء النبى ﷺ(٣).

٣١٩ ـ وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: «دخلتُ أنا وأخو عائشة على عائشة رضى الله عنها، فسألها أخوها عن غُسل النبى ﷺ؟ فدعتْ بإناءٍ نحوٍ من صاعٍ، فاغتسلتْ، وأفاضتْ على رأسها، وبيننا وبينها حجاب»(٤).

قال ابن حجر: «وفى فعل عائشة دلالةٌ على استحباب التعليم بالفعل؛ لأنه أوقع فى النفس، ولما كان السؤال محتملاً للكيفية والكمية ثبت لهما ما يدل على الأمرين معاً: أما الكيفية فبالاقتصار على إفاضة الماء، وأما الكمية فبالاكتفاء بالصاع»(٥).

٨ ـ مراعاة أنهم قدوة يُقتدى بهم:

علم الصحابة رضوان الله عليهم أنهم أئمةٌ يقتدى بهم، فراعوا ذلك فى أعمالهم وسائر أحوالهم؛ ليكون حالهم أسوةً لمن وراءهم:

٣٢٠ ـ فعن نافع أنه سمع أسلم مولى عمر بن الخطاب يحدث عبد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب رأى على طلحة بن عبيد الله ثوبًا مصبوغا وهو محرم، فقال عمر: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال طلحة: يا أمير المؤمنين، إنما مَدَرٌ. فقال عمر: إنكم أيها الرهط أئمة يقتدى بكم الناس، فلو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال: إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة فى الإحرام، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئًا من هذه الثياب المصبغة(*).

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الوضوء، باب: المضمضة فى الوضوء ١/ ٢٦٦ (١٦٤) و (١٥٩، ١٦٠، ١٩٣٤، ٦٤٣٣).
(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: الوضوء، باب: غسل الوجه باليدين من غَرفة واحدة ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ (١٤٠).
(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: الوضوء، باب: مسح الرأس كله ١/ ٢٨٩ (١٨٥) و (١٨٦، ١٩١، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٩).
(٤) أخرجه البخارى فى كتاب: الغسل، باب: الغسل بالصاع ونحوه ١/ ٣٦٤ (٢٥١).
(٥) فتح البارى ١/ ٣٦٥.
(*) أخرجه مالك فى كتاب: الحج، باب: لبس الثياب المصبغة فى الإحرام ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ (١٠)، وابن المبارك فى الزهد ص ٥١٦ (١٤٦٧) والبيهقى ٥/ ٦٠.

٣٢١ ـ فعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال: كان أبى إذا صلَّى فى المسجد تجوزَّ[١] وأتمَّ الركوعَ والسجودَ، وإذا صلى فى البيت أطال الركوعَ والسجودَ والصلاةَ، قلت: يا أبتاه، إذا صلَّيْتَ فى المسجد تجوَّزْتَ، وإذا خلوْتَ فى البيت أطَلْتَ؟ قال: «يا بُنىَّ، إنا أئمةٌ يُقْتَدى بنا»[٢].

ولهذا دَعَوْا من وراءهم إلى التشبه بهم، والنسج على منوالهم:

٣٢٢ ـ فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «من كان مُسْتَناً فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحابُ محمد ﷺ، وكانوا على الهدى المستقيم»[٣].

وروى مثل ذلك عن عبد الله بن مسعود[٤].

٩ ـ إظهار الغضب على من يتلهى فى مجلس الحديث:

كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس تأدُّباً مع السنة وفى مجالس العلم والحديث، وقد مرَّ بنا من قبل طرفٌ من ذلك، ولهذا كان يسيئهم جداً استهانة أحدٍ بمجلس الحديث عن رسول الله ﷺ، وعدم إقباله على السماع بالإنصات التام والأدب الكامل اللائق به، وعندئذ يكون إظهار الغضب لوناً من ألوان التعليم، ولفت الأنظار، وإثارة انتباه الجميع، وتوبيخ المخطىء.

٣٢٣ ـ من ذلك ما رواه أبو حازم سلمة بن دينار، عن سهل بن سعد رضى الله عنه، أنه كان فى مجلس قومه، وهو يحدثهم عن رسول الله ﷺ، وبعضهم مقبلٌ على بعض يتحدثون، فغضب، ثم قال: «انظر إليهم! أحدثهم عن رسول الله ﷺ، عما رأت عيناى، وسمعت أذناى، وبعضهم مقبلٌ على بعضٍ! أما والله لأخرجن من بين أظهركم، ثم لا أرجع إليكم أبداً».

قلت له: أين تذهب؟ قال: «أذهب فأجاهد فى سبيل الله. . .» الحديث[٥].

(١) تجوز فى الصلاة: خفَّف فيها (القاموس المحيط صـ٦٥١).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١/١٤٣ (٣١٧)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/١٨٢: «رجاله رجال الصحيح»، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد صـ ٥١٦ ـ ٥١٧ (١٤٦٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/٣٠٥ ـ ٣٠٦. وذكره البغوى فى شرح السنة ١/٢١٤.

(٤) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/٩٤٧ (١٨١٠)، وهو وما قبله يقوى بعضهما بعضا.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٦/١٠٨ (٥٦٥٦)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/١٥٥: «فيه عبد الحميد بن سليمان، وهو ضعيف».

١٠ - تغيير ضمائر الكلام إذا أفضت حكايتها على وجهها إلى قبيح:

وهذا من التصرف الجائز فى الألفاظ، إذا كانت حكايتها على وجهها تسىء إلى المتكلم:

٣٢٤ - من ذلك ما رواه المسيب بن حَزَن رضى الله عنه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أشهد لك بها عند الله»**، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. . .» الحديث[١].

فأصل قول أبى طالب: «أنا على ملة عبد المطلب»، ولكن الصحابى استقبح حكاية الكلام بضمير المتكلم. قال النووى: «فهذا من أحسن الآداب والتصرُّفات، وهو أن مَنْ حكى من قول غيره القبيح أتى به بضمير الغيبة؛ لقبح صورة لفظه الواقع»[٢].

١١ - مراعاة حال من يلقى إليهم الحديث:

لا ريب فى أن الناس تتفاوت مداركهم ومعارفهم، وتتباين ظروفهم وبيئاتهم، وأن ما يصلح لفردٍ أو لطائفة قد لا يصلح لغيرهما، وأن بعضهم قد يقصر عقله عن فهم المقصود ببعض الأخبار، فإذا سمعوها حصلت لهم فتنة فى أنفسهم، وبعضهم قد يكون سيىء القصد، فإذا سمع أخباراً معينةً أساء تأويلها، وحَمَلَها على غير وجهها متابعة لهواه، ومن ثم وجب على المحدِّث أن يراعى ذلك، فلا يحدِّث بما لا تحتمله عقول العوام، وذلك ما تحلَّى به الصحابة، وحَضُّوا عليه، ونبَّهوا إليه:

٣٢٥ - فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «حدِّثوا الناس بما

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله ٣/ ٢٢٢ (١٣٦٠)، وكتاب: التفسير، باب: ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ٨/ ٣٤١ (٤٦٧٥)، وباب: إنك لا تهدى من أحببت ٨/ ٥٠٦ (٤٧٧٢)، ومسلم - واللفظ له - فى كتاب: الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع فى النزع ١/ ٥٤ (٢٤/ ٣٩: ٤٢).

(٢) شرح النووى ١/ ١٧٤.

يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله»(١).

٣٢٦ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «ما أنت بمحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(٢).

٣٢٧ ـ وعنه رضى الله عنه أنه كان يقول: «أكثِروا العلمَ، ولا تضعوه فى غير أهله، كقاذف اللؤلؤ إلى الخنازير»(٣).

٣٢٨ ـ وعنه رضى الله عنه قال: «إن الذى يفتى الناس فى كلِّ ما يُسْتَفْتَى لمجنون»(٤).

ولهذا امتنع جماعة من الصحابة عن ذكر بعض الأحاديث التى سمعوها من النبى ﷺ فى ظروفٍ خاصة وبصورة خاصةٍ، حتى لا تكون فتحاً لباب فتنة:

٣٢٩ ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين، أما أحدهما فَبَثَثْتُه، وأما الآخر فلو بثثتُه قُطِع هذا البلعوم»(٥).

٣٣٠ ـ وعنه رضى الله عنه قال: «لو أحدثكم بكل ما أعلمه لرميتمونى بالقشْع»(٦).

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/ ٢٢٥ (١٢٧)، وقال ابن حجر فى الفتح ١/ ١٢٥: «زاد آدم بن أبى إياس فى كتاب «العلم» له فى آخره: «ودعوا ما ينكرون»، أى يشتبه عليهم فهمه»، وزادها أيضا: السمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٦٠. وعلق ابن عبد البر هذا الأثر عن ابن عباس من قوله فى جامع بيان العلم ١/ ٥٤٠ (٨٩١)، ثم رواه عن على ٢/ ١٠٠٣ (١٩١١).

(٢) أخرجه مسلم فى المقدمة، باب: النهى عن الحديث بكل ما سمع ١/ ١١، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١/ ٥٣٩، ٥٤١ (٨٨٨، ٨٩٢)، والسمعانى فى أدب الإملاء والاستملاء صـ٦٠.

(٣) أخرجه الرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٧٤ (٨٠٠).

(٤) أخرجه الدارمى بإسنادٍ صحيح فى المقدمة، باب: فى الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتى ١/ ٧٣ (١٧١)، والطبرانى فى الكبير ٩/ ١٨٨ (٨٩٢٣ ـ ٨٩٢٤) وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٨٣: «رجاله موثقون».

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب: العلم، باب: حفظ العلم ١/ ٢١٦ (١٢٠)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١٠٠٢ (١٩١٠).

(٦) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/ ١٠٠١ (١٩٠٨) بإسناد صحيح، وقال ابن الأثير فى النهاية ٤/ ٦٦ «القِشْع: جمع قَشع على غير قياس، وقيل: هى جمع قَشْعة، وهى ما يُقْشَع عن وجه الأرض من المدر والحجر، أى يقلع. وقيل: القشعة: النخامة التى يقتلعها الإنسان من صدره: أى لبزقتم فى وجهى؛ استخفافًا بى، وتكذيباً لقولى. وقيل: القَشْع على الإفراد، وهو الجلد، أو هو الأحمق، أى لجعلتمونى أحمق».

وفُسِّر القشع فى رواية أخرى بالمزابل[١].

٣٣١ ـ وقال أيضاً: «حفظتُ من رسول الله ﷺ خمسة جُرُب، فأخرجتُ منها جرابين، ولو أخرجتُ الثالث لرجمتمونى بالحجارة»[٢].

٣٣٢ ـ وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: والله لو شئتُ لحدثتُكم ألف كلمة تحبونى عليها، أو تتابعونى وتصدقونى، برآً من الله ورسوله، ولو شئت لحدثتكم ألَف كلمة تبغضونى عليها وتجانبونى وتكذبونى»[٣].

وبَدَهيٌّ أن ما كتمه أبو هريرة وحذيفة وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ هو مما لا يتعلق بالأحكام الشرعية؛ إذ لا يُعقَل أن يختص النبىُّ ﷺ بعض الصحابة بذلك دون بعض، كما أنه ليس من الأخلاق والآداب ونحوها، وإنما هو مما يتعلق ببعض أشراط الساعة، والفتن التى ستحدث فى الأمة، ونحو ذلك، مما يمكن أن يكون سبباً لشق الصفوف وتفريق الأمة، أو يكون مما يصعب على بعض العقول تصوُّرُه، فتسبق إلى اتهام الراوى له بالخرق والحمق[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٥٣٩، ٥٤٠، وابن عبد البر فى السابق (١٩٠٩)، وهو صحيح الإسناد بما قبله.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/٣٨١، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل صـ٥٥٦ (٧٤٩).

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣/١٦٣ (٣٠٠٥)، وقال الهيثمى فى المجمع ١/١٨٢: «رجاله موثقون».

(٤) انظر فى ذلك: سير أعلام النبلاء للذهبى ٢/٥٩٧، و ١٠/٦٠٣ ـ ٦٠٤، وفتح البارى لابن حجر ١/٢١٦ ـ ٢١٧، و ٢٢٥، والسنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب صـ٤٢٦، والسنة النبوية بين أهل الحديث وأهل الرأى للدكتور عبد الرحمن البر صـ٣٧٤: ٣٨٠.

الخاتمة

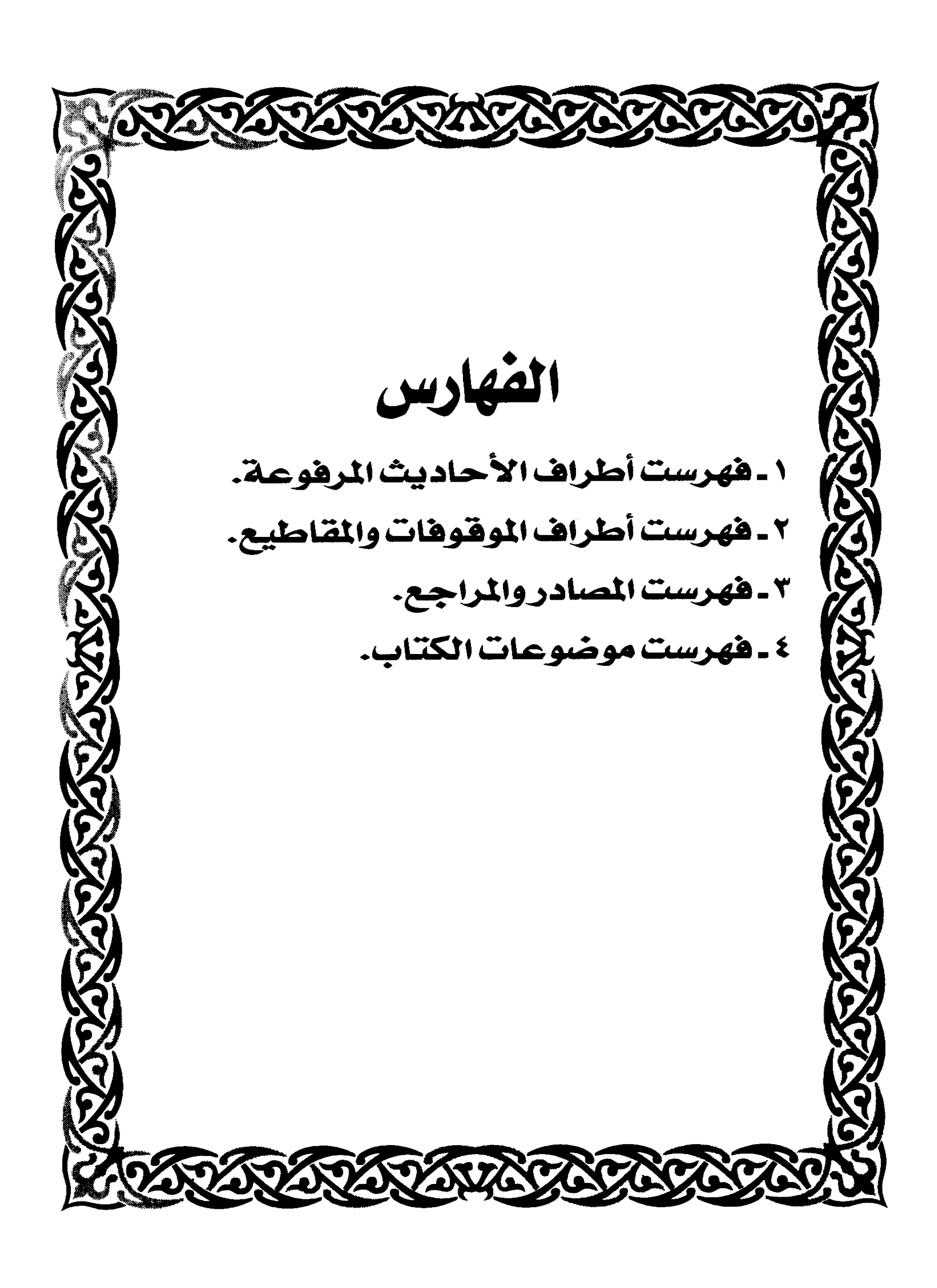
بعد هذه الجولة الممتعة فى رياض السنة الكريمة، وفى صحبة السادة الأخيار الأمناء، أكرم صحابةٍ لأعظم رسولٍ ﷺ ورضى الله عنهم؛ يستبين لكل ذى عينين بغاية الوضوح: أنَّ عملية تحمُّل الصحابة للسنة وروايتهم إياها لم يكن أمراً عشوائيّاً، ولا نقلاً اعتباطيّاً، وإنما كان عملاً علميّاً منهجيّاً دقيقاً، حفظ الله به السنة من الضياع، ومن الزيادة، ومن التحريف، وأنه أصبح أساساً وأصلاً بنى عليه المحدِّثون من بعدُ مناهجهم وقواعدهم فى صيانة السنة ونقلها.

ولا شك أن ظواهر جديدةً حدثت بعد الصحابة رضوان الله عليهم استدعت وضع قواعد مناسبةٍ وضوابط مكافئة لحماية السنة وسلامة نقلها، وهو ما يحتاج إلى دراسات متعددة متعمقة، تأخذ جانب التفصيل الدقيق لمناهج المحدثين فى المراحل المختلفة، وهو ما أدعو إخوانى الباحثين إلى تجليته وتوضيحه بصورةٍ مبسَّطةٍ، وبأسلوبٍ سهلٍ، يفهمه عامة الناس وخاصتهم، إحياءً لتراثنا العلمىِّ الجليلِ، ونشراً لجميلِ مآثر سلفنا الصالح رضوان الله عليهم.

والله الكريمَ أسأل أن يوفقنا لكل خيرٍ، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشداً.

وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.





الفهارس

١ ـ فهرست أطراف الأحاديث المرفوعة.

٢ ـ فهرست أطراف الموقوفات والمقاطيع.

٣ ـ فهرست المصادر والمراجع.

٤ ـ فهرست موضوعات الكتاب.



فهرس أطراف الأحاديث المرفوعة

طرف الحديث	الراوى	رقم الحديث	الصفحة
سلوا الله المعافاة ـ أو قال ـ العافية ـ	أبو بكر الصديق	٢٤٦	١٧٨
صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر	أبو زيد عمرو بن أخطب	٢١٢	١٦٤
صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر	أبو سعيد الخدرى	٢١٣	١٦٤
ضحّى رسول الله ﷺ والمسلمون	عبد الله بن عمر	٢٣٧	١٧٤
طلقنى زوجى ثلاثاً فلم يجعل لى رسول الله ﷺ سكنى	فاطمة بنت قيس	٢٩٣	١٩٧
علّموا ويسرّوا ولا تعسّروا	عبد الله بن عباس	١٥٣	١٢٩
عليكم بكتاب الله وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عنى	أبو موسى مالك ابن عبادة الغافقى	٢٦٨	١٨٨
فتنة الرجل فى أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة	حذيفة بن اليمان	١٨٧	١٤٥
... فقال سليمان للطير: أظلى على داود	أبو هريرة	٥٣	٧٠
قال رجل: يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطوّل	أبو مسعود الأنصارى	٩٣	٨٩
قالوا: يا رسول الله، أى الإسلام أفضل	أبو موسى الأشعرى	١٢٤	١٠٨
قام أعرابى فبال فى المسجد فتناوله الناس	أبو هريرة	٨٧	٨٥
قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئا يكون	حذيفة بن اليمان	٢١٤	١٦٥
قام فينا النبى ﷺ فذكر الغلول فعظمه	أبو هريرة	٢٨	٥٩
قام فينا النبى ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق	عمر بن الخطاب	٢١١	١٦٤
قد احتجم رسول الله ﷺ حجمه أبو طيبة	أنس بن مالك	٨٩	١٧٥
قدم على النبى ﷺ سبىٌ فإذا امرأة من السبى تحلب ثدياها	عمر بن الخطاب	٩٦	٩٠
قدمنا على رسول الله ﷺ فاشتد فرحهم بنا	بعض وفد عبد القيس	١٥٠	١٢٧
قرىء علينا كتاب رسول الله ﷺ بأرض جهينة	عبد الله بن عكيم	١٦٠	١٣٣
قعد أبو موسى فى بيته واجتمع إليه ناس وأنشأ يقرأ عليهم	أنس بن مالك	٨٦	٨٥

طرف الحديث	الراوى	رقم الحديث	الصفحة
ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا	عائشة أم المؤمنين	٣٥	٦٢
ما كنا نكتب شيئاً غير القرآن والتشهد	أبو سعيد الخدرى	٢٠٩	١٥٧
مثل علم لا ينتفع به كمثل كنز لا ينفق منه	أبو هريرة	٢٢١	١٦٩
مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم	أبو موسى الأشعرى	٤١	٦٥
مثل المنافق كمثل الشاة بين الغنمين	عبيد بن عمير	٢٧٩	١٩١
مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم	النعمان بن بشير	٤٠	٦٥
مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نتحدث	رافع بن خديج	٧٧	٨٠
من أدركه الفجر وهو جنب فلا يصم	أبو هريرة	١٦٨	١٣٦
من حُوسب عُذِّب	عائشة أم المؤمنين	٧١	٧٨
من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم اتبعها	أبو هريرة	٢٠١	١٥٢
من ستر على مؤمن فى الدنيا ستره الله يوم القيامة	عقبة بن عامر	١٨٤	١٤٤
من صوَّر صورة فإن الله معذِّبه حتى ينفخ فيها الروح	عبد الله بن عباس	٢٤١	١٧٦
من قال علىَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار	عثمان بن عفان	٢١٨	١٨٤
من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار	عبد الله بن عمرو ابن العاص	٢٦	٥٨
من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار	أنس والزبير وأبو هريرة	٢٥٨	١٨٢
		٢٦١	١٨٣
من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين	معاوية بن أبى سفيان	٢٤٩	١٧٩
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا	أبو موسى الأشعرى	٥١	٦٩
نضَّر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها	زيد بن ثابت	٢٥	٥٧
نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها	عبد الله بن عمر	٢٣٨	١٧٥
نهى رسول الله ﷺ عن الغلوطات	معاوية بن أبى سفيان	١١١	١٠٠

٢ـ فهرست الموقوفات والمقاطيع
(أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم)

طـــــرف الأثـــــــر	الــــــراوى	رقـــم الأثر	الصفحة
أنه كان إذا رأى الشباب قال: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ	أبو سعد الخدرى	٣٠٠	١٩٩
أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عمر إذ طلع	سعد بن أبى وقاص	٢٠١	١٥٢
خباب صاحب المقصورة	أبو هريرة	٢٢٣	١٧٠
أنه كان يقوم كل خميس فيحدثهم	أنس بن مالك	٢٦٠	١٨٣
أى بَنِىَّ، إنه من يُكثر يُهْجر			
أى مطرِّفُ، والله إن كنت لأرى أنّى لو شئتُ حدثت	عمران بن حصين	٢٦٥	١٨٥
بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع	عمر بن الخطاب	٢٥٦	١٨٢
تذاكروا هذا الحديث وتزاوروا	على بن أبى طالب	١٨٦	١٤٥
تواعد الناس ليلة إلى قبة من قباب معاوية	مكحول	٢٢٢	١٧٠
جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلى إلى سلمان الفارسى	أبو البخترى سعيد ابن فيروز	٢	١٥
جاء بشير بن كعب العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث	مجاهد بن جبر	٢٩١	١٩٦
جاء رجل إلى طلحة بن عبيد الله فقال: يا أبا محمد أرأيت	مالك بن أبى عامر	٢١٦	١٦٦
جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إنى أجنبت فلم أصب الماء	عبد الرحمن بن أبزى	١٣٨	١١٦
جاء هذا إلى ابن عباس فجعل يحدثه	طاوس بن كيسان	٢٨٩	١٩٥
جالست ابن عمر سنة فلم أسمعه يذكر حديثا	عامربن شراحيل الشعبى	٢٥٤	١٨٢
حدِّث القوم ما حد قوك بأصارهم	عبد الله بن مسعود	٣٠٨	٢٠١
حدِّث الناس كل جمعة مرة فإن أبيت فمرتين	عبد الله بن عباس	٣٠٩	٢٠١
حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله	على بن أبى طالب	٣٢٥	٢٠٦



٣ ـ فهرست المصادر والمراجع

١ـ **القرآن الكريم**.

ـ **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان** = صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان.

٢ـ **الإحكام فى أصول الأحكام**: لعلى بن محمد الآمدى تحقيق: الدكتور السيد الجميلى ـ طبعة دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

٣ـ **أخلاق العلماء**: لأبى بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرّى (ت ٣٦٠هـ مراجعة: إسماعيل بن محمد الأنصارى ـ طبعة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤ـ **أدب الإملاء والاستملاء**: لأبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى (ت ٥٦٢هـ) ـ طبعة بريل ١٩٥٢م.

٥ـ **الأدب المفرد**: لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا. طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٠هـ.

٦ـ **أساس البلاغة**: لأبى عمر محمود بن جار الله الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) طبعة دار الشعب ـ القاهرة.

٧ـ **أسد الغابة فى معرفة الصحابة**: لأبى الحسن على بن محمد المعروف بابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠هـ) تحقيق: محمد إبراهيم البنا، وآخرين. طبعة دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٠م.

٨ـ **أسماء الصحابة رضى الله عنهم وما لكل واحد منهم من العدد**: لأبى محمد على بن أحمد بن عبد الله، المعروف بابن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦هـ) تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدنى ـطبعة مكتبة القرآن ـ القاهرة.

٩ـ **الأسماء المبهمة فى الأنباء المحكمة**: لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: عز الدين على السيد ـ طبعة مكتبة الخانجى ـ القاهرة ـ الأولى ١٤٠٥هـ.

١٠ـ **الإصابة فى تمييز الصحابة**: لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) طبعة مطبعة السعادة بمصر ـ الأولى ١٣٢٨هـ وبهامشه «الاستيعاب» لابن عبد البر.

١١ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى، المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ـ طبعة دار الجيل ـ بيروت.

١٢ـ **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**: للقاضى عياض بن موسى اليحصبى (ت ٥٤٤هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر ـ طبعة دار التراث بالقاهرة، والمكتبة العتيقة بتونس ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

..ـ **الأمثال** = كتاب الأمثال فى الحديث النبوى.

١٣ـ **الباعث الحثيث شرح «اختصار علوم الحديث» لابن كثير (ت٧٧٤هـ)**: للأستاذ: أحمد محمد شاكر طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٤ـ **البداية والنهاية**: لأبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: الدكتور أحمد أبى ملحم، وآخرين ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٥هـ.

١٥ـ **بحوث فى تاريخ السنة المشرفة**: للدكتور: أكرم ضياء العمرى ـ طبعة مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ـ الخامسة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٦ـ **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبى أسامة (ت ٢٨٢هـ)**: لنور الدين على ابن أبى بكر الهيثمى (ت ٨٠٧هـ) تحقيق: الدكتور حسين أحمد صالح الباكرى ـ طبعة مركز خدمة السنة والسيرة بالمدينة المنورة ـ الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٧ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: لأبى الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدى طبعة المطبعة الخيرية بمنشاة الجمالية ـ القاهرة ـ الأولى ١٣٠٦هـ.

١٨ـ **تاريخ بغداد**: لأبى بكر الخطيب. طبعة دار الكتاب العربى ـ بيروت.

١٩ـ **تاريخ فنون الحديث**: للشيخ: محمد عبد العزيز الخولى تحقيق: محمود الأرناؤوط، ومحمد بدر الدين القهوجى. طبعة دار ابن كثير ـ بيروت ودمشق ـ الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٠ـ **التاريخ الكبير**: لأبى عبد الله البخارى. تحقيق: عبد الرحمن المعلمى اليمانى. طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٨٠هـ.

٢١ـ **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**: لأبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن الزكى المزى (ت ٧٤٢هـ) تحقيق: عبد الصمد شرف الدين ـ طبعة الدار القيمة بالهند والمكتب الإسلامى بدمشق، الثانية ١٤٠٣هـ.

..ـ **تحقيق منيف الرتبة** = كتاب تحقيق منيف الرتبة.

٢٢ـ **تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى**: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى(ت٩١١هـ)تحقيق: عبد الوهاب عبداللطيف. طبعة مكتبة الرياض الحديثة

٢٣ـ **تذكرة الحفاظ**: لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن المعلمى اليمانى ـ طبعة دار إحياء التراث العربى ـ

بيروت ـ المصورة عن طبعة حيدر آباد ١٣٧٧هـ.

٢٤ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة أعلام مذهب مالك**: للقاضى عياض. تحقيق: الدكتور أحمد بكير محمود. منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٢٥ـ **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**: لعبد العظيم بن عبد القوى المنذرى (ت ٦٥٦هـ) تحقيق: مصطفى محمد عمارة ـ طبعة دار الحديث ـ القاهرة.

٢٦ـ **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة**: لابن حجر العسقلانى تحقيق: الدكتور إكرام الله إمداد الحق. طبعة دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٧ـ **تقريب التهذيب**: لابن حجر العسقلانى تحقيق: محمد عوامة ـ طبعة دار الرشيد ـ حلب ـ سوريا الرابعة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٨ـ **تقييد العلم**: للخطيب البغدادى تحقيق: الدكتور يوسف العش ـ طبعة دار الوعى ـ حلب ـ الثالثة ١٩٨٨م.

٢٩ـ **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**: لأبى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى (ت ٨٠٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ـ طبعة دار الفكر ـ القاهرة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣٠ـ **تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير**: لأبى الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ) طبعة مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ـ القاهرة.

٣١ـ **التمهيد فى أصول الفقه**: لمحفوظ بن أحمد الكلوذانى الحنبلى (ت ٥١٠هـ) تحقيق: الدكتور محمد بن على بن إبراهيم ـ طبعة مركز البحث العلمى وإحياء التراث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٢ـ **تهذيب التهذيب**: لابن حجر العسقلانى. طبعة دار صادر ـ بيروت.

٣٣ـ **تهذيب الكمال فى أسماء الرجال**: لأبى الحجاج المزى. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الخامسة ١٤١٣هـ.

٣٤ـ **الثقات**: لأبى حاتم ابن حبان البستى (ت ٣٥٤هـ) طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ـ الهند.

٣٥ـ **جامع بيان العلم وفضله**: لأبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: أبى الأشبال الزهيرى ـ طبعة دار ابن الجوزى ـ الدمام ـ السعودية ـ الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

..ـ **الجامع الصحيح** = سنن الترمذى.

..ـ **الجامع الصحيح** = فتح البارى بشرح صحيح البخارى.

٣٦ـ **الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع**: لأبى بكر الخطيب تحقيق: الدكتور محمد عجاج الخطيب. طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٧ـ **الجرح والتعديل**: لأبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى (ت ٣٢٧هـ) تحقيق: عبد الرحمن المعلمى اليمانى ـ طبعة حيدر آباد ـ الهند ١٣٧٣هـ.

٣٨ـ **الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية**: للشيخ محمد محمد أبو زهو. طبعة دار الكتاب العربى ـ بيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٩ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى (ت٤٣٠هـ) طبعة دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ الثانية.

٤٠ـ **حياة الصحابة**: للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى تحقيق: الدكتور عبد البارى محمد الطاهر، وأحمد عبد الفتاح تمام. طبعة دار السلام ـ القاهرة ـ الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٤١ـ **دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه**: للدكتور: محمد مصطفى الأعظمى ـ طبعة المكتب الإسلامى بيروت ودمشق ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٤٢ـ **دراسات فى الصحابة رضى الله عنهم**: للدكتور: مصطفى محمد السيد أبو عمارة ـ طبعة دار الطباعة المحمدية ـ بالقاهرة ـ الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٤٣ـ **دلائل النبوة**: لأبى القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمى الأصبهانى (ت ٥٣٥هـ) تحقيق: الدكتور مساعد سليمان الراشد ـ طبعة دار العاصمة ـ الرياض ـ الأولى ١٤١٢هـ.

٤٤ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: الدكتور عبد المعطى قلعجى ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٥ـ **الرحلة فى طلب الحديث**: لأبى بكر الخطيب البغدادى تحقيق: الدكتور نور الدين عتر ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٣٩٥هـ.

٤٦ـ **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**: للسيد محمد بن جعفر الكتانى (ت ١٣٤٥هـ) طبعة دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان ـ الرابعة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٤٧ـ **الرسول المعلم ﷺ وأساليبه فى التعليم**: للشيخ عبد الفتاح أبى غدة (ت ١٤١٨هـ) طبعة دار مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٨ـ **الرسول المعلم ومنهجه فى التعليم: للدكتور**: محمد رأفت عثمان. طبعة دار الهدى للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٤٩- **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**: لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى (ت ٦٧٦هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط - طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٠- **الزهد**: لعبد الله بن المبارك المروزى (ت ١٨١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

٥١- **السنة قبل التدوين**: للدكتور محمد عجاج الخطيب - طبعة مكتبة وهبة - القاهرة - الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٥٢- **السنة النبوية بين أهل الحديث وأهل الرأى**: للدكتور: عبد الرحمن عبد الحميد البر - رسالة دكتوراه - بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة.

٥٣- **سنن ابن ماجه**: لأبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى - طبعة المكتبة العلمية - بيروت.

٥٤- **سنن أبى داود**: لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد - طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

٥٥- **سنن الترمذى**: لأبى عيسى محمد بن سورة الترمذى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. طبعة دار الحديث - القاهرة.

٥٦- **سنن الدارقطنى**: لأبى الحسن على بن عمر الدارقطنى (ت ٣٨٥هـ) تصحيح: عبد الله هاشم يمانى طبعة دار المحاسن - القاهرة ١٩٨٦م.

٥٧- **سنن الدارمى**: لأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى (ت ٢٥٥هـ) تحقيق: فؤاد أحمد زمرلى وخالد السبع العلمى - طبعة دار الريان للتراث - القاهرة - الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٨- **سنن النسائى**: لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى (ت ٣٠٣هـ) بحاشية السندى وشرح زهر الربى للسيوطى طبعة دار إحياء التراث العربى - بيروت.

٥٩- **السنن الكبرى للبيهقى**: لأبى بكر البيهقى طبعة دار المعرفة - بيروت.

٦٠- **السنن الكبرى للنسائى**: لأبى عبد الرحمن النسائى. طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

٦١- **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين الذهبى. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين - طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - العاشرة ١٤١٤هـ.

٦٢- **السيرة النبوية (تهذيب سيرة النبى ﷺ لابن إسحاق)**: لأبى محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) تحقيق: مصطفى السقا وآخرين. طبعة مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

٦٣- **شرح معانى الآثار**: لأبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى (ت ٣٢١هـ) تحقيق: محمد زهرى النجار - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٣٩٩هـ.

٦٤- **شرح النووى على مسلم**: لأبى زكريا النووى: تحقيق: أحمد عبد الله أبو زينة. طبعة دار الشعب - القاهرة.

٦٥- **شرح النووى على مسلم**: لأبى زكريا النووى. طبعة دار الخير - دمشق. الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م بإشراف: على عبد الحميد بلطه جى.

٦٦- **شرف أصحاب الحديث**: لأبى بكر الخطيب البغدادى.

٦٧- **شعب الإيمان**: لأبى بكر البيهقى تحقيق: محمد السعيد زغلول - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٠هـ.

٦٨- **شفاء الصدور فى تاريخ السنة ومناهج المحدثين**: للدكتور: السيد محمد السيد نوح. طبعة دار النذير - المنصورة - مصر ١٩٨٠م.

٦٩- **الشمائل المحمدية**: لأبى عيسى الترمذى تحقيق عزت عبيد الدعاس - طبعة دار الندوة الجديدة - بيروت - لبنان

٧٠- الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهرى تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٧١- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: للأمير على بن بلبان الفارسى (ت ٧٣٩هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط - طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - الثانية ١٤١٤هـ.

٧٢- **صحيح ابن خزيمة**: لأبى محمد إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ) تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمى طبعة المكتب الإسلامى - بيروت.

..- **صحيح البخارى** = فتح البارى.

٧٣- **صحيح مسلم**: لأبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى. طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى - القاهرة.

..- **صحيح مسلم بشرح النووى** = شرح النووى على مسلم.

٧٤- **الضعفاء الكبير**: لأبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلى (ت ٣٢٢هـ) تحقيق: الدكتور عبد المعطى قلعجى - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٠٤هـ.

٧٥- **الطبقات الكبرى**: لمحمد بن سعد بن منيع البصرى (ت ٢٣٠هـ) طبعة دار صادر - بيروت.

٧٦- **عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام رضى الله عنهم**: للدكتور: ناصر بن

على عائض حسن الشيخ ـ طبعة مكتبة الرشد ـ الرياض ـ الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

....ـ **العلم** = كتاب العلم.

٧٧ـ **عمل اليوم والليلة**: لأبى بكر أحمد بن محمد الدينورى المعروف بابن السنى (ت ٣٦٤هـ) تحقيق: بشير محمد عيون ـ طبعة مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ الثانية ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٧٨ـ **عين الإصابة فى استدراك عائشة على الصحابة**: لجلال الدين السيوطى. تحقيق: عبد الله محمد الدرويش. طبعة دار الإيمان ـ دمشق وبيروت ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.

٧٩ـ **غريب الحديث**: لأبى سليمان حمد بن محمد الخطابى (ت٣٨٨هـ) تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوى. طبعة جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ.

٨٠ـ **الغيلانيات**: لأبى بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى (ت ٣٥٤هـ) تخريج الدارقطنى. تحقيق: الدكتور مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهرانى. طبعة دار المأمون للتراث ـ دمشق الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٨١ ـ **الفائق فى غريب الحديث**: لجار الله محمود بن عمر الزمخشرى تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى. طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ الثانية.

٨٢ ـ **فتح البارى بشرح صحيح البخارى**: لابن حجر العسقلانى. قام بإخراجه: محب الدين الخطيب. طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

٨٣ ـ **فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقى**: لشمس الدين السخاوى (ت٩٠٢هـ) تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ـ طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ـ الثانية ١٣٨٨هـ.

٨٤ ـ **فضائل الصحابة**: لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى الإمام (ت ٢٤١هـ) تحقيق وصى الله بن محمد عباس ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت الأولى١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٥ ـ **الفقيه والمتفقه**: للخطيب البغدادى. تصحيح: إسماعيل الأنصارى. طبعة مكتبة أنس ابن مالك ١٤٠٠هـ.

٨٦ ـ **الفكر المنهجى عند المحدثين**: للدكتور: همام عبد الرحيم سعيد ـ كتاب الأمة ـ قطر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨٧ ـ **القاموس المحيط**: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٨٨ ـ **قطوف من الأدب النبوى دراسة موضوعية فى السنة المطهرة**: للدكتور: عبد الرحمن

عبد الحميد أحمد البر. طبعة دار الكلمة ـ المنصورة ـ مصر.

٨٩ ـ **الكامل فى ضعفاء الرجال**: لأبى أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى (ت٣٦٥هـ) تحقيق: الدكتور سهيل زكار. طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ الثالثة ١٤٠٩هـ.

٩٠ ـ **الكامل فى ضعفاء الرجال (المقدمة)**: تحقيق وتعليق: صبحى البدرى السامرائى ـ طبعة مطبعة سليمان الأعظمى ـ بغداد.

٩١ ـ **كتاب الأمثال فى الحديث النبوى**: لأبى محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبى الشيخ الأصبهانى (ت ٣٦٩هـ) تحقيق: الدكتور عبد العلى عبد الحميد حامد ـ طبعة الدار السلفية ـ بومباى الهند ـ الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٩٢ ـ **كتاب تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة**: لخليل بن كيكلدى العلائى (ت ٧٦١هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى ـ طبعة دار العاصمة ـ الرياض ـ الأولى ١٤١٠هـ.

٩٣ ـ **كتاب العلم**: لأبى خيثمة زهير بن حرب النسائى (ت ٢٣٤هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى ـ طبعة المكتب الإسلامى ـ بيروت ودمشق ـ الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٩٤ـ **كتاب معرفة علوم الحديث**: لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى (ت ٤٠٥هـ) تعليق: الدكتور السيد معظم حسين. طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ المصورة عن طبعة حيدر آباد ـ الهند.

٩٥ـ **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة**: لنور الدين الهيثمى. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى. طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الثانية ١٤٠٤هـ.

٩٦ـ **الكفاية فى علم الرواية**: للخطيب البغدادى تقديم: محمد الحافظ التيجانى ـ طبعة دار الكتب الحديث ـ القاهرة ـ الأولى.

٩٧ـ **كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال**: للمتقى على بن حسام الدين الهندى. طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٩٨ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: لنور الدين الهيثمى. طبعة دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ الثانية ١٩٦٧م.

٩٩ـ **مجمل اللغة**: لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٠٠ـ **المحدث الفاصل بين الراوى والواعى**: للقاضى الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى (ت ٣٦٠هـ) تحقيق: الدكتور محمد عجاج الخطيب. طبعة دار الفكر ـ القاهرة ـ الأولى ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

١٠١- **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبى بكر الرازى (ت ٦٦٠هـ) طبعة دار القلم - بيروت.
١٠٢- **مدرسة الحديث فى مصر حتى القرن العاشر الهجرى**: للدكتور محمد رشاد خليفة - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب - الأولى.
١٠٣- **المستدرك على الصحيحين**: لأبى عبد الله الحاكم. طبعة دار المعرفة - - بيروت - الأولى ١٤٠٥هـ.
١٠٤- **المستفاد من مبهمات المتن والإسناد**: لأبى زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقى (ت ٨٢٦هـ) تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عبد الحميد البر. طبعة دار الوفاء بالمنصورة، ودار الأندلس الخضراء بجدة - الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٠٥- **المسند**: لأبى عبد الله أحمد بن حنبل الإمام - طبعة المكتب الإسلامى - بيروت.
١٠٦- **مسند أبى يعلى الموصلى**: لأبى يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى (ت ٣٠٧هـ) تحقيق: حسين سليم أسد. طبعة دار المأمون للتراث - بيروت ودمشق - الأولى ١٤٠٩هـ.
١٠٧- **مسند الحميدى**: لأبى بكر عبد الله بن الزبير الحميدى (ت ٢١٩هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى. طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.
١٠٨- **مسند الشهاب**: لأبى عبد الله محمد بن سلامة القضاعى (ت ٤٥٤هـ) تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى - طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - الأولى ١٤٠٥هـ.
١٠٩- **مسند الطيالسى**: لأبى داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسى (ت ٢٠٤هـ) طبعة دار المعرفة - بيروت.
١١٠- **مشكل الآثار**: لأبى جعفر الطحاوى. طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد بالهند - الأولى ١٣٣٣هـ.
١١١- **المصنف**: لأبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى طبعة المجلس العلمى - الأولى ١٣٩٢هـ.
١١٢- **المصنف فى الأحاديث والآثار**: لأبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة (ت ٢٣٥هـ) نشر الدار السلفية - بومباى - الهند - الأولى ١٤٠٣هـ.
١١٣- **المعجم الكبير**: لأبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى (ت ٣٦٠هـ تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى - طبعة وزارة الأوقاف العراقية - الثانية.
١١٤- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى**: لجماعة من المستشرقين بإشراف أ.ى. فنسنك طبعة مكتبة بريل - ليدن.
١١٥- **معرفة الصحابة**: لأبى نعيم الأصبهانى تحقيق: الدكتور محمد راضى بن حاج عثمان. طبعة مكتبة الدار بالمدينة المنورة ومكتبة الحرمين بالرياض - الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

... ـ **معرفة علوم الحديث** = كتاب معرفة علوم الحديث.

١١٦ـ **المفردات في غريب القرآن**: لأبى القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى تحقيق وضبط: محمد سيد كيلانى. طبعة مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

١١٧ـ **مقدمة ابن الصلاح**: لأبى عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزورى (ت٦٤٣هـ) تحقيق: الدكتورة عائشة بنت الشاطىء. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

١١٨ـ **المنهج الحديث فى علوم الحديث (قسم الرواية)**: للشيخ محمد محمد السماحى ـ طبعة دار الأنوار ـ مصر.

١١٩ـ **الموطأ**: للإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى طبعة دار الحديث ـ القاهرة ـ الثانية ١٤١٣هـ.

١٢٠ـ **النظم التعليمية عند المحدثين**: للأستاذ: المكى أقلاينة ـ كتاب الأمة ـ قطر ـ الطبعة الأولى.

١٢١ـ **النكت على نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر لابن حجر**: للشيخ على بن حسن بن على عبد الحميد الحلبى ـ طبعة دار ابن الجوزى ـ الدمام ـ السعودية ـ الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٢٢ـ **النهاية فى غريب الحديث والأثر**: لأبى السعادات المبارك بن محمد، المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: محمود الطناحى، وآخرين. طبعة المكتبة الإسلامية.

١٢٣ـ **النهى عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب**: لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى (ت ٦٤٣هـ) تحقيق: محيى الدين نجيب. طبعة مكتبة دار العروبة بالكويت، ودار ابن العماد ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٤ ـ فهرست موضوعات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع | **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

رقم الإيداع:
٩٦/٨٣٨٧

